جامعة الجزائر

معهد العلوم الاجتماعية

الصّراعْ القرطاجيْ - الاغريْقي

في

غرب المتوسط

«ما بين القرنين السادس والرابع ق.م»

دبلوم دراسة معمقة

تقديم :

عمر بن ادريس

تحت إشراف :

الدكتور مصطفى الألفي

Text Stamp

ميكروفيلم

Text Stamp

مختصـــرات بعـض المــراجـــع :

I- E.C.H.S.;Etude de chronologie et d'historiographie siciliote .

II- H.A.A. N.; Histoire ancienn e de l' afrique du nord.

III - R.AF. ; Revue africaine

المقـــدمــــــة

ان كتـابـة او أعـادة كتابـة تاريخ الجزائـر عمـومـا والتـاريـخ القـديـم خصـوصـا الـذي يشكـل مـرحلـة مـن ادق واصعب المـراحـل عمليـة تحتـاج الـى جهود كبيـرة وكفـاءات عـاليـة ليس فقـط فـي مجـال التـاريـخ وانمـا ايضـا فـي مجـالات اخـرى كعـلم الاثـار وعلم ماقبل التـاريـخ ، ومـا يـرتبـط بهمـا مـن علـوم مسـاعـدة .

فعـلم الاثـار وماقبـل التـاريـخ ، يشكلان الاسـاس لدراسـة التـاريـخ القـديـم . وخـاصـة عـلم الاثـار الـذي يعتبر المصـدر الاول للـوثـائـق المـاديـة والـتي بـدونهـا لايمكـن الـوصـول الـى الحقـائـق التـاريخيـة حيـث تنعـدم او تكـاد الـوثـائـق الكتابيـة والتـي لـم تعـد تكفـي وحـدهـا . ومـن هنا وجـب ان يكـون هنـاك تعـاون بيـن بـاحثيـن فـي مختـلف التخصصـات (مـاقبـل التـاريـخ عـلم الاثـار، التـاريـخ القـديـم عـلم النـبـات ، الحـضـارات المقـارنـة ... الخ)وبـالاضـافـة الـى هـذا هنـاك صعـوبـات اخـرى ومشـاكـل تعتـرض البـاحـث فـي تـاريـخ الجـزائـر القـديـم . وتتمثـل فـي قـلـة المصـادر والمراجـع عمـومـا والعـربيـة منهـا خصـوصـا حيـث تـكـاد تكـون منعـدمـة ، والمعلـومـات المتـوفـرة لـديـنـا عـن هـذه الحقبـة مـن التـاريـخ القـديـم هـي عـلـى قلتهـا وحيـدة الجـانـب خاصـة فيما يتعـلق بـالصـراع القـرطـاجـي ـ الاغـريـقـي فـي غـرب المتـوسـط موضـوع بحثنـا . فـاغـلب الـروايـات والمعلـومـات واردة عـن كتـاب اغـريـق ولاتيـن ، امـا المصـادر ذات الاصـل الفينيقـي (القـرطـاجـي فهـي منعـدمـة تمـامـا . واذا تمكـن عـلم الاثـار فـي الـوقـت الحـاضـر مـن الكشـف عـن بعـض النقـوش الفينيقيـة او البـونيـة (القـرطـاجيـة) كمـا اصطلـح عـلـى تسميتهـا او الليبيـة (المغـربيـة) فـان اغلبهـا بعيـد عـن مـوضـوع البحث .

ورغـم صعـوبـة المـوضـوع والمشـاكـل التـي تعتـرض البـاحـث فيـه خصـوصـا نـدرة المصـادر وقلـة المـراجـع الـتي تتنـاولـه فقـد ارتـأينـا لمـا لـه مـن اهميـة ان نتنـاولـه . ذلك ان الاستيطـان الفينيقـي ببـلاد المغـرب ومـا تـرتـب عنـه مـن نتـائـج يشكـل مـرحلـة هـامـة مـن تـاريـخ بـلادنـا وبـالاضـافـة الـى ذلك فـان تـاريخنـا عمـومـا والقـديـم منـه خصـوصـا وجـد فيـه الاجـانب بصفـة عـامـة والفـرنسيـون بصفـة خـاصـة ميـدانـا خصبـا يشكـلون حـوادثـه ويفسـرونهـا وفـق ميـولهم حينـا ورغبـاتهـم احيـانـا .

خدمة لاغراض خاصة لغياب العناصر الوطنية عن الميدان ، وتمشيا مع رغبتنا في التحرر الثقافي بخصوصه الواسع ، والذي نرى ان اول خطوة فيه هي اعادة كتابة تاريخنا وتخليصه من الزيف والتحوير الذي تعرض له ، اقدمنا على معالجة هذا الموضوع رغم ماينطوي عليه من صعوبات كما اسلفت .

ان الاستيطان الفينيقي ببلاد المغرب يشكل مرحلة هامة وخاصة في نفس الوقت في تاريخ المغرب العربي . فلا جدال ان الفينيقيين هم الذين ادخلوا المنطقة في العصور التاريخية ، وهذا باتفاق جميع المؤرخين وكذلك وذلك بادخالهم الكتابة الابجدية الى هذه البلاد ، وبالتالي ادخال الحضارة بخصوصها العام واخراج المنطقة من ثقافة العصور الحجرية ، ومن ثمة جعلوا منطقة المغرب تنفتح على حضارات البحر الابيض المتوسط اخذا وعطاء .

لقد كان مجيء الفينيقيين الى هذه البلاد يمثل في تقديرنا المرحلة الاولى من مراحل الاتصال ثم الارتباط بين مشرق ومغرب الوطن العربي الحالي ، ولذلك فهذه المرحلة جديرة بالعناية والدراسة فهي الفترة التي بدات فيها عملية تواصل الحضارة المشرقية السامية بهذه الديار والتي ما تزال والتي ما تزال بعض بقاياها (اقصد المرحلة) متمثلة في وجود بعض العادات والتقاليد الى يومنا هذا . هذا التواصل الذي تعزز في الفترات اللاحقة والذي بلغ مرحلة الاكتمال مع الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع الميلادي (القرن الهجري الاول) والذي اضاف الى وحدة العادات والتقاليد والسلوك الحياتي ونمط المعيشة ، وحدة الدين واللغة والفكر وقضى الى حد على ذلك الانقطاع الذي مثلته فترات الاحتلال الروماني والوندالي ثم البيزنطي .

هناك اهمية اخرى تتميز بها هذه المرحلة هي كونها تمثل ظهور اولى الكيانات السياسية ببلاد المغرب وذلك في القرن السادس قبل الميلاد ، وما بعده عندما تحولت قرطاجة نتيجة اسباب معينة وفي ظروف معينة كذلك من مجرد مدينة تجارية الى امبراطورية تشرف على كامل الساحل المغربي من طرابلس شرقا الى طنجة غربا بالاضافة الى بعض المناطق من جنوب اوربا . وهذا ما يحدث (على درجة) على درجة كبيرة من الاهمية في تاريخ

منطقة غرب المتوسط عموما وبلاد المغرب خصوصا .فقبل مجيء الفينيقيين وقبل ظهور الدولة القرطاجية لم تعرف بلاد المغرب الدولة بمفهومها الكامل سواء على نطاق ضيق فيما يعرف بـ "دولة المدينة" على غرار ما كان موجودا في بلاد الاغريق او على نطاق اوسع كما كان الحال في وادي النيل وبلاد الرافدين

كما انه الى جانب هذه الفترة ترجع بداية الصراع بين الشرق والغرب (الشرق الاسلامي والغرب الاوربي) او بتعبير ادق بين الشمال والجنوب لا ننا نرى انه الاقرب الى المعنى المقصود من تعبير الشرق و الغرب الذي ظل مستعملا منذ عدة قرون، في بلاد المغرب وذلك عندما بدأ الاغريق محاولا تهم التوسعية في بلاد المغرب، واصطدامهم بالفينيقيين القرطاجيين الذين تمكنوا بمساعدة المغاربة من ابعادهم عنه في نهاية الامر، الا ان النجاح الذي احرزه القرطاجيون كان موقتا . ذلك ان روما التي ورثت ممتلكات الاغريق في جنوب ايطاليا وصقلية ورثت عنهم صراعهم مع القرطاجيين ايضا والذي انتهى بغلبة روما على قرطاجة وبالتالي انتصار الشمال على الجنوب .ذلك الصراع الذي استمر عبر التاريخ ومايزال مستمرا في الواقع الى يومنا هذا .

لكل هذه الاعتبارات رأينا ان نتناول هذا الموضوع موضوع الاستيطان الفينيقي والصراع القرطاجي الاغريقي في غرب المتوسط بالبحث واعادة النظر في هذه الفترة من تاريخنا ، ذلك ان المؤرخين الغربيين سواء منهم القدماء كالاغريق واللاتين او المحدثين أي المعاصرين ،من الاوربيين بصفة عامة والفرنسيين بصفة خاصة، نظروا اليها من زاوية معينة وفسروا أحداثها تفسيرا يتفق مع وجهة نظر معينة وفي كثير من الاحيان مع مصالحهم ،بعيدا عن الحقائق التاريخية ، وأبرز مثال امامنا هو تلك الدراسات التي قام بها بعض المؤرخين الفرنسيين ان لم نقل جلهم ، والتي كرسوها للكشف عن الحضارة اللاتينية ببلاد المغرب سواء المادية منها كالاثار الرومانية ،أو الفكرية كالتركيز على شخصية القديس أوغسطين البوني (العنابي) على انه نتاج تلك الحضارة ، في محاولة للوصول الى حقيقة — من وجهة نظرهم — وهي ان تواجدهم — أي الفرنسيين — بهذه البلاد ليس غريبا أو جديدا وانما هو استمرار لما بدأه الرومان والوندال والبيز نطيون .

ولا ازعم انني أتيت بشيء جديد كل الجدة في الموضوع ، انما الغرض من هذا البحث هو اعادة النظر في هذه المرحلة الباكرة من تاريخنا ومحاولة تفسير مجريات أحداثها من وجهة نظرنا

وأقر كذلك بان هذه الدراسة يغلب عليها الطابع الذاتي وتعبير اصح الطابع الادبي ، لخلوها من البحث العلمي الميداني المعتمد على دراسة الشواهد المادية ، اذ اقتصرت على الروايات الواردة في كتب الاغريق والملاتين ودراسات المؤرخين المعاصرين التي هي الاخرى اعتمدت على نفس الروايات ، والسبب في ذلك يرجع الى عاملين أساسيين :

— اولا : ظرفي الشخصية وهي كوني غير متفرغ للدراسة بحيث يمكن لي ان اسافر للبحث عن المادة في منابعها وخاصة تونس وصقلية اللتان تعتبران المسرح الرئيسي لموضوع البحث ، واذا كان من اليسير التغلب على هذا العامل وذلك بالسفر اثناء العطل وهذا ممكن جدا الا انه مرتبط بعامل اخر اكثر اهمية وصعوبة ، وهو توفر الخبرة والمعلومات العلمية لدراسة الشواهد ، والتي تعتمد اساسا على علم الآثار واللغات القديمة والخطوط والنقوش والفخاريات ... الخ . وهذه كلها تحتاج الى تخصص وهذا ما لم اتوفر عليه .

— ثانيا : العامل الثاني هو طبيعة الموضوع ، فموضوع الدراسة وهو الصراع القرطاجي — الاغريقي في غرب المتوسط ، يغلب عليه الطابع العسكري ومثل هذه الموضوعات يندر ان نجد لها اثارا وشواهد مادية لها ارتباط مباشر بالموضوع . واعتبارا لكل هذه العوامل ، فقد جاءت الدراسة كما اسلفت خالية من الجدة من حيث المعلومات . واقتصرت على اعادة تفسير بعض المعطيات ومحاولة الوصول الى بعض الاستنتاجات التي غفل او تغافل عنها المؤرخون الذين تناولوا الموضوع سواء في القديم او في العصور الحديثة . واذن فاذا تمكنت هذه الدراسة من توضيح بعض النقاط الغامضة فيما يتعلق بظروف الاستيطان الفينيقي والاغريقي في غرب المتوسط ، وطبيعة الصراع الذي نشب بينهما وتنبيه بعض مثقفينا عموما ومؤرخينا بصفة خاصة الى ضرورة اعادة النظر في بعض الروايات والمعلومات التاريخية التي كان ينظر اليها على انها مسلمات لانه ذكرها فلان واقرها فلان من مؤرخي الغرب بصفة عامة والفرنسيين بصفة خاصة فانها تكون — اي الدراسة — قد حققت الهدف المتوخى منها .

وقد قسمت البحث الى مدخل واربعة ابواب وخاتمة . تناولت في المدخل الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة غرب المتوسط في اواخر الالف الثانية وبداية الالف الاخيرة ق م . وهي الفترة التي توافق بداية الاستيطان الفينيقي بمنطقة غرب المتوسط عموما وبلاد المغرب خصوصا . اما الباب الاول الذي قسمته الى فصلين فقد تناولت فيه بداية الاستيطان الفينيقي والاغريقي في غرب المتوسط ابرزت فيه العوامل التي دفعت كلا الجماعتين الى الهجرة والعوامل التي ساعدتها على الاستيطان بالمنطقة .

اما الباب الثاني والذي قسمته الى ثلاثة فصول فقد خصصته لنشأة مدينة قرطاجة

Text Stamp

والسمنايسة الخاصة التي حظيت بها ، وحاولت ان اضح ظروف واسباب نشأة المدينة في اطارها الصحيح واخرجها من القالب الاسطوري الذي ارتبطت به ، ثم قيام الدولة القرطاجية والعوامل التي كانت وراء ذلك والدور الذي لعبته في ابعاد النفوذ الاغريقي عن بلاد المغرب ، واشرت بايجاز الى النظام السياسي للدولة القرطاجية . كما تطرقت في هذا الباب الى الاستيطان الاغريقي في اقليم برقة بلسيبيا ونشأة مملكة قورينة ثم العلاقة بينها وبين الدولة القرطاجية .

وفي الباب الثالث الذي قسمته الى فصلين فقد تناولت فيه التواجد الفينيقي والاغريقي في صقلية والعلاقات بينهما ثم الصراع بين الطرفين واسبابه ، ذلك الصراع الذي طبع العلاقات بين الفريقين في الجزيرة والذي دام اكثر من ثلاثة قرون ثم امتداده الى عموم منطقة غرب المتوسط ، والذي تحول في نهاية الامر الى صراع قرطاجي — روماني وانتهى بنهاية قرطاجة نفسها سنة 146 ق . م .

اما الباب الرابع والاخير والذي قسمته الى اربعة فصول فقد خصصته لحملة اغاثوكليس على بلاد المغرب او على افريقيا كما هو شائع ، والنتائج التي ترتبت عنها سواء بالنسبة لقرطاجة وبلاد المغرب او بالنسبة للاغريق ، والدوافع التي كانت وراء هذه الحملة ، وان كانت من حيث الاطار العام ، تعتبر استمرارا للصراع بين القرطاجيين والاغريق في صقلية وغرب المتوسط . والواقع ان هذا الباب والذي سبقه يشكلان النقطة الرئيسية في موضوع "" الصراع الاغريقي — القرطاجي في غرب المتوسط "" وختمت البحث بخلاصة اوجزت فيها مجمل النتائج التي يمكن استخلاصها منه .

المدخل

عوامل التوسع الفينيقي والاغريقي في غرب المتوسط

المدخـــــــــــــل

لمحـــة مـوجـزة عن اوضـاع الحـوض الغربي للمتوسط في بداية الالف الاخيرة ق.م

سنحـاول في هذه اللمحة الموجزة التعرف على الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمناطق الحوض الغربي للمتوسط في بداية الالف الاخيرة ق.م وقبل ذلك لابد من تحديد الاطار الجغرافي لهذه المناطق .

يقصد بمجال الحوض الغربي المتوسط تلك المناطق المطلة على الجزء الغربي من حوض البحر الابيض المتوسط اي ما يعرف بشمال افريقيا جنوبا وشبه جزيرة ايبيريا غربا ، وجنوب غاليا وليغوريا (1) Ligurie شمالا وشبه جزيرة ايطاليا وجزيرتا صقلية ومالطا شرقا فيما فيما في ذلك الجزر الواقعة في هذه المنطقة اي سردينيا وكورسيكا والباليار . على ان الذي يهمنا بالدرجة الاولى هو منطقة شمال افريقيا اي بلاد المغرب (2) التي ستكون محور دراستنا في هذا البحث ولذلك سنحاول تحديدها بشكل ادق .

ان المقصود بشمال افريقيا ـ بلاد المغرب ـ هي تلك المنطقة الممتدة جغرافيا ما بين مضيق جبل طارق وراس بون (الراس الدايب) شمالا وبين خليج قابس والاطلس الداخلي بالمغرب الاقصى جنوبا (3) ، ويمكن ان نضيف اليها المنطقة الغربية من ليبيا (منطقة طرابلس) اي منطقة السيرتين (سيرت الكبرى وسيرت الصغرى) (4) التي كانت تابعة للامبراطورية القرطاجية وظلت في اغلب مراحلها التاريخية تابعة لمنطقة شمال افريقيا التى سبق تحديدها (5).

لقد اعطيت اسماء مختلفة لمنطقة شمال افريقيا (6) نذكر منها اسم جزيرة المغرب الذي اطلقه الجغرافيون العرب لكون هذه المنطقة محاطة بالبحر من ثلاث جهات هي الغرب والشمال والشرق ومن الجنوب ببحر من الرمال هو الصحراء الافريقية الكبرى (7) وهي تعتبر بحق جزيرة . على اننا سنستعمل منذ الآن هذا المصطلح مع الاشارة الى اننا نقصد بذلك المنطقة المعروفة اليوم باسم المغرب العربي مضافا اليها منطقة طرابلس اي غرب ليبيا .

اما المناطق الاخرى من الحوض الغربي للمتوسط فهي محددة طبيعيا ما عدا جنوب غاليا (فرنسا) ولا يهمنا منها الا الشريط الساحلي المتوسطي الذي كان اكثر اتصالا بمنطقة المتوسط . اما النواحي الشمالية فقد كانت اكثر اتصالا بالقارة الاوربية اي بالشمال اكثر منها بمنطقة المتوسط . فكل من اسبانيا وايطاليا عبارة عن شبهي جزيرة تمتد كل منهما داخل المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط وتحصران الحوض الغربي للمتوسط غربا وشرقا ونظرا للموقع الجغرافي لهاتين المنطقتين (اسبانيا وايطاليا) فقد كانتا شديدتي الاتصال بمنطقة المغرب العربي فاسبانيا لا يفصلها عن الطرف الغربي للمغرب الا مضيق جبل طارق الذي لا يتجاوز عرضه خمسة عشرة (15) كم .

فهي بذلك اقرب مناطق من القارة الاوربية الى بلاد المغرب ، كما ان المسافة الفاصلة بين راس بون (الراس الابيض) في شرق تونس والطرف الغربي لجزيرة صقلية صغيرة نسبيا ، (200 كم) ولذا نجد هاتين المنطقتين قد خضعتا تقريبا لنفس الظروف والمراحل التاريخية الكبرى التي خضعت لها بلاد المغرب مع فارق قليل . فالتوسع الفينيقي في غرب المتوسط شمل كلا من بلاد المغرب وغرب صقلية وجزر البحر التيراني وجنوب اسبانيا . ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بانه كانت للفينيقيين مراكز تجارية في السواحل الغربية لايطاليا وجنوب غاليا [8]. كما ان التوسع الاغريقي شمل هو الاخر كلا من شرق صقلية وجنوبي ايطاليا وغاليا وشرق ايبيريا ومنطقة برقة في شمال افريقيا وحاولوا مد نفوذهم غرب منطقة برقة لو لم يتصد لهم القرطاجيون ويبعدونهم عنها .

وفي العهد الروماني اصبحت المنطقة كلها بعد ان قضت روما على الممالك الوطنية والدولة القرطاجية قبل ذلك تحت هيمنة الامبراطورية الرومانية . وفي القرن السابع الميلادي استطاع العرب المسلمون بعد فتح المغرب ، ان يمدوا سلطانهم الى كل من اسبانيا (الاندلس) وجزيرة صقلية وجزر الباليار . وهكذا نجد المنطقة الغربية من المتوسط خضعت كلها لنفس المراحل التاريخية تقريبا .

وسنحاول فيما يلي التعرف على الاسباب التي جعلت من منطقة غرب المتوسط ~~لمنطقة~~ منطقة جاذبة لسكان المنطقة الشرقية لحوض البحر الابيض المتوسط وبالتالي معرفة ~~الاسبا~~ الاسباب التي حالت دون ظهور قوة سياسية كبرى في المنطقة تقف في وجه المد ~~الات~~ الاتي من الشرق مثلما فعلت روما في وقت متأخر .

ان الاجابة على مثل هذا السؤال تتطلب بحثا دقيقا وافيا وربما دراسة مستقلة بذاتها ، غير اننا مع ذلك سنحاول وباختصار شديد ، الاشارة الى اهم العوامل التي حالت دون ظهور قوة سياسية وعسكرية كبرى في المنطقة الغربية من المتوسط .

يبدو ان العامل الاساسي الذي حال دون ظهور مثل تلك القوة في هذه المنطقة على غرار القوى التي ظهرت في المشرق خصوصا في مصر واسيا الغربية هو عامل حضاري بالدرجة الاولى . فقد بقيت المنطقة الغربية من المتوسط تعيش ولفترة طويلة في عصور ما قبل التاريخ ولم تدخل في العصور التاريخية الا في وقت متأخر اي في اواخر الالف الثانية ق . م . مع الوافدين الجدد من فينيقيين واغريق حيث بدا سكان المنطقة يتأثرون بهم نتيجة الاحتكاك والاتصال المباشر وبدأوا يخرجون

تدريجيا من ثقافة العصر الحجري الحديث (النيوليتي) التي كانوا عليها قبل ذلك فعلى الرغم من انتشار الزراعةفي في كل من المغرب وايطاليا واسبانيا ، الا ان ذلك لم يؤد الى ظهور مدن كبيرة ذات انظمة سياسية واجتماعية متطورة مثلما حصل في وادي النيل وبلاد الرافدين اوفي بلاد الاغريق في وقت لاحق بحيث تنجح احدى تلك المدن في فرض سيطرتها على المناطق المجاورة لها ثم على كامل الجهة على غرار ما فعلت قرطاجة وروما بعدهما . وهذه الملاحظة ستقود ناحتما الى طرح السؤال التالي : وهو لماذا لم تظهر مثل هذه المدن من قبل ؟

يبدو ان عدم الاستقرار هو الذي حال دون ذلك . فايطاليا مثلا كانت دوما معرضة لقدوم هجرات جديدة اتية من الشمال . وهذه الهجرات كانت دوما تحدث انقلابا في الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما ان الاقوام الجبلية القاطنة بالمناطق الالبية الشمالية والشرقية كانت دوما تقوم بغارات على سكان المناطق السهلية كاتروريا واللاتيوم [9] حيث نشات روما ،وقد جعلت تلك الغارات تاريخ ايطاليا القديم كثير التقلب[10] .وعلى سبيل المثال نذكر الهجرة التي قامت بها جماعة من فيلا نوفيا — pilanovia حوالي العام 1000 ق . م . فعبروا نهر التيبر واستقروا في منطقة اللاتيوم ،ولا يعرف ما اذا كان هؤلاء المهاجرون قد تغلبوا على سكان المنطقة الاصليين الذين كانت ثقافتهم لا ترقى عن ثقافة اهل العصر الحجري الحديث[11] واخضعوهم لسيطرتهم ام انهم امتزجوا بهم بطريقة سلمية عن طريق التزاوج . هؤلاء الفيلانوفيون هم الذين اصبح يطلق عليهم فيما بعد على مايبدو باسم الامبريين[12] وهم الذين اصبحوا يسيطرون على المنطقة التي ستعرف باسم اتروريا قبل ان تخضع لسيطرة الاتروسك . ويبدو ان نفوذهم بناء على ما يراه بعض المؤرخين لم يمتد الى الناحية الشرقية المحاذية لسواحل البحر الادرياتيكي اذ اصطدموا بمقاومة سكان منطقة بيكينوم — Pecenum[13] . الا ان تاثير الحضارة الفيلانوفية قد امتد الى الجهات المجاورة للمنطقة التي سيطر عليها الفيلانوفيون . فقد عثر بعد الحرب العالمية الثانية على بعض اثار تلك الحضارة في مناطق فيرمو Fermo وانكوم — Ancôn وخصوصا في مقاطعة سليرن — Salerne[14].

وقد بقيت هذه الحضارة منغلقة على نفسها مدة طويلة ثم بدات تنفتح على الحضارات الشرقية شيئا فشيئا خصوصا الحضارة الاغريقية . فمظهر الحضارة الفيلانوفية هو الذي اخذته الحضارة التي ظهرت في وقت لاحق في شمال ووسط ايطاليا والتي يطلق عليها

هال شتات Hallstatt - (15) وحضارة عصر الحديد الاول (16) ؛ غير ان هذه الحضارة لم تكن قادرة على خلق قوة سياسية في المناطق فعلى الرغم من وجود قرى زراعية في المناطق التي سيطر عليها الفيلانوفيون والتي اخذت تتجمع فيما بعد وينضم بعضها الى بعض لتتكون منها مجموعة من المدن المستقلة . الا انها كانت متحاسدة ومتنافرة لاتجمع بينها الا الاعياد الدينية السنوية (17) . وكانت كبرى تلك المدن مدينة البا لونجا Alba-Longa - الواقعة في سفح جبل البان - Alban - ويبدو ان الطابع الزراعي هو الذي كان يغلب على حياة سكان هذه المناطق اي انها كانت تخضع لنوع من الحكم الاوليغارشي الذى يسيطر عليه كبار الملاك الزراعيين ولذا لم تنشط فيها الحياة السياسية على غرار المدن الاغريقية التي ستنشأ في المناطق اي في جنوب ايطاليا ابتداءا من القرن الثامن ق م .

اما الاتروسك Etrusques - (18) الذين وفدوا على ايطاليا حوالي القرن الثامن ق . م والذين سيطروا على معظم القسم الشمالي قبل الرومان وفي البعض بانهم لم يظهروا بشكل واضح الا في القرن السابع ق . م . مع ظهور القبور الخرفية (19)

وقد استوطن هؤلاء الاتروسك وادي كلانيس Clanis - في وسط مناطق اومبريا غير انهم تقدموا فيما بعد من مد نفوذهم الى النواحي الغربية حيث اسسوا مدينة بوبولونيا - Popolonia - على شاطئ البحر التيراني . وقد وصل الاتروسك الى اوج قوتهم في القرن السادس ق . م حيث امتدت سيطرتهم من سهل البو شمالا الى كامبانيا جنوبا (20) غير ان قوة الاتروسك لم تستمر وقتا طويلا اذ تمكن الرومان من الاطاحة بالحكم الملكي الاتروسكي الذي كانت تمثله اسرة تاركوينوس آخر الاسر الملكية الاتروسكية حوالي عام 509 ق . م .

لقد كان الاتروسك موزعين في مدن على غرار المدن الاغريقية وداخل هذه المدن كانت القبائل الاتروسكية تحتفظ بتقليد قديم وهو التمييز السلالي - العصبية القبلية - الامر الذي ادى الى ضعف الروابط بين سكان المدينة الواحدة (21) وكان يحكم هذه المدن ملوك ثم عملت الارستقراطية على الاطاحة بالنظام الملكي . وكانت الاتروسكية منضمة في اتحادات : فهناك اتحاد يجمع بين المجموعة المعروفة بمؤتمر الاثنى عشر شعبا وبين سكان اورفييتو Orvieto - وفونوم - Fonum

وفولتومناي - Voltumnae - واتحاد آخر يجمع بين سكان سهل البو الاتروسكيين (22)

Text Stamp

وكان لكل مدينة علي مابيد و ممثل او ممثلون يطلق علي كل منهم اسم ناظر Maru

او قاضي Eilath وفي الواقع اننا لانعرف درجات هؤلاء الممثليين بشكل مضبوط(23)

ورغم تفوق الاتروسك من الناحية الحضرية، علي سكان ايطاليا القدامي الا انهم

كانوا ايضا شعبا يغلب علي حياتهم الطابع الزراعي، ولكنهم كانوا الي جانب الزراعة

يمارسون بعض الصناعات، فقد استثمروا مناجم النحاس والحديد في جزيرة البا

واهتموا ايضا بصناعة الفخار التي اخذوها عن الاغريق (24)،

ومن الناحية العسكرية فقد انشا الاتروسك قوة بحرية لهم في البحر الادرياتيكي

وتحالفوا مع القرطاجيين للحيلولة دون توغل الاغريق في النواحي الغربية

من المتوسط وكان ذلك التحالف موجها علي الخصوص ضد الفوسيين Phoceens

الذين كانوا في مستوطنة الاليانسي كورسيكا(25) غير ان هزيمتهم في معركة كوماي Cumae

سنة 474 ق م كانت بداية لانهيار قوتهم البحرية الامر الذي سيساعد علي تقوية التواجد

الاغريقي في جنوب ايطاليا وصقلية،

اما الحضارة الاتروسكية التي يمكن التعرف علي ملامحها في الفن والدين واللغة، فلم

تستطع الصمود امام الحضارات الاتية من الشرق (شرق المتوسط)، فالاتروسك كانوا شديدي

الاقبال علي الحضارات الشرقية خاصة الاغريقية التي قلدوها ونشروها بحماس كبير

فيما بينهم وفي المناطق المجاورة لهم(26) ونخلص من هذا كله الي ان ايطاليا كانت

مهياة لاستقبال وافدين جدد،

اما اسبانيا فلم تكن حالتها من الناحية الاجتماعية تختلف عن المغرب فالقبائل

البدائية التي كانت تسكنها والتي تعيش علي الزراعة فلم تتمكن من استغلال الثروات

التي كانت تزخر بها البلاد(27)، ورغم وجود مملكة طرشيش (طارتيسوس)(28) في دلتا النهر

الكبير والتي كان بحارتها يقومون بجلب القصدير من جزر الكاستيريد س asseterides الواقعة

شمال اسبانيا في المحيط الاطلسي، حسبما ذكره بعض المؤرخين(29) فيرانه من المشكوك

فيه بان سكان طرشيش كانوا فعلا يقومون بجلب القصدير من جزر الكاستيريد س في حين انهم

كانوا عاجزين عن استغلال الثروة الموجودة في بلادهم كما اشرنا الي ذلك من قبل، وعلي كل فان هذه ال

المملكة لم تكن علي درجة من القوة بحيث تستطيع بسط نفوذها علي المنطقة

Text Stamp

نفوذ هام على كامل شبه جزيرة ايبيريا وبالتالي صد الوافدين اليها سواء الفينيقيين الذين استوطنوا قادس منذ اواخر الالف الثانية ق . م او الاغريق الفوسيين الذين اتخذوا من مستوطناتهم مسليليا في جنوب غاليا قاعدة انطلاق نحو السواحل الاسبانية .

ولم تكن اما احوال المغرب في اواخر الالف الثانية وبداية الالف الاخيرة ق . م / افضل مما كانت عليه بقية مناطق الحوض الغربي الاخرى سواء من الناحية الاجتماعية او السياسية او الحضارية بصفة عامة . (30) فالممالك او الدول بالمعنى الحقيقي لم تظهر الا في القرن الثاني ق . م . (31) او اواخر الثالث على اكثر تقدير . والنظام الاجتماعي الذي كان سائدا في المغرب غداة مجيء الفينيقيين هو النظام القبلي الذي يعتمد على الروابط الدموية اكثر من اعتماده على الروابط الاجتماعية الاخرى .

ويمكن ان نتوقع بانه كان يحدث في بعض الحالات وخصوصا في الحروب ان يتكون اتحاد او تحالف يضم مجموعة من القبائل المتجاورة لصد المغيرين القادمين من مناطق اخرى عن المنطقة التي تقطنها تلك القبائل وتعتبرها منطقة خاصة بها . كما انه من الممكن ان نتوقع حدوث اتحاد اجباري كان تفرض احدى القبائل القوية هيمنتها على القبائل الصغيرة المجاورة لها . الا ان تلك الاتحادات لم تتطور وتتجمع في تكوين دولة بالمعنى الحقيقي والسبب في ذلك انها كانت اتحادات مؤقتة (32) اذ سرعان ما ينفرط الاتحاد بمجرد زوال الخطر الخارجي او لضعف القبيلة المهيمنة .

اما المملكة المغربية (الليبية) التي تتحدث عنها بعض المصادر والتي كانت موجودة غداة تاسيس مدينة قرطاجة في اواخر القرن التاسع ق . م . (814 ق . م) فان معلوماتنا عنها ضعيفة جدا وفي غاية من الغموض . ولا نعتقد بانها كانت مملكة بالمعنى الحقيقي . والارجح انها كانت مجرد قبيلة تسكن المنطقة المجاورة لقرطاجة . فتيمي — Timee — (33) الذي اشار الى الملك الذي كان يحكم هذه المملكة لم يحدثنا اسمه (34) . واذا ما افترضنا ان جوستان Justin اخذ عنه فقد كان اسم ذلك الملك " هيرباس " — Hiarbas — او " ايارباس " غير ان هناك رواية اخرى مفادها وانه في الوقت الذي بنيت فيه قرطاجة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ق . م . كان يحكم افريقيا (منطقة قرطاجة فيما بعد) اميرو غير ان الرواية لا تحدثنا اسم " ايارباس " السابق الذكر

Text Stamp

وسيسولان - Solin - بان كاتون الخطيب الروماني الشهير، قال في احدي خطبه في مجلس الشيوخ: ((بانه في الفترة التي كان يحكم فيها "يابون" - Iapon - ليبيا اسست الفينيقية "طيسة" مدينة قرطاجة.)) (35) ويعتقد جزيل بان يابون هذا، هو نفسه "يوبا ص" الذي ذكره سيرفيوس - Servius - ويقول عنه ربما الاصح هو "يوبا" بدلا من يابون الذي ورد في رواية سولان (36) وقد اعتمد جزيل في تاويله هذا، علي بعض الشواهد التاريخية لعصور لاحقة وهي اننا نجد اسم "يوبا" في عهد الممالك النوميدية. هذا كل ما لدينا عن هذه المملكة المزعومة.

واذا انتقلنا الي الناحية الاقتصادية، فاننا سنلاحظ ان منطقة الحوض الغربي من المتوسط لم تكن مستغلة بشكل جيد، سواء من الناحية الزراعية او في استخراج المعادن. وهذا يعود بطبيعة الحال، الي التاخر الحضاري الذي كانت تعاني منه المنطقة كما اشرنا الي ذلك من قبل.

فعلي الرغم من ان الزراعة كانت منتشرة ومعروفة منذ العصر الحجري الحديث، الا انها لم تصل من حيث وسائل الانتاج، الي الدرجة التي كانت عليها في منطقة الحوض الشرقي. ولكن مع الوافدين الجدد من فينيقيين واغريق ستتحول سهول ايطاليا والمغرب وسواحل اسبانيا الي مزارع للحبوب وبساتين للكرم والزيتون. فسهول كمبانيا في ايطاليا وسهول صقلية وشمال المغرب كانت تنتج محاصيل وفيرة من الحبوب والكروم والزيتون. (37).

وكانت هذه السهول افضل بكثير من اراضي الاغريق الصخرية المجدبة واراضي فينيقيا الضيقة المحصورة في شريط ساحلي علي شاطئ البحر الابيض المتوسط فبالاضافة الي خصوبتها من الناحية الطبيعية، لي صلاحيتها للزراعة، كانت تحتوي علي موارد منجمية هامة خصوصا في ايطاليا واسبانيا، والتي صارت فيما بعد مصدر ثراء، في حين ان الاراضي الاغريقية مثلا كانت خالية من مثل هذه الموارد (38). فالذهب كان موجودا بوفرة في كلابريا - Calabri - واتروريا وجزيرة إلبا بايطاليا. كما ان جزيرة سردينيا كانت غنية بالرصاص، واسبانيا كانت بها مناجم الفضة التي جذبت التجار الفينيقيين. بالاضافة الي ذلك فان المناطق الرعوية (الاستبس) في جنوب المغرب كانت اقل جفافا مما هي عليه اليوم.

Text Stamp

فقد كانت منطقة لصيد الحيوانات البرية كالفيلة مثلا (39) التي كانت انيابها تستخدم في صناعة الحلي والعاج الذي كان من المواد الثمينة في ذلك الوقت . كل هذه الثروات كانت غير مستغلة الاستغلال الكافي ، وربما ان بعضها لم يكن مستغلا اطلاقا و ذلك لتاخر المنطقة في المجال الصناعي . يضاف الي هذا الا كله وجود الخلجان الصالحة لاقامة الموانئ ، والتي صارت فيما بعد ملتقى للتجار . ففي خلفية خليجي السيرتين كانت تنتهي الطرق التجارية الاتية من بلاد السودان والواحات وكذلك في جليج تونس حيث انشئت مدينة قرطاجة فيما بعد . كما ان خلفية البحر الادرياتيكي كانت نقطة انطلاق للطرق التجارية باتجاه وسط وشمال اوربا شمالا ومنطقة الدانوب شرقا .

وبقاعدة هرقل (جبل طارق) في اقصى الغرب كانت تتم الاتصالات بين البحارة الشرقيين وعلي الخصوص الفينيقيين وبين القوارب الاتية من شمال اوربا الغربية بمحاذاة السواحل الاطلسية (40) . كل هذه العوامل كانت تجذب سكان الحوض الشرقي ، الذين كانوا متقدمين في المجال الصناعي ، والذين تمكنوا من استغلال موارد المنطقة استغلالا جيدا ، سواء في الزراعة او في الصناعة او في التجارة بشكل خاص والتي اصبحت مثار صراع وتنافس بين الفينيقيين والاغريق .

نخلص من هذه اللمحة الموجزة الي ان منطقة الحوض الغربي من المتوسط كانت مهياة سياسيا واقتصاديا وحضاريا لاستقبال وافدين جدد ، الامر الذي ساعد كلا من الاغريق والفينيقيين علي الهجرة الي هذه المنطقة والاستقرار بها ، والتي بدات بالتوسع التجاري وانتهت بالاستيطان وهذا ما سنعالجه في الصفحات المقبلة .

هوامش الفصل

(1) المنطقة ليغوريا Ligueie : المنطقة المحيطة الساحلية الواقعة شمال غرب ايطاليا وهي المنطقة المحيطة بخليج جنوة .

(2) نستبدل "مصطلح شمال افريقيا" بـ "مصطلح بلاد المغرب" لان شمال افريقيا من الناحية الجغرافية يمتد حتى مصر وهي منطقة لا تدخل في نطاق البحث الذي يقتصر موضوعه على منطقة الحوض الغربي للمتوسط .

(3) Stephane GSELL; Histoire Ancienne de l'AfriqueduNord T.I Alger 1913, p. I

(4) يقصد بخليج سيرت الصغرى خليج قابس بليبيا اما سيرت الكبرى فهي الخليج المعروف بخليج سيرت وينحصر مابين بني غازي شرقا ومصراتة غربا على الساحل الليبي .

(5) ظلت المنطقة الغربية من ليبيا او منطقة طرابلس تابعة لمنطقة افريقية (تونس) في اغلب مراحلها التاريخية خاصة في العهدين القرطاجي والرومانـي ، وكذلك في العهدين الموحدي والحفصي .

(6) في موضوع التسمية انظر : شارل اندري جوليان تاريخ افريقيا الشمالية الجزء الاول تعريب : محمد امزالي والبشير بن سلامة تونس 1969 ص. 11 .

(7) تستثنى من هذه التسمية منطقة طرابلس .

(8) S. GSELL; H.A.A.N; T.I, P. 402.

يقول ت. مومسن TH. Mommsen بانه كان للفينيقيين مركز تجاري في جنوب ايطاليا يدعى "كوري" COERE والدليل على ذلك ان المنطقة المجاورة لها تحمل اسم "بونيكوم" Punicum وايضا الاسم الثاني لكوري "اجيلا" Agylla والتي تعني المدينة المدورة او المستديرة Ville Ronde لاستدارة سورها الخارجي ، انظر :

TH. MOMMSEN; Histoire Romaine; Trad. par P.C.Alexandre; Paris, 19 1863, pp.174-175.

Text Stamp

(9) اتروريا - Etrurie منطقة في ايطاليا الوسطى شمال منطقة روما وهي منطقة توسكانيا - Toscane - الحالية . اما اللاتيوم - Latium - فهي الاخرى منطقة في ايطاليا الوسطى وهي المنطقة المحيطة بروما مابين جنوب اتروريا على ساحل البحر التيراني .

(10) Andre PIGANIOL; La conquête Romaine, Paris 1967, P.4

(11) ويل ديورانت قصة الحضارة ج. 1 المجلد الثالث ترجمة : محمد بدران ، القاهرة 1967 ، ص. 26.

(12) A. PIGANIOL; Laconquete ROMAINE ; P. 34.

(13) A. PIGANIOL; Histoire deRome ; Paris 1949, P.4

(14) JacquesHEURGON.; Rome et la Mediterranee occidentale Paris ~~ic~~ 1969, P. 72.

(15) هال شتات او هال شتادت Hallstatt, Hallstadt اسم قرية تقع اليوم في النمسا .

(16) ~~J. HEURGON~~ A. PIGANIOL; Histoirede Rome ; P.4.

Paul PETIT, precis d'histoire Ancienne, Paris 1967, P.197.

(17) ويل ديورانت قصة الحضارة نفس المرجع السابق ص. 26 .

(18) فيما يتعلق باصل الاتروسك انظر : A.PIGANIOL?, Histoire de ROME , P. 7 et suiv.

(19) A. PIGANIOL, Ibid , P.8

(20) Ibid; P.9

(21) Ibid; P.IO

(22) Ibid; P.II .

(23) PaulPETIT, precis d'histoire Ancienne , P. ~~ic~~ 199.

(24) A. PIGANIOL, HISTOIRE deRome , P. II.

S.GSELL?, H.A.A.N. T.I,P.425. (25)

J.HEURGON,Rome et la Mediterranee occidentale,P.II3 (26)

Lagrande Encyclopedie,Paris (s.d.) , T. I6,P.322,col.I (27)

(28) —هناك جدل كبير حول كلمة طرشيش Tarshish فهل هي مملكة
ام مجرد اسم لمدينة ام انها اسم لمدينة ومملكة في نفس الوقت، انظر :
S.GSELL, HAAN?, T.I,P.4I5,No.3.

A.PIGANIOL,la Conquete Romaine,P?. 40. (29)

(30) يقول ج. توتان — J.TOUTAIN — : ((بانه في الوقت الذي انشأ
فيه البحارة الصوريون والصيدونيون مراكزهم الاولى على سواحل المغرب
فان سكانه لم يكونوا قد تجاوزوا حضارة العصر الحجري، فقد كانوا يعيشون
حضارة العصر النيوليتي، ومن المحتمل ان اقدم الأدوات المعدنية المكتشفة،
قد جاءتهم من وراء البحر)) انظر : J.TOUTAIN,l'economie
Antique,Paris I927, P.4

A.PIGANIOL, la Conquete;P.4 (31)

S.GSELL; HAAN, T.I,P.24I. (32)

D'apres S.GSELL,IBID; P.388. (34) (33)

Ibid.P.388. (35)

Ibid.P.388. (36)

(37) اورد موسكاتي نقلا عن بلين (بلينيوس) — Pline بيانا عن بعض اشجار
الزيتون في الاراضي القرطاجية كانت تدعى "الألفية" لأنها كانت تنتج
الف رطل سنويا لي حوالي 327 كغ . انظر : S.MOSCATI,
l'epopee des Pheniciens Paris I960 ,P. 239.

A. PIGANIOL,la Conquete, P.3 (38)

Ibid. P?.4 (39)
Ibid. P. 3 (40)

الباب الاول

بداية الاستيطان الفينيقي والاغريقي في غرب المتوسط

ونحن لانطيل الوقوف عند
، انما تعتبر نقطة ثانويـة

فينيقيا هو أينا جزء من التاريـخ
(سوريا وفلسطين) تأثير كبيرعلى تاريخها

السياسي والاقتصادي والثقافي .(6) فقد كانت هذه المنطقة ذات موقع استراتيجي هام ، اذ كانت وما تزال منطقة عبور واتصال بين كل من مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى ، أي أنها كانت من الناحية التجارية تقع في ملتقى ومفترق أهم الطرق التجارية لعالم الشرق الأوسط. ولقد قامت في كل من مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى امبراطوريات عظيمة . ونظرا للأهمية الاقتصادية والعسكرية التي كانت تتمتع بها سوريا ، فقد كان الصراع والتنافس مستمرين بين الدول الكبرى المجاورة لسوريا (مصر- الحيثيون- الاشوريون ...) للسيطرة عليها . ولقد بلغ ذلك التنافس أوجه ، خصوصا بين المصريين والحيثيين ، في الفترة التي سبقت الهجرة الفينيقية الى غرب المتوسط. وكان على الدويلات الكنعانية أو الفينيقية مثل عكا وصور وصيدا و جبيل و اوغاريت (رأس شمرا) وغيرها . وكذا دويلات الاموريين الموجودة في الداخل مثل حلب وقادنة ، أن تتحرك في هذا الوسط المتناقض (7) المتصارع ، مع محاولة الحفاظ على وجودها ، ولو في تبعية لهذا الطرف أو ذاك تمشيا مع الظروف. أضف الى ذلك ، هجرة شعوب البحر وما تبعها من غزوات وحروب وما أحدثته من انقلاب في موازين القوى السياسية بالمنطقة ، واستعادة الاتصال المباشر مع الاغريق الميسينيين الفارين من الغزو الدوري لبلاد اليونان ، والذين أقاموا لهم مراكز في السواحل الغربية والجنوبية لآسيا الصغرى . كل ذلك أحدث انقلابا كبيرا في منطقة آسيا الغربية وما وراءها . (8)

وقد عرف الفينيقيون كيف يستفيدون من هذه الأحداث لتنمية تجارتهم واقتصادهم . فمنذ القرن الرابع عشر ق م . حسبما تدل على ذلك الوثائق المكتشفة في تل العمارنة بمصر ، حاول الفينيقيون الاستفادة من مظاهر الجمود التي بدأت تظهر على الامبراطورية المصرية (الدولة الحديثة) التي كانت تهيمن على فينيقيا بصفة عامة ، لكي يحصلوا على بعض الحرية ، (9) التي استغلوها في تنمية تجارتهم ، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال ، الى انشاء المراكز التجارية في جزر وسواحل جنوب المنطقة الشرقية من المتوسط . ويتبين لنا من هذا ، أن الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في المتوسط والمنطقة الغربية منه بشكل خاص، كان دافعا اقتصاديا تجاريا ، ساعدته بعض العوامل والظروف السياسية التي سبقت الاشارة اليها ، ويؤيد هذا الرأي بعض المؤرخين الحديثين (10).

وهناك أسباب أخرى ذكرها بعض المؤرخين القدماء . فقد أورد سالوست Salluste مانصه : ((قام الفينيقيون ، بعضهم لكي يخفف من الضغط السكاني في بلاده ، وبعضهم مدفوعا بروح الفتح ، نظموا أنفسهم وجمعوا الناس المتشوقين الى المغامرات وجاءوا الى سواحل (افريقيا) ...)) (11) .

واذا ما حاولنا مناقشة هذه الرواية فانه يتبين لنا أن قسما منها على الأقل ، لايمكن الأخذ به ، ولا ينطبق على الهجرة الفينيقية الأولى التي تضعها الروايات التقليدية ، في أواخر القرن الثاني عشر ق . م .

ففينيقيا لم تكن تشكو ضغطا سكانيا في هذه الفترة ، ويؤيد ذلك أن الهجرة الفينيقية الأولى ، لم تكن هجرة جماعية ، ولم تكن تعتمد على الفتح ، كما ورد في الرواية ، بل كانت مجرد جماعات صغيرة ، دافعها الأول هو التجارة . ويبدو أن سالوست لم يكن يعرف الأسباب الحقيقية التي دفعت الفينيقيين الى الهجرة ، وانما بنى روايته على مجرد الاستنتاج الذي يمكن أن يكون قد استوحاه من أسباب الهجرة الاغريقية ، على أن الجزء الأخير من الرواية يمكن أخذه بعين الاعتبار ، لأن عامل المغامرة لا بد وأنه كان من العوامل المساعدة على اقتحام الأماكن المجهولة . أما فكرة التخفيف من الضغط السكاني ، فربما انها وجدت في الفترة المتأخرة فقط ، أي عندما ازدهرت بعض المدن الفينيقية كصور وصيدا نتيجة ازدهار التجارة ، ثم أصبحت هاتان المدينتان تقيمان المستوطنات في أماكن مختلفة من المتوسط ، والتي كانت في البداية عبارة عن محطات ومراكز تجارية ، أي أن تلك المستوطنات هي الأخرى أقيمت بدافع المحافظة على استمرار التجارة مع البلدان التي أقيمت فيها .

ونجد بعض المؤرخين المحدثين ، يضيف أسبابا أخرى للهجرة الفينيقية ، تتمثل في اضمحلال البحرية الميكنية (12) بعد الغزو الدوري لبلاد اليونان ، الأمر الذي أدى الى فتح المجال أمام البحرية الفينيقية للتوسع والازدهار ، على أن هذا لا يعدو أن يكون — في نظرنا — عاملا مساعدا فقط . اذن تلك هي أهم الأسباب التي أدت الى التوسع الفينيقي في الحوض الغربي من المتوسط ، وهي أسباب دافعة — ان صح هذا التعبير — بالاضافة الى الأسباب الجاذبة التي أشرنا اليها عند الحديث عن منطقة الحوض الغربي من المتوسط في بداية الألف الأخيرة ق . م .

ويحق لنا أن نتساءل عن الأماكن التي كانت محل استيطان الفينيقيين في الحوض الغربي من المتوسط ، وعن العوامل التي ساعدتهم على عملية الاستيطان ؟

لم يكن التوسع الفينيقي في الناحية الغربية من المتوسط ، نتيجة لعمل عرضي ، انما كان — في نظرنا — استمرارا لعملية التوسع التي بدأوها في الناحية الشرقية من هذا الحوض . فقد أثبتت الحفريات الأثرية التواجد الفينيقي في جزر الحوض الشرقي ، كرودس وقبرص وكريت (13) . غير أن الأوضاع السياسية ، عملت على الحد من هذا التواجد أو على ازالته في بعض الأحيان ، ولم يجد الفينيقيون الظروف الملائمة للاستقرار في المناطق الشرقية ، كتلك التي وجدوها في الناحية الغربية ، والتي مكنت مستوطناتهم من النمو والتوسع . فقد عمل الاغريق ابتداءا من القرن الثاني عشر ق . م . على تصفية الوجود الفينيقي في جزر الحوض الشرقي . اما في مصر فان وجود دولة قوية هناك حال دون اقامة مستوطنات فينيقية حقيقية ، واقتصر تواجدهم فيها على اقامة مراكز تجارية محدودة اشتروا حق المتاجرة فيها (14) من الحكومة المصرية ، ولم تسمح الظروف لتلك المراكز لتنمو وتتحول الى مستوطنات على غرار ما حدث في المغرب وصقلية مثلا .

وانطلاقا من مصر وكريت اتجهوا نحو صقلية التي اتخذت، على ما يبدو، كنقطة استراتيجية لمواصلة الطريق نحو السواحل المغربية وشبه جزيرة ايبيريا . وقد تحولت محطات ارستراحة تلك فيما بعد الى مستوطنات مثل بانورموس وصولويس وموتيا . ولقد اختيرت هذه المراكز نظرا للمزايا التي تستمتع بها من وجهة النظر الفينيقية ، فبانوراموس (بالرمو -االيا) توجد في حلفية خليج ، وصوليوس على رأس أما موتيا فتقع في جزيرة في خلفية خليج يوجد شمال رأس ليليبي . ومن هذه المراكز كانت السفن الفينيقية تبحر باتجاه جزر البحر التيراني مثل كورسيكا وسردينيا حيث أقاموا لهم مراكز انتقال نحو الغرب ، نحو جزر الباليار وشبه جزيرة ايبيريا ، وشمال المغرب الأقصى حيث أقيمت محطة ليكسوس لضمان سيطرتهم على مضيق اعمدة هرقل (جبل طارق) . وقد تحول مركزهم في قادس عند مصب النهر الكبير الى مستوطنة حوالي القرن الثامن أو التاسع ق . م (15) .

ومن صقلية أيضا اندفعت سفنهم نحو الجزر الواقعة في المدخل الشرقي للحوض الغربي ، فتمركزوا في جزيرة مالطة وجولوس الواقعة الى الشمال من مالطة . وجزيرة كوسورا وكانت بمثابة محطات استراحة للسفن المتجهة نحو الغرب ، وخاصة نحو سواحله الشمالية الشرقية . فأقاموا لهم مراكز تجارية على طول سواحله الشرقية والشمالية مثل لبتيس ماغنا (لبدة) وحاد روميت (سوسة) وهبوزاريت (بنزرت) وهبون (عنابة) وغيرها . وقد تحولت هذه المراكز في الأخير ، فيما بعد ، الى مستوطنات في النصف الأول من القرن التاسع ق . م .

وتجب الاشارة الى أننا لن نتعرض الى تواريخ انشاء هذه المراكز ، وأيها أسبق في الظهور كما أننا لن نتعرض الى مشكلة تاريخ التواجد الفينيقي في غرب المتوسط ، لأن ذلك يحتاج -في نظرنا- الى موضوع مستقل بذاته (16) .

فالروايات التقليدية ترجع تاريخ التواجد الفينيقي في غرب المتوسط الى أواخر القرن الثاني عشر ق . م . فقد ذكر فيلايوس باتير كولوس بأن مدينة قادس قد أنشئت عام 1110 ق . م . وأوتيكا عام 1101 ق . م . ويقول بلينيوس بأن لكسوس أقدم من قادس ، ثم تلتها أوتيكا (17) . وقد كانت هذه التواريخ ، حتى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد تحظى بتزكية الجميع ، غير أن علم الآثار حتى الآن لم يؤيد هذه التواريخ المبكرة للتوسع الفينيقي في غرب المتوسط . ويرى بعض المؤرخين الحديثين ، أن التوسع الفينيقي في غرب المتوسط بدأ متأخرا عن الفترة التي تذكرها الروايات التقليدية ، ولكن أبكر مما يذهب اليه بعض النقاد المحدثين (18) . والشيء الذي يبدو مؤكدا هو أن الاستيطان الفينيقي في غرب المتوسط ، سبق التوسع الاغريقي ، حتى في صقلية التي تمكن الاغريق فيما بعد ، من بسط نفوذهم على معظمها . ويؤكد هذا السبق المؤرخ الاغريقي توكيديدس اذ يقول ما نصه ((... حول كل صقلية ، احتل الفينيقيون

الـروء وس والجـزر الـواقـعـة بالقـرب مـن الشـواطئ ليتـا جـروا مـع الصقلييـن ــ Sicules ــ ولكـن عنـد مـجـاء الاغـريـق باعـداد كبيـرة ، فـان الفينيقييـن تخلـوا عـن اغـلـب تلك المنـاطـق وتجمـعـوا في مـوتيـا وصـولـونـيـس وبـا نـورامـوس قـرب الاليميـن ، لانـهـم كـا نـوا مسـروريـن لتحـالفهـم معـهـم ، ولان المسـافـة مـن هنـاك الي قـرطـاجـة اقـرب .)) (19) واذن فتـواجـد الفينيقييـن في صقليـة قبـل الاغـريـق ، دليـل واضـح علي سبـق التـاجـد الفينيقي فـي غـرب المتـوسـط . لان صقليـة تعتبـر عتبـة لبـوابـة الحـوض الغربي للمتـوسـط ، كما انـه لا تـوجـد شـواهـد تـاريـخيـة تثبت العكـس . فالفـوسيـون الاغـريـق الـذيـن انشاءوا مـدينـة مـاسيليـا (مـرسيليـا) فـي جنـوب غـاليـا لا يـرقـي تـاريـخ تـواجـدهـم هنـاك الي ابعـد مـن نهـايـة القـرن السـابـع قبـل الميـلاد (20) . مـن المـرجـع ايضـا ان تلك المنطقـة يكـون قـد تعـرف عليها الفينيقيـون قبـل الاغـريـق ، نظـرا لقـربهـا مـن جـزيـرة كـورسيكـا ، ولان الفينيقييـن كـانـوا دائمـا في تـوغلـهـم يسيـرون بمحـاذاة السـواحـل . وهنـاك بعـض المـوءرخيـن يشيـرون الي امكانية احتمـال وجـود مـراكـز فينيقيـة في جنـوب غـاليـا علي الـرغـم مـن عـدم وجـود ادلـة تثبت ذلك (21) .

والظـاهـر ان التـوسـع الفينيقي في غـرب المتـوسـط قـد مـر بمـرحلتيـن ، كـما يـري بعـض المـوءرخين المعـاصريـن : (22) . فالمـرحلـة الاولي كـانـت مـرحـلـة كشـف واستطـلاع تلتهـا بعـد ذلك مـرحلـة الاستيطـان الحقيـقـي ، اي اقـامـة مـراكـز تجـاريـة مستقـرة ، تحـولت فيمـا بعـد الـي مستـوطنـات . وهـذا احتمـال مقبـول جـدا لـه مـا يبـرره ، ذلك ان التـوسـع الفينيقي في غـرب المتـوسـط لـم يتـم عـن طـريـق القـوة ، كـمـا هـو الشـأن بالنسبـة للتـوسـع الاغـريـقـي ، ولذ لك كـان لا بـد مـن القيـام بمـرحـلـة تمهيـديـة ، يتـم فيـهـا التعـرف اولا علي المنـاطـق التي ستكـون مـواطـن جـديـدة ، وامكـانيـة الاستقـرار بهـا ، دون التعـرض لخطـر مـا . وقـد كـانت منـاطـق الحـوض الغـربـي وخصـوصا شمـال المغـرب تتـوفـر فيهـا شـروط الاستيطـان بالطـرق السلميـة كامكـانيـة المتـاجـرة مـع اهلهـا والاستقـرار دون التعـرض لاي خطـر وهـذا مـا شجـع الفينيقيين علي تحـويـل مـراكـزهـم التجـاريـة الي مستـوطنـات ثـابتـة .

ومـن جـهـة اخـري يبـدو ، ان انتقـال الفينيقييـن مـن الشـرق الي الغـرب قـد تـم عبـر الجـزر الـواقـعـة فـي عـرض المتـوسـط وليس بمحـاذاة السـواحـل الجنـوبيـة لـه ، لذلك اننـا لا نجـد ذكـرا لمـراكـز فينيقيـة في منطقـة بـرقـة (شـرق ليبيـا) الـرابطـة بيـن مصـر والمغـرب . الا ان تنقلهـم فـي غـرب المتـوسـط كـان عـن طـريـق الجـزر وايضـا عـن طـريق السـواحـل المغـربيـة .

Text Stamp

الفصل الثاني

التوسع الاغريقي في غرب المتوسط

ان التوسع الاغريقي في منطقة الحوض الغربي من المتوسط ا وفي ا طرافها الشرقية ، يدخل في اطار الهجرة العامة التي قامت بها الشعوب الاغريقية منذ اواخر القرن الثاني عشر ق ٠م ٠ غير ان المؤرخين اعتادوا الفصل بين حركات الهجرة الاغريقية التي وقعت مابين القرنين الثاني عشر والثامن ق ٠م ٠ وبين تلك التي وقعت ما بين القرنين الثامن والسادس ق ٠م ٠ (1) وربما لهذا الفصل ما يبرره ، اذا ما استعرضنا الاسباب التي دفعت بالاغريق الي الهجرة في المرحلة الاولي اعني قبل القرن الثامن ق ٠م ٠ وتلك التي دفعتهم في المرحلة الثانية والي الخصائص التي تميزت بها كل مرحلة .

فالحركة الاولي وقعت عندما وصل الدوريون الي بلاد اليونان ، والذين احدث وصولهم انقلابا عميقا في بلاد الاغريق سوا ، من الناحية السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ، ودفع بالسكان الاصليين الي الفرار امام الوافدين الجدد المنتصرين واللجوء الي اماكن يمكن ان يجدوا فيها الامن والاستقرار . وفي هذه المرحلة لم تكن حركة الهجرة موجهة نحو الغرب انما الي الجهات الشرقية ، الي سواحل آسيا الصغري ٠ وكان من نتائجها انشاء عدد من المدن علي طول تلك السواحل مثل ميرينا ، كيمي ، وسميرنا . ثم قامت هذه المدن بدورها في فترات لاحقة بانشاء عدد من المستوطنات الجديدة في جنوب السواحل الغربية لآسيا الصغري .

والاسباب الرئيسية لهذه الهجرة الاولي هي اسباب سياسية واقتصادية بالدرجة الاولي . فالضغط السكاني الذي مارسه الدوريون ضد كل من الآخيين والايونيين والايوليين ، وما نتج عنه من سلب للحريات والاراضي وجعل تلك الجماعات الفاقدة لحريتها والمطرودة من اراضيها (3) تبحث عن مكان جديد لتعيد فيه اثبات وجودها . فكان هذا المكان هو سواحل آسيا الصغري .

اما الحركة الثانية والتي وقعت ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد والتي اتجهت نحو الغرب ، غرب بلاد اليونان فتتميز عن الحركة الاولي بانها

اكثر تنظيما . ولعل السبب في ذلك يرجع الي كونها اختيارية اكثر منها اضطرارية اي لم تتسبب فيها عوامل خارجية، وانما كانت كل المسببات محلية . ولذلك يمكن ان نصفها بانها حركة استعمارية بحتة ، ولربما لهذا السبب فصلها المؤرخون عن الحركات التي سبقتها لتطمسها او تلتها (4).

فقد كان وراء هذه الحركة اسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية فالاسباب الاقتصادية تتمثل في الضغط السكاني الذي اصبحت تعاني منه بلاد الاغريق في هذه الفترة ، ولم تكن قادرة علي توفير الغذاء الكافي ، اذ ان اغلب اراضيها جبلية جدبا ، غير صالحة للزراعة رغم الجهود التي كان يبذلها السكان في اقامة المدرجات وزرعها بالزيتون والكروم . اما الاسباب السياسية فتتمثل في الصراع الذي كان موجودا بين دويلات المدن الاغريقية ، تلك الخاصية التي نقلها الاغريق الي المناطق المجاورة التي استوطنوها . ثم هناك بعض العوامل الاجتماعية ، التي كان لها دور لا يقل عن العوامل الاقتصادية والسياسية . فالنظام العائلي الذي كان سائدا انذاك كان يحرم الابن غير البكر وغير الشرعي من حقوق الوراثة والحقوق الاجتماعية (5) ثم بعض الطبقات من سكان المدن التي ازدادت قوة وثراء ، ولم تكن تنقصها المؤهلات الفردية لترتفع الي مستوي الطبقات العليا في المجتمع مثل كبار الملاك العقاريين ومشاركتهم في الحكم . فهذه الجماعات التي كانت محرومة من تلك الحقوق الاجتماعية في الوطن الام، كانت تبحث عن اماكن اخرى تتمكن فيها من الحصول علي تلك الحقوق ، ولتحدث لنفسها وجودا يكون اكثر تلاؤما مع طموحاتها ويمكنها من الحصول علي متعة ومكاسب لم تحظ بها في الوطن الام . واذا ما اضفنا الي هذه العوامل الرئيسية ، بعض الظروف المساعدة كتدهور البحرية الفينيقية في المنطقة الشرقية من المتوسط بسبب ما كانت تتعرض له المدن الفينيقية ، كصور وصيدا من ضغط من جانب الآشوريين ثم التحسن الذي طرأ علي الصناعة البحرية في بلاد الاغريق، نكون قد حصلنا علي جملة الاسباب التي تفسر لنا الهجرات المتعددة التي قام بها الاغريق نحو المناطق الغربية (6). كجنوب ايطاليا وصقلية ومنطقة برقة في ليبيا وجنوب غاليا وشرق شبه جزيرة ايبيريا .

فالتوسع الاغريقي نحو الجهات الغربية،كان هدفه الاول جنوب ايطاليا وصقلية،ثم امتد من هاتين المنطقتين، نحو الاماكن الاخرى كجنوب غاليا وشرق صقلية شبه جزيرة ايبيريا ما عدا منطقة برقة بليبيا التي خلا ء معمورها من بلاد الاغريق مباشرة من جزيرة تيرة :. وقد بدات هذه الحركة مثل ما اشرنا الى ذلك في منتصف القرن الثامن ق . م .(7) وان كان الشعراء وكتاب الاساطير يرجعون اتصال الاغريق بجنوب ايطاليا وصقلية وكذلك برقة كما سنرى الى العصر الميكيني اي الى حوالي منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ،واتصال الاغريق بجنوب ايطاليا في هذه الفترة امر محتمل جدا نظرا للتجاور الجغرافي بين المنطقتين . غير انه يبدو ان اتصال الاغريق بالجنوب الايطالي في هذه الفترة في العصر الميكيني كان ذا طابع تجاري ولم يكن هجرة استيطانية فوجود الاثاث الجنائزي في مقابر السيكول (الصقليين)(8) (9) والمستجلب من بلاد الاغريق لاينفي هذا الاحتمال . على اننا لا ندخل في مناقشة هذا الموضوع لأن الذي يهمنا بالدرجة الاولى هي فترة الاستعمار الحقيقي وهذه تكاد تكون بدايتها مؤكدة في القرن الثامن قبل الميلاد (10) .

ويبدو من جهة اخرى ان هذه الهجرة كانت طائفية - ان صح التعبير - اذ اننا نلاحظ ان كل جماعة اتجهت نحو منطقة معينة ،وانشأت لها هناك مستوطنات اي طابع التفرقة الذي كان يسود الحياة العامة في بلاد اليونان انعكس على عملية الهجرة . فالمدن التي انشئت في صقلية تعود الى طوائف مختلفة ،فالايونيون القادمون من خالقيدونيا انشأوا مستوطنة ناكسوس في الطرف الشمالى من الجزيرة حوالي سنة 735 ق . م (11) ثم توسعوا فى المنطقة وانشأوا مدن : ليونتينوا ،وكاتان و زانكلى (12) فى الشمال الشرقي من الجزيرة . وينسب البعض انشاء المدن الثلاث الاخيرة بالاضافة الى مدينة سيراكوز (سرقوسطة) الى الكورنثيين (13). وانشأ الدوريون مدينة ميغارة الى الشمال من سيراكوز .اما الكريتيون فلم يستقروا فى السواحل الشرقية من الجزيرة وانما اتجهوا نحو الغرب ، وانشأوا مستوطنة جيلا ،في الساحل الجنوبي من الجزيرة . ثم بدات هذه المستوطنات تتولد - ان صح التعبير - فانشأ

سكان جيلا مستوطنة اجريجانت (أكراجاس) حوالي سنة 580 ق.م وانشأ أهل زكلي زانكلي مستوطنة هيميراء في الساحل الشمالي من الجزيرة مقابل اجريجانت الواقعة على الساحل الجنوبي. أما أهل ميغارة فأنشأوا مستوطنة سيلينوت حوالي سنة 628 ق.م. في جنوب غرب الجزيرة، وان كنا نشك في انشاء هذه المستوطنة من طرف الاغريق في ذلك المكان، لأن المناطق الغربية من الجزيرة كانت تحت نفوذ الفينيقيين. وهكذا نجد الاغريق قد انتشروا في سواحل الجزيرة شمالا وجنوبا وشرقا، ولم يبق الا الطرف الغربي من الجزيرة تحت سيطرة الفينيقيين.

والظاهر أن عملية التوسع الاغريقي في صقلية قد توقفت بعد سيطرتهم على جزيرة ليباري الواقعة شمال شرق صقلية عام 580 ق.م. وابتداء من هذا التاريخ، يبدأ التنافس بين الاغريق و فينيقيي صقلية الذين طلبوا النجدة من اخوانهم القرطاجيين(14) وسنعود لهذا الموضوع في مكان آخر.

ويظهر من التواريخ المعطاة لانشاء المستعمرات الاغريقية في جنوب ايطاليا أو ما أصبح يعرف فيما بعد باسم "بلاد الاغريق الكبرى" ان التوضع الاغريقي قد تم في جزيرة صقلية اولا، ثم امتد الى جنوب ايطاليا، فباستثناء مستعمرة كومي التي أنشأها الخلقيدونيون في منطقة كمبانيا على ساحل البحر التيراني، والتي تعتبر أبعد نقطة للتوسع الاغريقي في جنوب ايطاليا حوالي سنة 770 ق.م. أو 740 ق.م.(15) نجد معظم المستعمرات الأخرى قد تم انشاؤها في أواخر القرن الثامن وأوائل السابع ق.م. وربما ان التاريخين المذكورين لانشاء كومي يدلان على أنها أنشئت على مرحلتين(16) فقد أشار ليفيوس الى رواية مفادها ان المعمرين الخلقيدونيين قد نزلوا أولا بجزيرة بتيكوس (اسخيا) قبل أن ينزلوا الى الساحل، وهذا ما أثبتته الحفريات التي قام بها ج. بوكنر في هذه الجزيرة (17). فالظاهر أنهم نزلوا بالجزيرة وأقاموا لهم مركزا تجاريا بالساحل، ثم تحول ذلك المركز فيما بعد الى مستوطنة أو مستعمرة. ولكن حتى اذا أخذنا بهذا الاحتمال واعتبرنا سنة 740 ق.م. هي تاريخ الانشاء الحقيقي، فانه مع ذلك يبدو تاريخا مبكرا، لأن الوصول الى كومي يتم عن طريق مضيق مسينا، أي لابد من الوصول الى صقلية اولا. وحسبما تذكره الروايات فان مستعمرة ناكسوس التي أقامها الخلقيدونيون قد تم انشاؤها سنة 735 ق.م، وعليه فيجب أن نتوقع بأن تأسيس كومي قد تم بعد ذلك. وعلى كل حال فقد كانت كومي في موقع

ممتاز ، بحيث أصبحت مركزا تجاريا هاما ، وكانت نقطة التقاء بين الاغريق والشعوب الايطالية الساكنة في منطقة اللاتيوم . وتتضح لنا أهمية هذه المستوطنة أو المستعمرة من الناحية الاقتصادية ، اذا علمنا ان توغل الخلقيد ونيين الى هذه المنطقة ، لم يكن من أجل البحث عن المناطق الصالحة للزراعة ، بقدر ما كان همهم الحصول على أسواق وطرق مواصلات تجارية [18] ، وخصوصا تجارة الحديد والنحاس اللذان كانت تفتقر اليهما بلاد الاغريق [19] كمواد خام للصناعة . وقد أعقب انشاء مستعمرة كومسلي ، عدد آخر من المستعمرات في منطقة القدم الايطالي ، سواء عن طريق التوالد الذي أشرنا اليه اوعن طريق وافدين جدد . فقد أنشأ بعض القادمين من جزيرة رودس مستعمرة بارثينوبي (نابلي حاليا) .

ويبدو ان سكان منطقة البيلوبونيز (شبه جزيرة المورة) كان لهم الحظ الأوفر في عملية الاستيطان بجنوب ايطاليا . فقد أنشأ الآخيون والايونيون في النصف الاول من القرن السابع ق . م . مستعمرة سيريس (ايونية) وقد كانت تضاهي من حيث الرخاء مدينة سيباريس الواقعة الى الجنوب منها ، والتي انشأها الآخيون حوالي 721 او720ق م . [20] ثم تلا ذلك ظهور كل من مدن : كروتون (آخية) حوالي 708 ـ 707ق . م . وتارنت ولوكي أنشأهما الدوريون ، الاولى حوالي 679 ـ 678 ق . م . وعلى كل حال فالترتيب الزمني لانشاء هذه المستعمرات ليس مؤكدا . ولكن على العموم يظهر بأنها انشئت بعد مستعمرات صقلية [21] . ولكن اذا كان استيطان الساحل الغربي من شبه الجزيرة الايطالية ، بعد جزيرة صقلية ، يبدو منطقيا تاريخيا وجغرافيا ، فانه على العكس من ذلك ، استيطان المناطق الجنوبية والشرقية كخليج تارنت ومنطقة برنديزيوم (برنديزي) ، فهي أقرب من صقلية الى بلاد الاغريق فلماذا لم تبدأ عملية الاستيطان بهذه المناطق ؟ وما هي الأسباب التي جعلتهم يتجاهلونها في البداية ، ثم يلتفتون اليها بعد استيطانهم للمناطق الغربية ؟

في الواقع ليس لدينا من الشواهد التاريخية ما يعول عليه ، غير أنه يبدو أن الاغريق تجنبوها عن قصد في بادئ الأمر . لانها أقل أهمية اقتصاديا من صقلية والسواحل الغربية ، ولأنها كانت ـ أي المناطق الشرقية ـ مأهولة بأقوام جبليين من الصعب التغلب عليهم واخضاعهم . ولكن عندما تكاثر عدد الاغريق فيما بعد اضطروا الى التراجع الى تلك المناطق التي رغبوا عنها في البداية ، كما أن وجودهم بكثرة مكنهم ولا شك من الوقوف في وجه الاقوام الجبلية التي كانت تسكن المنطقة . ويبدو من جهة أخرى أن توطنهم هناك بدأ بطريقة سلمية ، ثم لما تكاثر عددهم طردوا سكان

Text Stamp

البلاد الاصليين من المناطق الساحلية الى الجبال . وهذا ما يستنتج من الحفريات التي أجريت في مقابر كانال ويانشينا ، قرب لوكري [22].

لم تقتصر حركة التوسع الاغريقي على صقلية وجنوب ايطاليا ، بل امتدت كذلك الى شمال افريقيا ، حيث تمكن بعض المهاجرين من جزيرة تيرا من النزول بجزيرة بلاتيا في ساحل منطقة برقة ، ومنها وضعوا أقدامهم في البر حيث أسسوا مدينة قورينة (شحات حاليا) حوالي سنة 630 ق . م . وسنعود الى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مكان آخر [23]. كما امتدت هذه الحركة في ذات الوقت تقريبا ، الذي تم فيه انشاء مدينة قورينة (شحات) الى جنوب غاليا وسواحل ايبيريا الشرقية حتى مضيق اعمدة هرقل (جبل طارق) [24].

ففي النصف الثاني من القرن السابع ق . م . قام جماعة من مهاجري رودس من مستعمرتهم بارثينوبي (نابلي) بجنوب ايطاليا متوجهين نحو سواحل ليغوريا ، وعبروا نهر الرون الذي أخذ اسمه منهم (رودانوس) وأنشأوا مستعمرة رودانوسيا (آرل) في جنوب غاليا و رودي في شرق اسبانيا . وقد انشئت هذه المستوطنات قبل أن ينشىء الفوسيون مستعمرة ماسيليا [25] (مرسيليا) في اواخر القرن السابع ق . م . أي حوالي 600 او 594 ق . م [26].

وتقول بعض الروايات ، بان انشاء مدينة ماسيليا كان نتيجة لتزاوج احد الفوسيين يدعى اوكزين [27] (أو بروتيس) باميرة ليغورية ، وقد قامت هذه المستوطنة بدور هام في ادخال الحضارة الى جنوب غاليا ، كما انها قامت بانشاء عدد من المستوطنات الى الشرق والغرب منها [28]. وبعد فترة من تأسيس ماسيليا أي حوالي سنة 564 ق . م . وضع الفوسيون اقدامهم في جزيرة كورسيكا (كيرنوس) وأنشأوا هناك مستوطنة آلاليا .

وباستثناء شمال المغرب ، نجد التواجد الاغريقي قد شمل تقريبا كل سواحل الحوض الغربي للمتوسط ، الأمر الذي دفع شيشرون [29] الى القول ((بان المتوسط ما هو الا شريط اغريقي على هوامش اراضي البرابرة (حسب تعبيره)))[30].

هـوامش الباب الاول

الفصل الاول :

(1) GustaveFOUGERES;lesPremieres civilsation,Paris I926,P.288

(2) هناك تفسيرات مختلفة اعليت لكلمة "فينيقي" بعضها يقول بنها تعني اللون الاحمر ارجواني وهو المرجح الآن ،والبعض الآخر شعبا وسكان بلاد النخيل وراي ثالث يقول انها تعني طائر العنقاء وهو راي ضعيف ،وراي آخر يقول بانها تعني الشعوب الحمر ،والراجح ان اصل الاختلاف حول هذه الكلمة يرجع الي الاصل الاغريقي "فوينكس" . في هذا الموضوع انظر كلا من :

— فليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج ١ بيروت 1958 ص 87 .

— احمد توفيق المدني مجلة اللسان العربي اصدار المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط عدد 3 سنة 1965 ص 129 .

— هشام الصفدي مجلة الاصالة (الجزائرية) عدد 8 سنة 1972 ص 171

— محمد الصغير غانم التوسع الفينيقي في غرب المتوسط الجزائر 1979 ص 122

(3) D'apres Georges CONTENEAU;lacivilisation Phenicienne; Paris I928:P.

(4) Gustave FOUGERES, les Premieres civilisations,P. 228

(5) قدم السيد محمد الصغير غانم رسالة حول هذا الموضوع بعنوان "التوسع الفينيقي في غرب المتوسط" .

(6) UNESCO;Histoirede l'humanite ;T.II,Paris I967, P.30

(7) Ibid. P.30

(8) (9) Ibid. P.30

(10) محمد رفعت تاريخ حوض البحر الابيض المتوسط وتياراته السياسية القاهرة 1959 ص 19

(11) SALLUSTE,Catalina &guerrede Jugurtha;trad. par Alfred ERNOUT;5° ed. PARIS I962 ; P.I54

(12) J.HEURGON ,Rome et L'a Mediterranee occidentale P.I25

انظر كذلك : Louis DELAPORTE,les peuples de l'orient Mediterr-neen,T.I;leprecheorient asiatique,Paris I938 ,P. 229

Text Stamp

(13) G.CONTENEAU; la civilisation Phenienne, P.9I

(14) Ibid. P?. 9I

(15) Ibid. P.9I

(16) انظـر هـامش رقـم : 5 مـن هـذا الفصـل .

(17) D'apres J.HEURGON Rome et l'Mediterraneeoccidental PI27

(18) Ibid. P. I27

(19) D'apres S.GSELL, HAAN.T.I, P.407

(20) E.WILL, leMo nde grecque et l'orient ,T.I; ParisI972, P.252

(21) S.GSELL, HAAN.T?. I; P.402

(22) CH.A.JULIEN Histoire del'afrique duNord, T .I; ParisI95I P.63

الفصـــــــــــل الثـــــــانـي :

(1) Robert COHEN, la Grece et l'hellenisation du mondeAntique Paris I948, P.58

(2) هنـاك تشـابـه بيـن هـذه الكلمـة وبيـن الاسـم القـديـم لمصـر "كيـمـي" Kyme وتعنـي الارض السـودا ، انظـر :

ـ السـير الـن جـاردنـر مصـر الفـراعنـة ترجمـة: عبـد المنعـم ابـو بكـــــر نجيـب مخـائيـل ابـراهيــــم القـاهـرة 1973، ص 43

(3) Robert COHEN la Grece et l'hell.du monde antique, p.59

(4) Ibid. p. 58

(5) Ibid. p.6I

(6) Ibid. p.6I

(7) J.HEURGON, Rome et la Mediterranee occidentale p.I20

(8) مجمـوعـة مـن الشعـوب الايطـاليـة غـزو صقليـة واطلقـوا عليهـا اسمهـم ، انظـر :
Larousse classique Paris I957, p. IIIO col.2

(9) Gustave FOUGERES, les premiere civilisationb, p. 386

(10) La grande Encyclopedie, T.29; p.II72; COL. 2

(11) Gustave FOUGERES , Ibid. p.387

(12) E. WILL, le monde grec et l'orient, T.I ; p.223

Text Stamp

(13) Lagrande Encyclopedie ,T.29,p.II72;COL.2

(14) IBID. P. II72

(15) هناك من يرى بانها انشئت عام 730ق م انظر : G. FOUGERES lespremieres civilisations ,P.387

(16) J.HEURGON, Rome et laMediterranee occidentale ,p. I5I

(17) (18) Ibid. P.I5I

(19) هشام الصفدي تاريخ الرومان ، 1 ، دمشق 1967، ص 50

(20) J.HEURGON,Rome et la Mediterranee occidentale p.I59

(21) G.FOUGERES, les premieres civilisations ,P.387

(22) J.HEURGON,Rome et la Mediterraneee occidentale ,p.I70

(23) انظر ص 55 وما بعدها من هذا البحث

(24) (25) G.FOUGERES,les premieres civilisations, p. 388

كذلك: J.HEURGON, P. I82 فيما يتعلق بسبق الروديسيين عن

الفوسيين الى جنوب ايطاليا

(26) لمزيد من المعلومات حول نشاة ماسيليا (مرسيليا) انظر J.Heurgon, P.I88

(27) (28) G?. FOUGERES,les premieres civilisations,p.388

ولمزيد من التفاصيل حول الهامش 28 انظر : نفس المرجع ص . 388

(29) شيشرون Ciceron (ماركوس توليوس Marcus Tullius) خطيب

وسياسي روماني عاش مابين 106 ـ 43 ق . م

(30) G.FOUGERES, lespremieres civilisations ; p. 389

الباب الثاني

القرطاجيون والافريق في بلاد المغرب

الفصـــــــــل الاول

مدينة قرطاجة وظهور الدولة القرطاجية

1 - نشـأة مدينة قرطاجة

عندما تحدثنا عن التوسع الفينيقي [1] في غرب المتوسط ، اكتفينا بالاشارة فقط ، الي المستوطنات التي اقاموها في هذه المنطقة ، لانه لم يكن هدفنا التعرف علي هذه المستوطنات لحد ذاتها وانما كان الهدف من ذلك هو التعرف علي اماكن التواجد الفينيقي : "ولم نتعرض لذكر مدينة قرطاجة الا عرضيا ، وذلك لسببين هامين :

اولا : ان مدينة قرطاجة لم تنشأ اثناء الهجرة الفينيقية الاولي مثل مدن اوتيكا وقادس ولكسوس ، انما تم انشاؤها حسبما تتفق عليه اغلب المصادر التاريخية الكتابية منها والمادية [2] بعد ذلك بوقت طويل (حوالي ثلاثة قرون تقريبا : اوتيكا 1101 ق.م "قرطاجة 814 ق.م).

ثانيا : نظرا للاهمية التي اكتسبتها هذه المدينة والدور التاريخي الذي لعبته فيما بعد ، رأينا ان نفرد لها مكانا خاصا نحاول فيه التعرف علي ظروف نشاتها ومراحل تطورها والاسباب التي ساعدتها علي التفوق علي المدن الفينيقية الاخري الاكثر قدما ثم الي تحولها الي عاصمة لامبراطورية سيطرت علي معظم سواحل الحوض الغربي للمتوسط ، قبل ان تنافسها روما وتقضي عليها سنة 146 ق.م.

اعتقد انه لولا نشأة مدينة قرطاجة ، ما كان للوجود الفينيقي في المغرب ان يستمر حتي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد . اذ انه لو لم تتزعم هذه المدينة مجموعة المستوطنات الفينيقية في منطقة الحوض الغربي وتضطلع بدور المدافع عنها لكان الخطر الاغريقي القادم من الشرق قد قضي علي تلك المستوطنات منذ القرن السادس ق.م ، علي الاقل . ولم يكن دفاع قرطاجة عن الوجود السياسي فحسب وانما كان في نفس الوقت دفاعا عن الحضارة الشرقية السامية التي تاصلت في بلاد المغرب منذ ذلك الزمن البعيد .

ما من شك في أن ليس هناك مدينة فينيقية في المغرب حظيت بعناية المؤرخين وعلماء الاثار بمثل ما حظيت به مدينة قرطاجنة، وذلك نظرا لأهميتها التاريخية ولكونها اول عاصمة سياسية وحضارية لبلاد المغرب وافريقيا (باستثناء وادي النيل). ولكنه بالرغم من هذه العناية الكبيرة ما زالت هناك فترات وجوانب كبيرة من تاريخ هذه المدينة غامضة، من بينها تاريخ وظروف نشأتها.

فمن حيث تاريخ النشأة نجد خلافا بين المؤرخين. فأنصار الروايات التقليدية او التاريخ المبكر، يقولون بأنها انشئت في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م. غير ان علم الاثار حتى الآن لم يثبت صحة هذا التاريخ المبكر فأقدم المكتشفات التي عثر عليها في المدينة لا تتجاوز النصف الاول من القرن الثامن ق.م. (3)

وقدماء المؤرخين من الاغريق واللاتين الذين تكلموا عن هذه المدينة يحددون تاريخ تأسيسها ما بين 824ق م. (جوستان) و814 ق م. (تيمي) وهذان التاريخان وان اختلفا في بعض السنوات الا انهما يتفقان من حيث الاساس اذ انهما متقاربين وفاصل عشر سنوات بالنسبة لتلك الحقبة لا يعني شيئا حينئذ تنعدم المصادر الكتابية.

والروايات القديمة تربط تاريخ نشأة قرطاجنة بأسطورة "عليسة" (4) اخت بيجماليون ملك صور التي فرت اثر حدوث خلاف في القصر الملكي واتجهت الى قبرص ومنها الى المغرب حيث قامت بتأسيس مدينة قرطاجنة. ولذلك حاول بعض المؤرخين الرجوع الى تاريخ مدينة صور نفسها لمعرفة ما اذا كان قد حدث فعلا مثل هذا الخلاف ومتى وما هي دواعيه عسى ان يساعدهم ذلك في الوصول الى ضبط تاريخ لنشأة مدينة قرطاجنة (5).

والمعروف ان صور قامت بتدوين تسلسلها التاريخي العام (كرونولوجي) اي ما يمكن ان نسميه بالحوليات على غرار التسلسل التاريخي الذي وضعه البابليون والاشوريون. وقد امكن العثور على بعض الوثائق في مدينة اوغاريت (راس شمرا) في شمال غرب سوريا. كما انه كان لصور حوليات سجلت فيها قوائم لملوكها ومدة حكمهم والاحداث التي وقعت في عهودهم (6). ويمكن اخذ هذه

Text Stamp

ويمكننا أخذ هذه الحوليات بعين الاعتبار لاستخلاص بعض الحقائق التاريخية .

ويبدو حسب اعتقاد ج . هورجون أن المؤرخ الاغريقي تيمي قد اطلع على تلك الحوليات في أواخر القرن الرابع ق م . أو أوائل الثالث ق . م . وقد ترجمت الى اليونانية من طرف ميناندر الافيزي[7] حوالي سنة 200 ق . م . وقد وردت مقتطفات منقولة عنه في كتاب لفلافيوس جوزيفوس ، وهذه المقتطفات تشير الى ان تاسيس قرطاجة قد تم في السنة السابعة من حكم الملك بيجماليون ، وهذه السنة توافق سنة 819 ق م . [8] ويجب الاقرار بانه من الصعب الوصول الى تاريخ مضبوط محدد وعلينا ان نرضي بالفترة التي تتراوح ما بين 824 و 814 ق . م . كفترة تم خلالها تاسيس المدينة . لان محاولة وضع تاريخ للمدينة قد تمت في وقت متاخر عن تاسيسها وان الذين قاموا بتلك المحاولة اعتمدوا على الروايات الشفوية المتعددة المصادر والتي لا محالة انها تعرضت للزيادة او الحذف او التحريف في بعض الاحيان . كما انه ليس مؤكد لدينا ان الوثائق الصورية التي اطلع عليها تيمي فيها ذكر او اشارة لقرطاجة ، واذا كانت اغلب المصادر التي تتحدث عن قرطاجة تكاد تجمع على ان سنة 814 ق م . هي التي تاسست فيها المدينة يجب ان نتوقع تقديم هذه السنة او تاخيرها بعدة سنوات ، لان ذلك الاجماع لا يمكن اعتباره على انه تاكيد على صحة الحدث . لانه من الممكن جدا ان كل تلك المصادر او اغلبها نقلت عن مصدر وحيد يحتمل ان يكون تيمي الذي يعتقد انه اطلع على الحوليات الصورية كما اشرنا الى ذلك من قبل . كما ان نتائج علم الآثار مازالت غير نهائية في هذا الموضوع لانه من المحتمل جدا ان المقابر القرطاجية الاولى لم يكشف عنها بعد ، كما انه من المحتمل ايضا ان اوائل القرطاجيين كانوا يحملون موتاهم الى صور الوطن الام في الفترة الاولى ، كما يفترض ذلك كل من جزيل وب . سنتاس[9] . واذا ما سلمنا بهذه الفرضية التي ماتزال تفتقر الى الادلة التاريخية المادية منها والكتابية ، فان نتائج علم الآثار سوف لا تكون فاصلة في الموضوع اذا اعتمدنا فقط على الاثاث الجنائزي ، لان اقدم المكتشفات التي يمكن العثور عليها في المقابر ، لا يمكن ان يؤرخ بها لنشأة

المدينة . وفي هذه الحالة علينا ان نضع فترة زمنية فاصلة بين اقدم شيء يعثر عليه وبين تاسيس المدينة تقدر علي الاقل بحوالي جيل من الزمن . علي ان فرضية نقل الجثث الموتي لأوائل القرطاجيين الي صور فرضية ضعيفة في نظري لأنه ليس هناك ما تستند اليه من مصادر ومعطيات تاريخية . فالمصادر الكتابية التي تتحدث عن القرطاجيين لم تشر - فيما اعلم - الي هذا الموضوع ، ولو ان شيئا من هذا قد وقع فعلا لوصلتنا عنه بعض الاخبار ولو في قالب اسطوري ، من جهة اخري يمكن ان تنطبق مثل هذه الفرضية علي اوتيكا او قادس او لكسوس اكثر من انطباقها علي قرطاجة لان هذه المدن القديمة ربما انها فضلت ذلك لانها لم تكن متأكدة من بقائها او استقرار اهلها بالمناطق التي وجدت بها عندما كانت مجرد مراكز تجارية ولذلك فقد تقوم بنقل جثث اوائل موتاها الي الوطن الام حتي لا تبقي غريبة ان رحل الاحياء . اما قرطاجة فقد تأسست - مهما كان تاريخ تاسيسها - في وقت تأكد فيه استقرار الفينيقيين في غرب المتوسط ، واصبحت هناك مدن مستقرة مثل اوتيكا كما انه من الناحية العملية يستبعد جدا نقل جثث من قرطاجة لتدفن في صور لان قطع المسافة بين المدينتين قد يستغرق علي اقل تقدير مدة شهرين ، مما يجعل الجثث تتعرض للفساد خصوصا اذا كان الوقت صيفا . اللهم الا اذا كان القرطاجيون يقومون بتحنيط جثث موتاهم وهذه العملية لم تعرف عن القرطاجيين او الفينيقيين قبلهم ولم تعرف الا عند قدماء المصريين فقط . فاذا ما استبعدنا مثل هذه الافتراضات وطرحنا نتائج علم الآثار جانبا ، باعتبار انها ليست نهائية فمضطر في آخر الامر للرجوع الي المصادر الكتابية طويلا او بالاحري الروايات .

وقد ناقش جزيل (وكذلك سنتاس) مجمل الروايات التي اوردها قدماء مؤرخي وكتاب الاغريق واللاتين امثال : تيتوس ليفيوس وابيان وتيمي ودونيس الهاليكارناسي وبوليبيوس وميناندر وغيرهم سواء منها تلك التي تقارن نشأة قرطاجة بالالعاب الاوليمبية او تلك التي تقارنها بنشأة روما ، وخرج بخلاصة يقول فيها : ((يمكن القول بان قرطاجة أنشئت من طرف

الصوريين . وانما اسست بكل ترجيح ما بين 814 و 813 ق . م . في عهد الملك بيجماليون .))(9)(10)

واذا كان تاريخ تأسيس قرطاجة يثير كل هذا التساؤل والجدل ، فان ظروف نشأتها آثارت هي الاخري وما زالت تثير تساؤلات ما تملة ، فكيف نشأت قرطاجة ؟ ومن انشأها ؟ ولماذا ؟!

لقد حاول البعض الاجابة على هذه التساؤلات غير ان البعض الاخر لم تقنعه تلك الاجابات وما يزال يجهد نفسه في البحث عن اجابات اخرى .

فالروايات او المصادر الكتابية تنسب انشاء قرطاجة الى شخص "عليسة" اخت الملك بيجماليون احد ملوك صور والذي حكم حوالي سنة 819 ق . م .

وملخص القصة ان "عليسة" تزوجت من عمها الكاهن اشيباص كاهن المدينة ، (قد يكون كاهن معبد الاله "ملقرط") وحرصا على بقاء العرش في اسرة ماتان والد بيجماليون عمد هذا الاخير الى قتل عمه الكاهن اشيرباص كي لا ينتقل الملك اليه او الى ابنائه عن طريق عليسة الامر الذي ادى بهذه الاخيرة الى الفرار من صور مع بعض النبلاء الصوريين الموالين لها الى قبرص ومنها الى المغرب حيث اشترت او استأجرت قطعة ارض انشأت عليها المدينة التي ستصبح في يوم من الايام عاصمة المغرب والحوض الغربي للمتوسط . هذا ملخص القصة الشائعة عن نشأة مدينة قرطاجة والتي ما تزال تحظى بقبول عدد كبير من المؤرخين . ولكن الى اي حد يمكن الاخذ بصحة هذه الرواية التي صاغها الكتاب الاغريق والتي تحولت مع الزمن الى نوع من الاسطورة كما يقول ج . ج . لابير . (11) وفي الواقع فان هذه القصة رغم اتسامها بالطابع الاسطوري الا انها لا تخلو من بعض الحقائق التاريخية التي ثبتت صحتها الامر الذي يجعلنا نقبل ببعض ما جاء فيها ولو موقتا . فالملك بيجماليون المرتبط اسمه بالقصة قد ثبت وجوده تاريخيا (12).

وهذا يجيز لنا اذا ما استبعدنا العنصر الاسطوري من القصة القول ان خلافا وقع في القصر الملكي بصور ، ونتج عنه خروج جماعة من الاسرة المالكة واتجهت الى المغرب وانشأت مدينة قرطاجة وهذا ما يفسر لنا الاهمية التي تميزت بها قرطاجة من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

Text Stamp

نظرا لمكانة منشيها . ولكن هناك تساؤل لماذا ماسلمنا بوجود مثل ذلك الخلاف وهو لماذا تلتجيء هذه الجماعة الي المغرب بالذات لماذا لم تحاول هذه الجماعة ان تقيم لها وجودا في فينيقيا نفسها او في قبرص التي هي اقرب الي الوطن الام صور !! وقد يرد علي مثل هذا التساؤل بان الظروف لم تكن ملائمة خصوصا اذا سلمنا بان تلك الجماعة كانت فارة من القصر الملكي وملاحقة من طرف الملك بيجماليون ، ولذا عليها كي تتجنب الخطر ان تسافر الي مكان بعيد . لكن اذا نظرنا الي العلاقات التي كانت موجودة بين قرطاجة وصور باعتبارها الوطن الام والي الروابط الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت قائمة فعلا بين المدينتين فنهار القصة الاسطورية من اساسها . ويصبح انشاء مدينة قرطاجة قد تم بطريقة طبيعية . وسنعود الي هذا الموضوع في مكان اخر . (13)

ونظرا لعدم الاقتناع بما ورد في الروايات التقليدية حول نشأة قرطاجة راح بعض المؤرخين الحديثين يبحث عن ظروف واسباب اخري لنشأة المدينة . فمنذ سنوات ظهر احد المختصين في الاشوريات ، وهو الالماني ا . فورر - E. O. FORRER - برأي جريء بشأن تاريخ نشأة قرطاجة . فيؤخر تاريخ تاسيسها عن التاريخ التقليدي (814 ق . م .) بحوالي قرن ونصف مستندا الي بعض الاستنتاجات التي توصل اليها وهي ان كلمة "قرطاجة" لاتعني "المدينة الجديدة" كما هو شائع وانما تعني العاصمة الجديدة (14)
ويبرر اميل فورر زعمه هذا بان الفينيقيين خوفا من ان يستولي الاشوريون علي ثروتهم قاموا ببناء هذه المدينة او "العاصمة الجديدة" لينقلوها اليها ويضيف بان هذا الحدث قد تم مابين 673 و663 ق . م . ففي سنة 671/ 670 ق . م حوصر الملك بعل ملك صور من طرف الملك الاشوري اسرحدون والقي عليه القبض ثم وقع حصار ثان بعد سنة 666 ق . م . واصبحت المدينة الفينيقية - يعني صور - تحت رحمة الملك الاشوري آشوربانيبال (بنيبعل ؟) وكان علي ملك صور تقديم بناته وبنات اخيه الي حريم الملك الاشوري غير ان ابنتي الملك بعل وهما : ديدون وانا ، تمكنتا من الفرار ونفذتا ما كان يرغب فيه ملك صور وهو نقل الثروة الي المغرب . وعلي هذا الاساس تم انشاء مدينة قرطاجة .

ولكي يدعم فورر زعمه لجأ الي ماورد في اشعار فيرجيل (15) الشاعر اللاتيني وقال بان ديدون عند فيرجيل هي ابنة الملك بعل، وكل ذلك ليبعد اسم الملك بيجماليون الوارد في الاسطورة ـ اسطورة عليسة ـ .

وليستكمل فورر عناصر قصته يقول بانه وقع خلط لدي المؤرخين القدماء بين قرطاجة الافريقية وقرطاجة القبرصية (كيتيون) والتي تم فتحها من طرف الملك بيجماليون سنة 814 ق.م . غير ان وجهة نظر فورر هذه تنهار من اساسها عندما تتعرض للنقد التاريخي . فاذا استبعدنا المصادر الكتابية كلية واكتفينا بالنتائج التي توصل اليها علم الاثار ولا حتي الحفريات التي اجريت في قرطاجة والتي اثبتت بما لايدع مجالا للشك بان قرطاجة كانت موجودة فعلا في القرن الثامن قبل الميلاد . كما ان بعض الافتراضات التي جاء بها فورر مثل فرار ابنتي الملك بعل من الحريم الاشوري الاشوري لاتستند الي اي دليل . غير ان الشيء الذي يمكن استفادته من وجهة نظر فورر هذه هو انه من المحتمل ان بعض الفئات الارستقراطية الصورية تكون قد هاجرت الي قرطاجة في اواخر القرن السابع قبل الميلاد او اواخر القرن السادس ق م . بسبب الضغط الاشوري علي فينيقيا وان هذه الهجرة الجديدة قد اعطت دفعا جديدا وقوة لمدينة قرطاجة ومكنتها من البروز فيما بعد كزعيمة للمدن الفينيقية في غرب المتوسط ولعل احتمال هذا الافتراض يفسر لنا الي حد كبير ظهور قرطاجة علي المسرح السياسي في غرب المتوسط مع بداية القرن السادس ق . م .

سبق ان اشرنا الي ان العلاقات والروابط التي بين صور وقرطاجة ، تجعلنا حذرين جدا في تقبل الاسطورة الشائعة حول تأسيس قرطاجة لان تقبلنا لمثل هذه الاسطورة أو حتي فكرة وقوع خلاف ما في القصر الملكي بصور تجعلنا نفترض بالضرورة وجود علاقات سيئة بين صور وقرطاجة في حين اننا نلاحظ أن العلاقات بينهما كانت علاقة المدينة الام بالمدينة البنت ـ ان صح التعبير ـ وان الروابط بين صور وقرطاجة كانت اقوي من الروابط الموجودة بين صور واي مدينة اخري .

واذا ما اخذنا بوجهة النظر القائلة بان انشاء مستوطنة

في القديم ، لدي شعوب البحر الابيض المتوسط عامة ، كان حدثا يكتسي اهمية خاصة سياسية ودينية كبيرة ، وربما تمكنا من التوفيق بين ما جاء في اسطورة "عليسة" وبين المعطيات التاريخية المتعلقة بقرطاجة ، وبهذا الصدد يقول فوستيل دي كولانج : ((يجب ان لا نعتقد بان انشاء مستوطنة (مستعمرة) كان يتم عن طريق الصدفة ، او بناء علي رغبة عدد من المهاجرين ، ان مجموعة من المغامرين لا تستطيع ابدا تاسيس مدينة ، وليس من حقها – حسب وجهة نظر الاقدميين – ان تنتظم في مدينة ، فقد كانت هناك قواعد يجب اتباعها :
فالشرط الاول هو الحصول علي النار المقدسة ، والشرط الثاني ان يصحب النهار شخص قادر علي الاشراف علي مراسيم (طقوس) الانشاء . ويجب ان يحصل المهاجرون علي هذه الامور من المدينة الام او الوطن الام فياخذون النار المشتعلة منها وياخذون معهم في نفس الوقت الشخص المؤسس الذي يجب ان يكون من عائلة مقدسة (دينية او كهنوتية) من المدينة وهذا الشخص يقيم مراسيم تاسيس المدينة الجديدة حسب نفس المراسيم التي انشئت بمقتضاها المدينة التي خرج منها (المهاجرون) فالنار تكوّن العلاقة الدينية والابوية التي الابد بين المدينتين ...)) [17] .

ان وجهة النظر هذه ، اذا اخذناها بعين الاعتبار قد تساعدنا كثيرا في تفسير بعض الجوانب من تاسيس قرطاجة . فبالرغم من انعدام الادلة التاريخية التي تثبت بان قرطاجة قد خضعت اثناء تاسيسها لمثل هذه الشروط ، [18] الا انه يمكن استخلاصها او بعض منها من بعض المعطيات التاريخية ومن اسطورة عليسة نفسها .

<u>اولا :</u> اختيار الموقع الجغرافي لتاسيس المدينة حسب الاستراتيجية المتبعة لدى الفينيقيين وهي اختيار اشباه الجزر المحمية بالبحر من اكثر جهاتها ، يكشف لنا الي حد ما بان تاسيس هذه المدينة في الموقع الذي اسست فيه بالذات ، كان نتيجة لخطة مدروسة من قبل وبعناية وليس عملا ارتجاليا قامت به جماعة من الفارين .

<u>ثانيا :</u> الصلات الدينية التي ظلت قائمة بين صور وقرطاجة والمتمثلة خاصة

Text Stamp

في اتخاذ الالهة التي كانت تعبد في صور من قبل قرطاجة ، واتخاذ الاله «ملقرط» الها حاميا للمدينة بدلا من اي اله فينيقي آخر ، وتقديم الهدايا لمعبد الاله "ملقرط" دليل واضح على ذلك الارتباط ، وقد يعترض على هذا بانه مادام القرطاجيون فينيقيين فلا نتوقع منهم اتباع ديانة اخرى غير التي كانت متبعة في فينيقيا وفي صور بالذات باعتبارها مصدر المهاجرين . ان مثل هذا الاعتراض مقبول ولكن يمكن الرد عليه باننا لا نستطيع تفسير تقديم الهدايا من طرف قرطاجة لمعبد الاله ملقرط الا اذا اخذنا في اعتبارنا ذلك الارتباط . اذ ان مثل تلك الهدايا لم تكن تقدمها حتى تلك المدن التي كانت موجودة في فينيقيا نفسها كصيدا مثلا ـ فيما اعلم ـ

ثالثا : الروابط السياسية والاجتماعية فقرطاجة كانت تعتبر صور المدينة الام الشيء الذي لا نلاحظه لدى اوتيكا مثلا كما ان الانظمة السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في قرطاجة كانت صورة طبق الاصل لانظمة صور قبل ان تتحول قرطاجة الى امبراطورية مستقلة بعد سقوط صور ، كما ان روابط القرابة والولاء كانت دائما موجودة بين المدينتين .

رابعا : قصة عليسة نفسها فبناء على وجهة نظر دي كولانج التي اوردناها فيما سبق والمتعلقة بتأسيس المدن الجديدة لدى شعوب المتوسط القديمة فان مجيء عليسة الى بلاد المغرب كان اختيارا وليس اضطرارا . اي انها لم تأت فارة كما تزعم الاسطورة ، وانما باعتبارها من الاسرة الملكية وباعتبارها زوجة الكاهن الاكبر في صور ، فهي الشخص الذي اختير للاشراف على تأسيس مراسيم تأسيس المدينة الجديدة . اما قصة قتل زوجها وفرارها فيبدو لي ان تلك اشياء اختلقها الكتاب الاغريق حتى يضفوا على القصة طابعها الدرامي وهذه امور محمودة لدى الكتاب الاغريق ، وكمثال على ذلك نجدهم ينسبون انشاء مدينة روما الى شخص فار من طروادة (19) .

واذا اضفنا الى كل هذه الاعتبارات رواية منقولة عن هيرودوت ،

مفادها ان قمبيز ملك الفرس طلب عندما غزا مصر، (525-522 ق.م) من بحارة الاسطول الفينيقي الذين تسللوا قواته الى مصر ان يساعدوه في الانقضاض على قرطاجة، فامتنع اولئك البحارة وابلغوا الملك الفارسي بانهم مرتبطون بقسم، وانه من غير المعقول ان يقوموا بمحاربة ابنائهم.[20] (يقصدون القرطاجيين)

ويمكن ان نستخلص من كل ما تقدم بان انشاء مدينة قرطاجة كان نتيجة لسياسة مخططة بالغرض منها انشاء مدينة تكون بمثابة المدينة الام للمدن والمراكز الفينيقية في غرب المتوسط وهذا هو الشيء الذي اكسبها تلك الاهمية الخاصة دون المدن الفينيقية الاخرى بالمنطقة وبالرغم من انها اقدم منها وجودا كاوتيكا ولكسوس. وقد يعترض قائل: بانه اذا كان حقا قد اتبعت بعض التقاليد في بناء قرطاجة لم تتبع في بناء اوتيكا اوقادس او غيرهما من المدن الفينيقية. ويمكن الرد على مثل هذا الاعتراض بان المدن الفينيقية الاولى في غرب المتوسط قد ظهرت عن طريق الصدفة، اذ انها كانت في البداية عبارة عن محطات استراحة ثم تحولت الى اسواق تجارية، وتطورت فيما بعد الى مدن. اما قرطاجة فلم تمر بهذه المراحل، اذ انها انشئت خصيصا للقيام بدور رسمي وهام في نفس الوقت، ولهذا حظى تأسيسها باهتمام خاص ايضا.

ب - عوامل نمو قرطاجة

كيف بدأت قرطاجة حياتها وما هي العوامل التي ساعدتها على النمو والتطور اكثر من غيرها ؟

ان انعدام المصادر التاريخية المتعلقة بالفترة الاولى من تاريخ قرطاجة اي منذ نشأتها (814 ق.م) الى القرن السادس ق.م، يجعلنا نلتجىء الى الافتراض والى تفسير بعض المعطيات التاريخية علنا نصل الى الكشف عن بعض الجوانب من هذه الفترة الاولى من تاريخ قرطاجة.

لقد حظيت قرطاجة باهتمام خاص عند نشأتها من طرف صور المدينة الام

ويبدو ان ذلك الاهتمام ظل مستمرا حتى في الوقت الذي اصبحت فيه قرطاجة مدينة مكتملة وذلك لتهيئتها للدور الذي كان ينتظر منها غير ان هذا لا ينفي انها لم تتلق مساعدات من المستوطنات الفينيقية الاقدم منها في المنطقة . فقد ذكر تيتوس ليفيوس بان أهل اوتيكا قاموا بمساعدة المهاجرين الجدد (اهل قرطاجة مستقبلا) في بناء المدينة (قرطاجة) (21) ولا نعرف ما اذا اقتصرت تلك المساعدة على عملية البناء فقط ام انها استمرت (الى) الى ان بلغت المستوطنة الجديدة مرحلة تجعلها في غنى عن تلك المساعدة .

لقد كانت قرطاجة في مراحلها الاولى محل رعاية من طرف صور . فقد كانت تتلقى منها اطرها السياسية والفنية والدينية بشكل خاص، وربما الاعانات المالية ايضا لصرفها في مشاريع البناء (22) . اما فيما يتعلق بتعمير المدينة فيبدوا انه تم عن طريق الهجرات الفينيقية المتهوا لية من صور الى قرطاجة ، من المغاربة القاطنين بالجوار والذين اتجهوا نحو المدينة الجديدة مجذوبين بالحياة العصرية ، او كخدم للمشاركة في الاعمال العمرانية التي كانت تجرى بالمدينة ، ويمكن ان نتوقع بان عدد الفئة الثانية كان كبيرا اذا علمنا ان الجماعات الفينيقية كان اغلبها من الطبقات الارستقراطية التجارية ، التي كانت في حاجة الى اليد العاملة للقيام بالاعمال الثانوية . كما يبدو من جهة ثانية ، ان الجماعات الفينيقية التي استوطنت قرطاجة لم تجد صعوبة في الانسجام والتكيف مع البيئة الجديدة وذلك للتشابه الكبير بين موقعي صور وقرطاجة الجغرافيين ، اذ كانت كل منهما تقع في شبه جزيرة كما ان المناخ هو نفسه (مناخ البحر الابيض المتوسط) كما ان كلتا المدينتين تقعان على نفس المستوى من سطح البحر تقريبا (23) . كل هذه العوامل ساعدت على استمرار النشاط ، لان الامر لم يتطلب فترة لتأقلم الوافدين الجدد مع البيئة الجديدة .

لقد بدأت قرطاجة تنمو نموا داخليا ولكن بشيء من التوحد خصوصا من الناحية السياسية لان قرطاجة في هذه الفترة الاولى لم ترد ان تظهر زعامتها السياسية على المدن الفينيقية المتواجدة في غرب المتوسط وذلك لسببين رئيسيين

فى نظرى :

اولا : لان الظروف لم تكن تساعد على وجود مثل تلك الزعامة لان المستوطنات الفينيقية فى غرب المتوسط ، لم تتعرض الى اعتداء او تهديد سواء من طرف الاهالى (24) فى المناطق التى توجد بها تلك المستوطنات او اعتداء خارجى يجعلها تلتجئ لقرطاجة طلبا للمساعدة او تضطر هذه الاخيرة للتدخل وبالتالى لاظهار نفسها كحام ومدافع ومن ثمة يتسنى لها فرض زعامتها .

ثانيا : ان قرطاجة نفسها كانت خلال القرنين الثامن والسابع ق.م ما تزال تعتبر نفسها خاضعة لصور (منهوبا على الاقل) مثل بقية المستوطنات الفينيقية الاخرى التابعة لهذه المدينة .

والظاهر ان عدم ظهور قرطاجة على مسرح الاحداث السياسية فى القرون الاولى من حياتها هو الذى جعل المصادر التاريخية تغفلها غير ان ذلك لا يعنى ان قرطاجة كانت مستوطنة لا أهمية لها شانها شأن اى مستوطنة فينيقية اخرى فى المنطقة لانه من المستبعد جدا ان تظهر قرطاجة فجأة فى اوائل القرن السادس ق.م . بفضل تلك القوة التى ظهرت بها ، والتى ما هى فى الواقع الا نتيجة لنمو وتطور فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ولا شك ان ذلك التطور مدين لمجموعة من العوامل نذكر منها :

اولا : ان قرطاجة كما سبقت الاشارة الى ذلك كانت محل رعاية خاصة من صور ، وهذا ما جعلها محط انظار الوافدين من الطبقات الارستقراطية الفينيقية بما تتوفر عليه هذه الطبقات من ثراء مادى وخبرة سياسية ومكانة اجتماعية خاصة . كما ان قرطاجة ولنفس السبب السابق كانت محط انظار المدن الفينيقية فى غرب المتوسط ، وفى نظرى ان هذا العامل (عامل المدينة المفضلة) ساعد قرطاجة فيما بعد على بسط نفوذها السياسي نظرا للمكانة المعنوية التى اصبحت تتمتع بها .

ثانيا : الموقع الجغرافى الممتاز الذى كانت تتمتع به قرطاجة والذى كانت تتوفر فيه شروط الازدهار الاقتصادى سواء من الناحية الزراعية او التجارية . فقد كانت قرطاجة تشرف على البوابة الشرقية للحوض الغربى من المتوسط ،

/...

والتي تتوسط تقريبا حوض البحر الابيض المتوسط، الامر الذي مكنها من المتاجرة مع سكان المناطق المطلة على هذه المنطقة شرقا وغربا وخصوصا في الجهة الغربية لقلة المنافسة . الا ان هذا الموقع الممتاز الواقع في منتصف الطريق بين صور المدينة الام وبين قادس اقصى مستوطنة فينيقية غربا ، سهل على قرطاجة فيما بعد الاتصال والاشراف على المستوطنات الفينيقية سواء تلك الموجودة في شمال المغرب واسبانيا او تلك الموجودة في صقلية والجزر الاخرى . اما من الناحية الزراعية فقد كانت منطقة قرطاجة جيدة سواء من حيث المناخ او من حيث كمية الامطار الساقطة او من حيث نوعية التربة . وهذه العوامل كلها ساعدت الارستقراطية القرطاجية عندما بدأت تتحول من ارستقراطية تجارية الى ارستقراطية اوليغارشية .[25] ساعدتها على تحقيق ثراء عن طريق الزراعة . وفي الحقيقة اننا نجهل الفترة والكيفية التي بدأت فيها الارستقراطية القرطاجية التحول من التجارة الى الزراعة او بالاحرى الفترة التي بدأ فيها القرطاجيون بين الزراعة والتجارة . ويبدو ان هذه العملية قد بدأت في وقت مبكر ، اما الآراء القائلة بان القرطاجيين استولوا على الاراضي بالقوة في بداية القرن السادس قبل الميلاد فيبدو انها لا تخلو من بعض التحامل على القرطاجيين ، وان كانت لا تخلو من بعض الصحة . لانه من غير المعقول ان نتصور ان قرطاجيي القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد كانوا كلهم تجارا اذ من المؤكد انه كان من بينهم من يمارس الزراعة . اذ المعروف عن الفينيقيين في وطنهم الاصلي انهم كانوا يمارسون الزراعة وان اشتهروا بالتجارة ، اذن لابد ان جماعة منهم تمكنت من الحصول على قطع ارضية لممارسة الزراعة بطرق سلمية اما عن طريق الشراء أو عن طريق استصلاح بعض الاراضي التي لم تكن مستغلة من السكان الاصليين ، او عن طريق الفلاحة المشتركة ، بمعنى ان بعض القرطاجيين عرضوا خبرتهم الفنية - ان صح التعبير - على بعض المزارعين المغاربة[26] مقابل اقتسام المحصول ثم تحول اولئك القرطاجيون ملاكا لتلك الاراضي او لبعضها نتيجة التفوق الاجتماعي وتحول الطرف الاخر - اي المغاربة - الى مجرد عمال بمرور الزمن ، وعلى كل حال فان هذه الحالة الاخيرة هي مجرد افتراض ولكنها

ولكنها محتملة الوقوع . غير ان الشيء المؤكد هو ان القرطاجيين لم يستعملوا القوة للحصول على الاراضي الزراعية في الفترة الاولى .

ثالثا : النشاط الذي تميز به سكان قرطاجة نفسها منذ البداية والحركية التي تميزت بها الطبقة الارستقراطية ، اضف الى ذلك توافد العدد الكبير من المغاربة القاطنين بالجوار والذين جذبتهم الحياة الحضرية ، سواء منهم ما يمكن ان نسميهم بالطبقة الارستقراطية او العامة ، وهؤلاء لاشك انهم شاركوا بقسط وفير في النشاط الذي كان يطبع قرطاجة آنذاك وبالاخص في اعمال البناء والزراعة . ونتيجة لهذا النشاط الدائم والحركة المستمرة وجدت قرطاجة نفسها بعد فترة من الزمن ، قد تحولت من مجرد مستوطنة تتلقى المساعدات من الوطن الام او من المستوطنات الفينيقية الاخرى في المغرب الى اكبر (مستوطنة) مدينة في منطقة غرب المتوسط لاتلبث ان تتحول الى عاصمة فعلية لها . وهنا نصطدم بالسؤال الهام الا وهو كيف تحولت قرطاجة من مدينة يهتم اهلها بالتجارة والزراعة الى دولة تقوم بنشاط عسكري وتسعى لفرض هيمنتها على كامل المنطقة (منطقة غرب المتوسط) ؟ وبعبارة اخرى ما هي الاسباب التي فرضت عليها ذلك التحول ؟ اهو شعور قرطاجة بالقوة المادية جعلها تتطلع الى فرض زعامتها على المستوطنات الفينيقية القديمة لاحتكار التجارة بالمنطقة ؟ ام كان ذلك بتكليف من صور بعد ما رأت هذه الاخيرة نفسها قد اصبحت عاجزة عن القيام بالدور القيادي الذي كانت تقوم به من قبل ، نتيجة الضربات الآشورية المتتالية ، ام هناك عوامل خارجية فرضت على قرطاجة ذلك التحول ام كان نتيجة لكل تلك العوامل مشتركة ؟

انه لمن الصعب ان نجيب على مثل هذه الاسئلة اجابة لاتخلو من التحفظ امام انعدام المصادر التاريخية الصحيحة المؤكدة ، ومع ذلك فسنحاول بناء على ما لدينا من معطيات تاريخية متواضعة .

يشير بعض المؤرخين (27) الى أن قرطاجة في الفترة الاولى من تاريخها اي قبل القرن السادس ق . م . كانت تدفع ضريبة لاحد ملوك المغرب بالمنطقة غير ان هؤلاء المؤرخين لايذكرون اسم ذلك الملك (28) او الفترة التي حكم

فيها او القبيلة التي ينتمي اليها .كما انهم لم يشيروا الى ملوك آخرين غيره في هذه الفترة ، اي القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده ، الامر الذي يجعلنا نشك في وجود هذا الملك . وقد حاول البعض ان يجد في القصة الشائعة من ان ذلك الملك اراد التزوج بعليسة منشئة قرطاجة و تأييدا لوجوده ،خصوصا وأن القصة تضيف بان عليسة فضلت احراق نفسها عن خيانة زوجها بالتزوج من جديد .ويبدو ان هذه القصة انما هي مجرد اسطورة نسجها الاغريق كباقي الأساطير الاخرى ليضفوا على مؤسسي قرطاجة طابع التضحية ولتكتمل عناصر البطولة في شخص عليسة . ذلك لأن الفكرة السائدة لدى الاغريق في ذلك الوقت ، ان مؤسسي المدن هم اشخاص يتصفون بصفات خاصة ومتميزين عن بقية الناس العاديين . ولنا عدة امثلة عن هذه النظرة او الفكرة . فهم يرون مثلا ان رومولوس مؤسس مدينة روما كان واخوه يرضعان ذئبة . وعليه يجب استبعاد مثل هذه الروايات التي هي اقرب الى الخرافات منها الى الحقائق التاريخية .واذا ما سلمنا بهذه النتيجة امكننا القول بان قصة وجود مثل ذلك الملك انما هي قصة مختلقة أيضا ،وان الغرض من اختلاقها هو ايجاد مبرر لقصة حرق عليسة لنفسها لأنه لا يتوفر لدينا فيما أعلم -باستثناء القصة السابقة ، اي دليل مادي او كتابي يؤكد وجود ذلك الملك . لان وجوده معناه بالضرورة وجود مملكة على شكل ما ، وهذا لم يثبت اذ ليست لدينا ادلة كتابية ولو على شكل قصص وروايات عن وجود مملكة في المنطقة في هذه الفترة وعلى الأقل قبل القرن السادس ق . م . اي قبل ان تتحول قرطاجة الى دولة عسكرية وتقضي عليها .ثم لماذا لم يفرض ذلك الملك في حالة وجوده ضريبة على مدينة اوتيكا او هبو زاريت (بنزرت) مثلا وفرض فقط على قرطاجة ؟ . ان كل هذه الاعتبارات تقلل ان لم تنف كلية احتمال وجود ذلك الملك .ويبدو ان قصة الضريبة التي اشار اليها بعض المؤرخين (29) ما هي الا نوع من الايجار كان يدفعه القرطاجيون في بداية الأمر الى مالك او مالكي قطعة الأرض التي بنيت عليها المدينة مقابل المحصول الزراعي الذي كانت تنتجه ، (30) هذا ان صح ان قرطاجة كانت تدفع مثل هذه الأجرة فعلا .

واذا سلمنا بوجود مثل هذه الضريبة او الاجرة كما ارجح ان اسميها ، فمتى توقفت قرطاجة عن تأديتها ؟ ولماذا ؟ . ان الاجابة على هذه الاسئلة قد تساعدنا كثيرا على معرفة عوامل تحول قرطاجة . الا انه من المؤسف حقا اننا لا نستطيع الاجابة على مثل هذه الاسئلة لان ما لدينا من معلومات عن هذا الموضوع هو مجرد تخمينات واستنتاجات لبعض المؤرخين المحدثين ، وهو ان تلك "الضريبة" قد انقطعت مع بداية القرن السادس قبل الميلاد[31]. اي في الوقت الذي بدات فيه قرطاجة تتحول الى دولة ذات طابع عسكري ، وتمارس فيه سياسة التوسع .

ج – ... من قرطاجة المدينة الى قرطاجة الدولة

يتفق كل من موسكاتي وجوزيل على ان السبب الرئيسي الذي ادى بالقرطاجيين الى تبني سياسة جديدة في المنطقة ، هو النبز و الاغريقي[32] لبعض اجزاء المغرب . فقد قام الاغريق بحركة هجرة واسعة ، ما بين القرنين الثامن والسادس ق . م كادت تشمل سواحل الحوض الغربي للمتوسط .[33] وتواجد الاغريق في هذه المناطق لم يكن يهدد المجال التجاري الفينيقي والقرطاجي فحسب وانما يهدد وجودهم بالذات . وقد سبق للاغريق ان طردوا الفينيقيين من رودس وقبرص وصقلية تلك المناطق التي كانت تعتبر مناطق نفوذ للفينيقيين . واذا كان ذلك الطرد قد تم في ظروف تاريخية معينة كان يمر بها الفينيقيون انذاك اذ لم يكن لدى صور التي كانت تتزعم المدن الفينيقية القوة العسكرية الكافية للدفاع عن التواجد الفينيقي في تلك المناطق فان قرطاجة كان لديها ما يسوغ دفعها للقيام بتلك المهمة سواء من حيث القوة الاقتصادية او من حيث الظروف التاريخية . فمن حيث القوة الاقتصادية رأينا بأن هناك جملة من العوامل ساعدت قرطاجة على النمو ، واصبح بامكانها ان تنشئ جيوشا ان اضطرت الى ذلك وهذا ما حدث بالفعل ، حيث قامت باستغلال قوتها الاقتصادية في استخدام واستئجار الجنود المرتزقة

لتشكيل قوة عسكرية تجابه بها الخطر الاغريقي . اما من حيث الظروف التاريخية، فان الفترة التي بدأت فيها قرطاجة تتحول من قوة تجارية الى قوة عسكرية كانت مناسبة جدا فلم تكن توجد في غرب المتوسط وخصوصا في بلاد المغرب اية قوة عسكرية تنافسها وتمنعها من القيام بما قامت به . اي ان المنطقة كانت تشكو فراغا عسكريا - ان صح التعبير - فلم تكن في ظل وضعية صور التي كانت تحت هيمنة ومراقبة احدى القوى السياسية والعسكرية الكبرى في المنطقة كالمصريين والحيثيين او الأشوريين.

ويبدو ان سياسة المجابهة مع الاغريق هي التي دفعت قرطاجة الى فرض سياستها وهيمنتها على المستوطنات الفينيقية في الغرب . ومن المحتمل جدا ان بعض تلك المستوطنات قد دخلت تحت حماية قرطاجة عن رضى خصوصا تلك الموجودة في صقلية والتي كانت مهددة بصفة مباشرة من طرف الاغريق الذين تمكنوا من الاستيلاء على القسم الشرقي من صقلية . واذن فالخطر الاغريقي كان من الاسباب الرئيسية التي دفعت القرطاجيين الى تبني سياسة جديدة ، ليس ازاء المدن الفينيقية فحسب بل وكذلك ازاء المغاربة . فلكي تتمكن قرطاجة من مجابهة الاغريق كان عليها ان تجمع المدن الفينيقية (34) في غرب المتوسط وتوحيدها تحت زعامتها لانه بدون تلك الوحدة لا تستطيع الصمود امام الاغريق لقلة امكانياتها البشرية الذاتية، كما انه لم يكن في وسعها الاعتماد على صور لمساعدتها في الدفاع عن التواجد الفينيقي في غرب المتوسط ذلك ان هذه الاخيرة اي صور كانت في وضعية سيئة بسبب الهجمات الاشورية المتكررة ضدها ، وقد انعكست تلك الوضعية على قرطاجة ولكن بشكل ايجابي اذ يرى بعض المؤرخين ان الكثير من العائلات الصورية الثرية هاجرت الى قرطاجة فرارا من تلك الهجمات الاشورية ، وقد تسببت تلك الهجرة في اعطاء نفس جديد لقرطاجة من حيث العادات والتقاليد والعناصر القيادية، (35) وحتى اذا استبعدنا فكرة ضعف صور نتيجة الهجمات الاشورية، فلم يكن في مقدورها حماية فينيقيي الغرب لبعد المسافة من ناحية ولان صور لم تكن لها القوة العسكرية التي يمكن ان تجابه بها الاغريق من ناحية اخرى . فكل هذه العوامل مجتمعة دفعت قرطاجة لتغيير اوبالاحرى لتبني سياسة جديدة في المنطقة

العوامل مجتمعة دفعت قرطاجة لتغيير او بالاحرى لتبني سياسة جديدة في المنطقة .

وهناك عامل آخر ساعد القرطاجيين على تعويض نقصهم من الناحية البشرية وهو وجود افراد مستعدين للعمل كجنود مأجورين (مرتزقة) . وعن طريق تجنيد المرتزقة استطاعت قرطاجة ان تنشئ جيشا للدفاع عن مصالحها الحيوية وتضمن سيطرتها على مناطق الحوض الغربي للمتوسط ماعدا بعض الجيوب التي تمكن الاغريق من التسلل اليها كماسيليا (مرسيليا) في جنوب غاليا .

وكان على قرطاجة امام هذه السياسة الجديدة والتي اصبحت تكلفها اموالا طائلة ان تتوسع في الاعمال الزراعية الى جانب نشاطها التجاري لزيادة مداخيلها .فبدات تستولي على الاراضي المجاورة اما عن طريق الرضا او القوة وبالتالي تغيير سياستها ازاء المغاربة واصبح على القبائل الساكنة بالمناطق المجاورة اما ان تكون متحالفة معها او خاضعة لها . ويبدو ان الحالة الاولى كانت هي الاكثر حدوثا وذلك لعدة اعتبارات ،منها ان القوة التي يمكن ان تستخدم في عملية الاخضاع كانت ،او اغلبها من المغاربة العاملين في الجيش القرطاجي كحلفاء او مرتزقة .كما ان عملية الاخضاع يمكن ان تحدث رد فعل في شكل مقاومة من طرف المغاربة ،وهذا لم يحدث او على الاقل ليست لدينا في الوقت الحاضر ادلة وشواهد . كما انه من غير شك ان المغاربة كانوا قد تفطنوا الى خطر الاستعمار الاستيطاني الاغريقي ولذلك كانوا يفضلون الانضمام الى قرطاجة والتحالف معها لمواجهة العدو المشترك خصوصا وانهم ألفوا الوجود الفينيقي .فكل هذه الاعتبارات تجعلنا نرجح ان القسم الاكبر من المغاربة المجاورين لقرطاجة انضموا اليها عن طريق التحالف .
وقد بقي ذلك التحالف موجودا حتى اواخر القرن الثالث ق . م . فالنصب التذكاري الذي خلفه القائد القرطاجي حنابعل (هانيبال) في ايطاليا اثناء الحرب البونية الثانية يذكر القبائل المغربية المتحالفة مع قرطاجة والمشاركة في تلك الحرب (36).

لم يمض وقت طويل على بدء هذه التغيرات حتى تحولت قرطاجة من

مجرد مدينة تجارية الى عاصمة لامبراطورية تمتد من خليج سيرت الكبرى شرقا الى جنوب اسبانيا والسواحل الاطلسية للمغرب الاقصى غربا وغرب صقلية وجزر البحر التيراني وجزر البالبار شمالا . وباستكمال قرطاجة سيطرتها على هذه المنطقة لصبح بامكانها التحكم في بوابتي الحوض الغربي للمتوسط الشرقية والغربية وبالتالي منع الاغريق من التقدم نحو المناطق الغربية وخصوصا سواحل المغرب الشمالية وجنوب شرق اسبانيا الامر الذي مكنها وهو ماكانت تسعى اليه من احتكار التجارة لا في منطقة الحوض الغربي فحسبه بل وايضا فيما وراء اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) في المحيط الاطلسي شمالا وجنوبا . وقد قامت بارسال حملة استكشاف للسواحل الجنوبية الشرقية للمحيط الاطلسي فيما عرف برحلة حنون الشهيره خلال القرن الخامس قبل الميلاد (37).

فباستثناء منطقة البحر التيراني وجنوب غاليا التي كان الاغريق والرومان يشاركونها فيها، يمكن القول بان الحوض الغربي للمتوسط اصبح بحيرة قرطاجية مابين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد .

ان امبراطورية قرطاجة لم تكن تشبه اية امبراطورية اخرى من حيث وضعها الجغرافي . فقد كانت امبراطورية بحرية وتجارية في نفس الوقت، الا ان الجزء القاري منها كان يشكل قسما ضئيلا . فباستثناء منطقة تونس (مقاطعة افريقية) كانت الاجزاء التي تسيطر عليها قرطاجة من القارة الافريقية لا تعدو كونها شريطا ساحليا يمتد من خليج سيرت الكبرى شرقا الى مدينة ليكسوس غربا . وهذا الوضع يتماشى مع طبيعة السياسة القرطاجية التي لم تكن تسعى الى ممارسة سياسة استعمارية مثل روما فيما بعد، بقدر ما كانت تهدف للدفاع الى الدفاع عن نفسها عن وجودها وعن مجالها الحيوي المتمثل في احتكار التجارة بالمنطقة . اي ان الامبراطورية القرطاجية كانت امبراطورية تجارية قبل كل شيء . فكيف كانت قرطاجة تسير هذه الامبراطورية ؟ وما هو نظام الحكم الذي كان موجودا فيها ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه .

الفصـــــــــل الثــــــانــــــــي (1)

النظام السياسي لقرطاجــــة

اذا كان التاريخ العام للدولة القرطاجية يسوده الكثير من الغموض وتتخلله الكثير من الثغرات ، بسبب قلة المصادر او انعدامها في كثير من الاحيان ، فان تاريخ نظامها السياسي ، وخاصة في مراحلها الاولى ، حيث لم تكن محل اهتمام الكتاب والمؤرخين الاجانب من اغريق ولاتين ، الذين نعتمد على معلوماتهم في التعرف على تاريخ قرطاجة والدولة القرطاجية بصفة عامة .

فاهم مصادرنا عن النظام السياسي لقرطاجة تتمثل في فصل من فصول كتاب السياسة لأرسطو وهو كتاب الف حوالي 335 ق . م . ويمكن ان نضيف اليه بعض الفقرات مما كتبه المؤرخون الاغريق واللاتين ، والمشوشة هنا وهناك . على ان اغلب هذه الفقرات تتعلق بالفترة المتاخرة ، الى حوالي القرن الثالث ق . م . ونجد مادة في مؤلفات ديودور الصقلي وتروج بومبي (TrogePOMPEE) في مختصر جوستان والتي يبدو انها ماخوذة عن تيمي (2) (تيمايوس) .

اذن فالمعلومات المتوفرة لدينا عن النظام السياسي لقرطاجة — على قلتها — وردتنا من كتاب اجانب عن قرطاجة (اغريق لاتين) وهؤلاء لم يكونوا دائما يتوفرون على معلومات صحيحة كما كانوا يستعملون المفاهيم اي المصطلحات السياسية المتداولة في لغاتهم ، عند الحديث عن الانظمة السياسية في قرطاجة ، ومما تجدر الاشارة اليه ، ان تلك المعلومات تتعلق بفترات مختلفة تمتد من القرن السادس ق . م . حتى منتصف القرن الثاني ق . م .

ومعنى ذلك اننا امام خليط من المعلومات يجب قبل استعمالها كمادة تاريخية ، محاولة ترتيبها زمنيا لان الدولة القرطاجية لم تبق نظمها السياسية جامدة اثناء هذه الفترة الطويلة التي تشملها تلك المعلومات (3) . والنقوش الفينيقية المكتشفة في قرطاجة امدتنا باسماء "حكام ونظار" (Magistrat Dignitaire) وهي تعود الى القرنين السابقين عن تدمير مدينة قرطاجة سنة 146 ق . م . (4) والمؤرخون المعاصرون الذين حاولوا دراسة النظام السياسي

القرطاجي لجأوا في اغلب الاحيان الى الافتراض نظرا لانعدام الوثائق والنتائج التي انتهوا اليها بعيدة عن الاتفاق . والملاحظ ان المعلومات المتوفرة لدينا عن هذا الموضوع كتبت في وقت متاخر ولهذا فاغلبها مبني على التخمين والمقارنة -اي مقارنة نظام قرطاجة بنظام سبرطة واثينا وروما -ولذلك يجب اخذ تلك المعلومات بتحفظ كبير . ولكي تكون لنا صورة قريبة من الحقيقة عن النظام السياسي القرطاجي خاصة في الفترات الاولى يجب الرجوع الى تاريخ صور .

والواقع اننا نجهل تماما كيف بدأ التنظيم السياسي في قرطاجة ، وكيف تطور الى ان اخذ هيكله الذي وصفه لنا كتب الاغريق واللاتين . وقلة المعلومات سمحت للمؤرخين المعاصرين بابداء بعض الآراء حول موضوع النظام السياسي القرطاجي . وفي الوقت الحاضر نجد وجهتي نظر متعارضتين :(5)

فاصحاب الوجهة الاولى يرون بانه لم تغيير كبير في الانظمة السياسية القرطاجية منذ نشأة المدينة في اواخر القرن التاسع ق ٠م ٠ حتى نهاية الدولة القرطاجية سنة 146 ق ٠ ٠ م ٠ويرون بان قرطاجة كانت عبارة عن جمهورية ارستقراطية تجارية تشبه الى حد ما جمهورية البندقية الايطالية في العصور الحديثة . ومن بين هؤلاء المؤرخ ستيفان جزيل ، مع ابدائه بعض التحفظات .(6)

وقد ابدى اصحاب هذا الفريق مهارة فائقة في التوفيق بين وجهة

نظامهم وبين ما ورد في مؤلفات المؤرخين القدماء حول التنظيم السياسي القرطاجي . فقالوا بأن الكتاب القدماء امثال ارسطو وبلينيوس Pline . كانوا يطلقون على النظام الواحد أسماء مختلفة ؛ وان بعضهم كان يجهل مرتبة بعض المناصب .

أما أصحاب الرأي الثاني والذين يمكن وصفهم بأصحاب ((النظرية الحركية)) فهم يعتقدون بأن قرطاجة مثل روما والمدن الاغريقية ابتدأ فيها النظام السياسي بالملكية ثم الجمهورية وأخيرا فترة الديمقراطية ومن هؤلاء المؤرخ الألماني ج . بلوخ J. Beloch . [7]

والظاهر أن أصحاب الرأي الثاني اعتمدوا على بعض الروايات التي أوردها بعض الكتاب الاغريق واللاتين أمثال ارسطو وبوليبيوس . Polybe . الذي يستفاد من روايته بأن النظام السياسي في قرطاجة في عهد ازدهارها كان أكثر ديمقراطية من نظام روما [8] وكذلك على المقارنة بين الأنظمة السياسية في بلاد الاغريق وروما وبين نظام قرطاجة . غير أن مثل هذه المقارنة تبدو غير وجيهة لاختلاف القرطاجيين عن كل من الاغريق والرومان . وربما كان من الأفضل أن تكون المقارنة بين صور وقرطاجة .

ففي فينيقيا وفي صور نفسها وفي غيرها من المدن الفينيقية قبل وبعد نشأة قرطاجة ؛ كانت السلطة بيد ملوك ، يحتلون العرش عن طريق الوراثة ويحكمون مدى الحياة ؛ فهل وجدت ملكية بهذا الشكل في قرطاجة [9] التي تنسب الروايات انشاءها الى ملكة ؟ ! وهل عوضت الملكية بنظام انتخابي مثلما وقع في دويلات المدن الاغريقية ؟ اننا لا نملك أدلة عن ذلك . فأقدم ملك لقرطاجة تذكره المصادر يدعى باسليوس ( ) [10] وهو شخصية غامضة ووجودها محل جدل [4] عاش في بداية القرن الخامس ق . م : وحسب هيرودوت فقد وصل الى الحكم نظرا لمكانته الاجتماعية [11] وهذا معناه أنه منتخب بكيفية ما . وفي وفي رواية لجوستان – Justin – نجد اشارة الى مجلس الشيوخ والى مجلس شعبي في القرن السادس ق . م . ونفس رواية جوستان تشير الى انقلاب قام به أحد القادة العسكريين يدعى مالخوس – Malchos – بعد أن أحرز على انتصارات في كل من افريقيا وصقلية انهزم في سردينيا (ربما كان ذلك في معارك مع الاغريق) فحكم عليه القرطاجيون في المنفى مع من تبقى من جنوده (لم تشر الرواية الى نوع الحكم وربما كان بالاعدام كما يستفاد من سياق الاحداث) كعقاب له على الهزيمة ؛ فالتمس العفو ؛ غير أنه لم يحصل عليه ؛ ولذلك انتقل مع جيشه الى افريقيا وحاصر مدينة قرطاجة ثم أنقض عليها

ودخلها عنوة واستولى على الحكم . وأعلن بأنه لايعاقب الا أولئك الذين كا ن فقتل عشرة (10) من الشيوخ : ثم أعاد الحكومة الشرعية . وبعد مدة قصيرة اتّ وقتل (12)

ومنذ منتصف القرن السادس وخلال النصف الأول من القرن الخامس كانت السلـ الماغونية Magonide حيث بقيت خلال ثلاثة أجيال (13) واذا كانت ف الأسرة تمتد فعلا من منتصف القرن السادس الى منتصف القرن الخامس ق م . كما أ ففي أي مرحلة يمكن ادراجها : في مرحلة الحكم الملكي الفردي أم في مرح الارستقراطي الاوليغارشي ؟ اننا لانملك امكانية الاجابة على ذلك في الوقت الـ

ويستفاد من كتاب السّياسة لارسطو الذي وصف لنا نظام الحكم في قرطاجة ملكيا ثم تحول الى الارستقراطية (14) وبالاحرى الى الديمقراطية المعدلة بما لا على حد تعبير مومسن Mommsen . فقد أطلق عليه في نفس الوقت مذ أي الديمقراطية والاوليغارشية . (15)

فقد كانت السلطة (وهذا ربما بعد التخلي عن النظام الملكي الفردي) بيد او الشيوخ Conseil des Anciens وهم يمثلون العائلات الكبيرة . وكان مـ يتكون من قاضيين أو شفطين Schoffeth ينتخبان سنويا ؛ ومن أربعة وعشرين أو نائبا ومن المحتمل انهم كانوا ينتخبون من طرف الشعب (ربما كان الأمر يقة القرطاجية) سنويا وكان غالبية الاعضاء من الارستقراطية وكذا أعضاء هيئة القضاء (من مئة (100) قاضي يختارون من بين أعضاء مجلس الشيوخ . وكان لمجلس القد صلاحيات كبيرة : كاعلان الحروب وفرض الضرائب وعملية التجنيد وهو الذي يعين ال ومساعديهم ؛ ويتلقى الرسائل الرسمية للدولة ؛ وبصفة عامة كان يمثل السلطات التنفيذية في الدولة . والاحتمال ضعيف ان كان هناك الى جانب هذا المجلس الـ آخر موسع (17) وعلى كل حال فانه في حالة وجوده كانت له صلاحيات محدو للقاضيين الشفطين (الملكين) امتيازات كبيرة في السلطة او التأثير . أما القادة العسكري بعد كل حرب ، تقديم تقارير عن أعمالهم الى هيئة القضاء أو المحكمة . وكان خوف من أحكام هذه المحكمة يجعلهم يحترمون سلطة الدولة .

وبعد استعراض هذه الروايات والآراء حول النّظام السّياسي لقرطاجة ؛ تبقى ذلك النظام كيف بدأ وكيف تطور مطروحة ما لم تتوفر معلومات جديدة .

Text Stamp

الفصل الثالث

مملكة قورينة الاغريقية

لم تبق منافسة الاغريق للفنيقيين في ميدان الاستيطان مقصورة على صقلية بل امتدت هذه المنافسة الى بلاد المغرب (شمال افريقيا). فقد تمكن احداث وجود لهم في منطقة برقة بانشائهم مستوطنات، قورينة - Cyréné - (ش... وبرقة وتوخيرة (Toucheira) (طلميثة او توقرة ؟) وأويسبريدس (Euhesperides). وقد التفتت انظار الاغريق الى هذه المنطقة منذ القديم، وربما منذ الالف الثـ... أنه ليست هناك شواهد تاريخية تثبت ذلك.

ويرى بعض المؤرخين بأن استيطان الاغريق في منطقة برقة الليبية كان نتيجة... من مصر. ويعود ذلك الى عهد الملك بسا متيك الاول (2) الذي منح الاغريق الحـ... مركز تجاري في منطقة الدلتا، والذي تحول فيما بعد الى مستوطنة نوقراطيس (3) ...ris قاموا بخطورة اخرى نحو الغرب، وانشأوا مستوطنة قورينة (4) (شحات) في أواخر... ق.م. غير أن فكرة تدرج الاغريق من مصر الى برقة، وان كانت تبدو منطقية، فان التاريخية الحديثة لا تؤيدها. فاغلب المصادر تشير الى أن تأسيس مدينة قورينة كا... بينما تأسيس نوقراطيس لم يتم الا في الفترة المتراوحة ما بين 570 - 526 ق.م (5). المصادر تقول بأن مؤسسي قورينة جاءوا من جزيرة تيرا وطنهم الاسبارطي، فان الاطا... يمكن أن ندرج ضمنه انشاء مستوطنة قورينة، وبالتالي التواجد الاغريقي في ليبيا... الهجرة الاغريقية التي ابتدأت منذ القرن الثامن ق.م. نحو المناطق الغربية، كما... من قبل. أما فكرة تدرجهم من مصر الى ليبيا، فيمكن أخذها كعامل مساعد فقـ... لهم الفرصة للتعرف على المنطقة وسكانها بواسطة المتاجرة معهم. وهذا اذ اسلمنا... في مصر، كمستوطنين كان قبل نشأة قورينة في أواخر القرن السابع ق.م.

وينبغي أن نشير الى تلك الروايات التي ترجع اتصال الاغريق ببلاد المغرب الى فتـ... الالف الثانية ق.م أي الى العهدين: الميونيسي والمينيني، اذ تتحدث تلك الروايات... كرويوس الذي تقذف به الامواج الى ليبيا (6) (الى بحيرة تريتونيس) والذ... دليلا للاغريق عند مجيئهم الى بلاد المغرب على أن مثل هذه الروايات لا يمكن أخـ... لا تسامها بالطابع الاسطوري، ويبدو لي أنها مجرد اختلاق كان الدافع اليها هو اظها... على أنهم مكتشفو العالم القديم.

تعزو معظم الروايات التاريخية انشاء مستوطنة قورينة ، من جزيرة تيرة الواقعة ايجه . ويرى البعض بأن الاغريق ربما نزلوا أولا بجزيرة بلاطيا الواقعة قرب سهل ... وهناك أقاموا لهم مركزا تجاريا للمتاجرة مع قبائل الاسبيست (asbystes) التي كانت تسكن تلك المنطقة . وربما كان ذلك في القرن الثامن ق . م (8) أو قبله . وكان المركز خليطا من سكان البيلوبونيز والتساليين — ويبدو أنهم اكتفوا بذلك المركز الى القرن السابع ق . م . حيث وفدت جماعة جديدة أغلبهم من دوريي — oriens تيرا ومن اللاكونيين والروديسيين (سكان جزيرة رودس) . ونظموا لصخور جزيرة بلاتيا وعلى أ حتواء تلك المجموعات ، فقد تحصل الاغريق على رخصة من أهالي المنطقة بالانتقال الى القارة (9) وقد يرجع سبب بقاء الاغريق في جزيرة بلاتيا كل القرن الثامن حتى أواخر القرن السابع ق . م . الى أن رغبتهم اذ ذاك كانت تنحصر وربما هناك سبب آخر ، وهو أن الاغريق كانت وجهتهم في هذه الفترة نحو ايطاليا أكثر منها الى الجهات الأخرى ، ولذلك اكتفوا بالبقاء في جزيرة بلا تلك الجماعات الجديدة والتي تبدأ معها مرحلة الاستعمار الاغريقي لمنطقة برقة .

وتشير بعض المراجع (10) الى أن المهاجرين الاغريق لم يستقروا في المنطقة التي يصعب الدفاع عنها ، ولكنهم انتقلوا الى الهضبة المجاورة ، والتي كان يوجد بها من جهة الجنوب يحميانها من الرياح الجنوبية الآتية من الصحراء . وليست لدينا معلومات التي تم بها انتقال الاغريق من المنطقة الساحلية الى الهضبة المجاورة . فهل كان ذلك رخصة من أهالي المنطقة أيضا : أم أنه تم عن طريق القوة ؟ والظاهر أنه تم عن طريق القوة والاستيلاء على المنطقة : وذلك نظرا لعدة معطيات من أهمها :

— أن الجماعة الاغريقية التي نزلت بجزيرة بلاتيا في أواخر القرن السابع ق . م اذ أنها كانت تضم بالاضافة الى دوريي تيرا جماعات أخرى من الكريتيين والروديسيين الأمر الذي يجعلنا نرجح بأنهم جاءوا خصيصا من أجل الاستيطان ، كيفما تكون الطريقة ذلك ، ثم أنه من المستبعد أن يكون الليبيون قد تنازلوا بمحض ارادتهم عن خصوصا ، خصوصا اذا علمنا ان نشاطهم الاقتصادي كان يعتمد على الزراعة : فالمنطقة زراعية بالدرجة الأولى ، وصالحة لتربية المواشي (12) وهي التي سوف تكون سببا المملكة الاغريقية في المنطقة فيما بعد ، اضف الى ذلك أن المنطقة كانت مأهولة لأنه كان يوجد بأحد التلال المجاورة لها ينبوع ماء أطلق عليه الاغريق اسم "

لقد كان المكان الذي استقر به الاغريق في برقة ملائما لاقامة معبد للاله "ابوللو" وليكون اكروبولا لمدينة . وهكذا انشئت مدينة "قورينة" (خ ج 1) (شحات حاليا) في الساحل الليبي والتي كانت كما قال المؤرخ الفرنسي "جوستاف جلوتز "عبارة عن "واحة اغريقية في الصحراء الافريقية" (14) .

وقبل ان نتوسع في استعراض تاريخ هذه المستعمرة هناك نقطة لابد من التوقف عندها ولو قليلا واعارتها قدرا من الاهتمام الا وهي "التسمية" . فقد مر عليها كثير من المؤرخين مرورا سريعا ، واخذوها كمسلمة دون ان يحاولوا مناقشتها فيما اذا كانت تسمية اغريقية محضة ام انها محلية ام هي اغريقية محرفة عن اصل محلي ؟

هناك رواية تقول بان سكان قورينة كانوا يعبدون الها يدعى "قيريني" – Kyréné – تحت اسم "كارينيوس" ومن اسم الاله قيريني جاء اسم المدينة "قورينة".

ان فكرة استعارة اسماء المدن من اسماء الالهة ، فكرة معهودة لدى الاغريق ولدينا امثلة عديدة عن ذلك مثل ابولونيا من ابوللو وبوزايدونيا من بوزايدون وغيرهما . الا ان الشيء الذي يثير التساؤل هو لماذا يحول اسم قيريني (~~الي ابولو ان~~ كيريني) الي كارينيوس مادامت كلمة "كيريني" اغريقية ؟ اضف الي ذلك اننا لا نجد فيما اعلم مدينة اخرى بهذا الاسم في مكان آخر . ثم لدينا كلمة "كيي" التي هي اسم النبع الموجود هناك . افلا يمكن ان يكون هذا الاسم محليا ؟ وان يكون الاغريق قد اخذوه بحرفيته عن اهالي المنطقة او مع قليل من التحريف فاعير اسم النبع للمدينة مع تلك الاضافة البسيطة (Kyré + né = Kyréné)

ونجد تأييدا لهذه الفرضية في مقال لـ هـ. توكسي (H. Tauxier) في المجلة الافريقية (14) يقول فيه بان الليبيين قادوا الاغريق الى الناحية الغربية مما يقابل جزيرة بلاتيا ، الى هضبة ذات تربة بيضاء يطلق عليها الليبيون (الاهالي حسب تعبيره) اسم "كيرا" ويوجد بها نبع ماء يحمل نفس الاسم كيرا وقد خصص الاغريق ذلك النبع للاله الدوري الكبير "ابوللو" وانشأوا على ضفافه مجموعة من الخيمات اطلقوا عليها اسم "كيريني" (قورينة) اشتقوه من اسم النبع (16) . وبناء على ما تقدم ، فاننا نرجح بان اسم المدينة ("قورينة" هو اسم محلي او بعبارة اصح مشتق من اصل محلي وليس اغريقيا بحت)

"قنوريننة" هو اسم محلي او بعبارة اصح مشتق من اصل محلي وليس اغريقيا ، ويجب ان نستبعد تلك الروايات التي تتسم بالطابع الاسطوري والمتعلقة بهذا الموضوع مثل الرواية القائلة بان الاله ابوللو حمل الالهة "كيريني" من بلاد الاغريق الى ليبيا وانشأ لها مدينة هناك (حملت اسمها) وانجب منها الاله "اريستي" ثم حمله الى تساليا (17) . ويقول فيرنيدس السيروسي - Pherkydes de Siros - عند حديثه عن الالهة بان ابوللو حمل كيريني الى ليبيا بواسطة الاوز (18) - Cygnes - . فهذه الرواية واشالها انشأها الاغريق بعد حوالي خمسين (50) سنة من تأسيس مدينة قورينة (19) محاولين بذلك ايجاد تفسير لتسمية المدينة واضفاء الطابع الاغريقي عليه .

بعد ان استقر الاغريق في المنطقة اشتغلوا بالزراعة وتربية المواشي خصوصا تربية الخيول حيث كان بالمنطقة نوع ممتاز .

وقد ادخل الاغريق الى ليبيا حسب رواية "بندار" استعمال العربات (20) التي انتشر استعمالها في المناطق المجاورة غير لأننا نجد هيرودوت يروي رواية مخالفة اذ يقول بان الاغريق اخذوا عن الليبيين استخدام العربات التي تجرها اربعة (4) خيول (20) . وهذا يدل على ان الليبيين كانوا يعرفون استخدام العربات قبل مجيء الاغريق الى المنطقة ، كما ان اتصال الليبيين المباشر بالمصريين ~~جيرانهم~~ ، جيرانهم لابد وانه جعلهم يتعرفون على استخدام العربات . وعليه يجب استبعاد رواية بندار . اللهم الا اذا افترضنا انه يعني نوعا معينا من العربات . ثم ان بندار شاعر في المقام الاول وليس مؤرخا ولذلك فلا يجب الاعتماد على روايته اعتمادا كبيرا لانه يغلب عليها الشعر الحماسي الذي يمجد قومه وينسب اليهم كل شيء .

~~ويقول~~ وتقول الروايات بان منشيء قورينة او على الاقل المشرف على انشائها يدعى "باطوس" ويرى البعض ان هذا الاسم ليبي (22) اطلقه اهالي المنطقة على ذلك الشخص ومعناه "التمتاع" او "المتمتع" لانه كان يتمتع عند التكلم أي ان هذا الاسم صفة . ويعتبر هذا الشخص عميد الاسرة "الباطية" (Battiades) التي تناوب افرادها على عرش مملكة قورينة لمدة قرنين من الزمن تقريبا .

فالذي جاء بعد باطوس الاول منشئ المدينة هو ابنه "اركيزيلا س" او "ارسيزيلا س" (Arcesilas أو Arkysilas) وقد اطلق على الملوك الثمانية الذين تعاقبوا على حكم قورينة اسماء باطوس وارسيزيلا س بالتناوب (23) .

وقد امدنا بندار (24) ببعض المعلومات عن باطوس الاول ، وعن بعض منجزاته فقال عنه بانه انشأ شارعا يتوسط مدينة قورينة وبلطه بالحجارة وخصصه للاله أبوللو حامي المدينة ، كما خصص له غابة كانت مجاورة للمدينة . وعندما توفي هذا الملك الاول من ملوك قورينة احرق في ساحة المدينة واصبح ينوء له كبطل . وهذا الا نوع من التقديس كان يمنحه الاغريق لكل الذين يقومون بانشاء المدن . وهذا التقديس اتاح الفرصة للشعراء لنظم مجموعة من الاشعار تمجد المؤسس الاول وامجاده (25) .

وقد تبنت الاسرة الباطية نظام الملكية الوراثية في الحكم الامر الذي ساعد ملوكها على تطوير الانظمة المدنية (26) فبعد وفاة باطوس الاول خلفه ابنه ارسيزيلاس الاول ، ويبدو انه لم تحدث في عهده احداث ذات اهمية كبرى ، ويبدو كذلك ان الاغريق في عهده لم يجرؤوا على التوسع في ليبيا ابعد من ضواحي قورينة . واننا نجهل نوع العلاقة التي كانت بينهم وبين الليبيين من سكان المنطقة . الا انه يبدو ان العلاقة بين الطرفين كانت الى هذا العهد ، علاقة سلمية ، اذا ما استثنينا الفترة التي استولى فيها الاغريق على منطقة قورينة ، اذ اننا لا نجد في المصادر ما يشير الى وجود صراع ، اذ يبدو ان الليبيين قد استكانوا الى نوع من الرضا بعد ان طردوا من المنطقة التي استوطنها الاغريق ، ويبدو ان ذلك الرضا ناتج عن اكتفاء الاغريق بمنطقة قورينة وما جاورها والتي تحصلوا عليها في بداية الامر . غير ان هذه العلاقة السلمية ستتغير في عهد باطوس الثاني الملقب بـ "المسرور" . ففي فترة حكم هذا الملك جاءت جماعة من شبه جزيرة البيلوبونيز ومن جزيرة كريت الى ليبيا . وتقول الروايات بان مجيء تلك الجماعة كان بناء على طلب من اهل قورينة لتعمير المناطق المجاورة (27) .

ولسنا ندري ما اذا كانت تلك الجماعة قد جاءت فعلا بناء على طلب من اهل قورينة ام انها تعتبر استمرارا لحركة الهجرة الاغريقية نحو الجهات الغربية ،

سعيا وراء الحصول على الثروة وامتلاك اراض جديدة ؟

واذا سلمنا بهذه الرواية السابق ذكرها فاننا نتساءل عن الدوافع التي جعلت اهل قورينة يستدعون تلك الجماعة . فهل كان قصدهم تعزيز تواجدهم هناك وانشاء مملكة اغريقية قوية في المنطقة بحيث تكون قادرة على مواجهة الليبيين اذا ما ارادت التوسع أم انهم الى الاغريق تعرضوا لتهديد من الليبيين الامر الذي جعلهم يستقدمون تلك الجماعة كنجدة . على اننا امام انعدام الشواهد التاريخية نرجح الفرضية الاولى على الثانية لان سير الاحداث فيما بعد يبرر هذا الترجيح . فالظاهر ان الجماعة الجديدة كانت كبيرة نسبيا بحيث لم تكفهم مدينة قورينة فحاولوا التوسع على حساب سكان المنطقة . فقام الملك باطوس الثاني بمصادرة اراضي الليبيين ومنحها للمهاجرين الجدد من الاغريق.[28] الامر الذي دفع الليبيين [29] الى طلب نجدة عسكرية من الملك المصري وافرس[30] (ابريس) . وقد دارت المعركة بين الاغريق والجيش المصري في منطقة ايرسا - Irassa - قرب منبع تيستيس - Thestes - حوالي سنة 571/ 570 ق . م وقد انتهت بانهزام المصريين [31] وانسحابهم من ليبيا . ونستنتج من هذه الاحداث ان العلاقة بين الاغريق والليبيين فقدت طابعها السلمي الذي تميزت به في بداية الامر واصبح الليبيون القاطنون بالمنطقة خاضعين لسيطرة الاغريق المنتصرين [32] .

واذا حاولنا تقييم هذا الانتصار من الناحية السياسية فان نتيجته كانت سلبية بالنسبة للاغريق اذ لم يسفر عن ظهور مملكة متحدة قوية ، فقد اعقبت ذلك الانتصار فوضى كبيرة خصوصا في عهد ارسيزيلاس الثاني (554/ 5441 ق . م) الذي قام بينه وبين اخوته صراع [33] . اغلب الظن انه حول السلطة . وتذكر بعض الروايات بان اخوة ارسيزيلاس الثاني استعانوا بالليبيين وانشأوا مستعمرة برقة التي اصبحت تنافس قورينة [34] . واذا سلمنا بصحة هذه الرواية فكيف نفسر تعاون الليبيين مع الاغريق والذين كانوا بالامس قد طلبوا نجدة مصرية ضدهم ؟ وامام قلة معلوماتنا حول الموضوع فاننا لا نملك الا اللجوء الى الافتراضات ولذلك ، فاما انه ان يكون تعاون الليبيين مع هؤلاء المنشقين من الاغريق على

سبيل الانقسام من مملكة قورينة وعلى امل ان ذلك سيضعف من قوة الاغريق ويتيح لهم ـ لي لليبيين ـ الفرصة لطردهم من المنطقة او ان بعض الليبيين كانوا موالين للاغريق، وهذا غير مستبعد أيضا . واما ان ذلك التعاون زعم باطل لا وجود له . وان الاغريق استولوا على المنطقة بالقوة وانشأوا هذه المستعمرة الجديدة ـ برقة ـ وهذه الفرضية الأخيرة هي الأكثر احتمالا في نظري لأن اهل قورينة كانوا يطمحون الى انشاء امبراطورية اغريقية بين مصر شرقا والممتلكات القرطاجية غربا . وفي الواقع لم يكن انشاء المستعمرات الواقعة غرب قورينة (برقة ، توخيرة ـ توقرة ؟ ...) اويسبيريدس ـ بنغازي ـ) الا مراكز اساسية لتلك الامبراطورية . غير ان الصراع والخلافات بين الاغريق ادى الى تبخر تلك الأحلام .(35) ومما يزيد هذا الاحتمال ترجيحا ان بعض المراجع تشير الى مجيء موجة جديدة من المهاجرين الاغريق الى ليبيا في عهد الملك باطوس الثالث وان اولئك المهاجرين الجدد لم ينسجموا مع سكان قورينة القدامى فارادوا ان يحدثوا لهم تواجدا مستقلا فانشأوا مدينة برقة وفي وقت لاحق انشأ أهلها مدينة توخيرة (توقرة) وتشكلت في المنطقة الغربية من قورينيا(36) دولة برقة . وكرد فعل قام اهل قورينة بانشاء مستعمرة اويسبيريدس (بنغازي) في اقصى غرب المنطقة ، وكانت منطقة خصبة (37).

ولا نجد في المصادر التي بين أيدينا ادنى اشارة الى موقف الليبيين من تاسيس هاتين المستعمرتين الاخيرتين (توخيرة و اويسبيريدس). ولكن يظهر ان عملية الانشاء تمت عن طريق القوة كما اشرنا الى ذلك من قبل وان الليبيين كانوا مغلوبين على امرهم لانه من غير الممكن ان يتنازلوا عن منطقة من اخصب الأراضي في الجهة ويلتجئون الى المناطق الصحراوية القاحلة في الجنوب .

~~وبانشاء مستعمرة اويسبيريدس (بنغازي)~~ وبانشاء مستعمرة اويسبيريدس (بنغازي) يمتد نفوذ الاغريق الى خليج سيرت الكبير، الذي سوف يشكل الحد الطبيعي الفاصل بين اغريق ليبيا والامبراطورية القرطاجية .

وتشير بعض المراجع(38) الى وجود مدينة اخرى غرب بنغازي ،

Text Stamp

تدعى "فيلاينوس(ب1رجط بومبو)(Phelainus (Bomboi)الا انه ليست لدينا معلومات تؤكد وجودهما .

والظاهر ان محاولة التوسع الاغريقي في اقليم برقة لاقت مقاومة عنيفة من الليبيين اذ تشير بعض المراجع (39) الى حدوث ثورة قام بها الليبيون في عهد أرسيزيلاس الثاني وقد حاول هذا الاخير القضاء عليها الا ان محاولته باءت بالفشل اذ دحر في مكان يدعى "لوكون" وخسر في هذه المعركة حوالي سبعة الآف (7000) رجل من بينهم اخوه "لارخوس" ثم قتل هو بدوره ، ليترك مكانه لخلفه باطوس الثالث (40) .

ويبدو ان هزيمة هذه الهزيمة اثارت سخط وغضب سكان مدينة قورينة فقامت معارضة ضد النظام الملكي وتشكل حزب ديموقراطي مباشرة بعد تولي باطوس الثالث الحكم .

ومما زاد الأمر تعقيدا ان المستوطنين الجدد في قورينة ، لم يكونوا على نفس الدرجة من الولاء والالتزام للملك مثل التريين القدماء ، الذين اصبحوا اقلية بالنسبة لمجموع سكان المدينة . ولتجاوز هذه الأزمة السياسية ، سلك باطوس الثالث سبيل الحكمة والتعقل واستدعى الفيلسوف الاكيديموني (الاسبرطي) "ديموناكس" وكلفه باعادة تنظيم الامور ووضع دستور للمدينة . وبمقتضى هذا الدستور فقد اسندت السلطة للشعب ولم يحتفظ الملك الا بوظائفه الكهنوتية ولقبه وتشريفاته (41) . وقد رضي باطوس الثالث بذلك ربما تجنبا لما قد يحدث من صراع . غير ان خلفه وهو ابنه أرسيزيلاس الثالث ، لم يرض بذلك التجريد وحاول استعادة الصلاحيات التي اوكلها الدستور الى الاحزاب الشعبية ، الا انه فشل والاكثر من ذلك نفي (42) . الا انه لم يبق مكتوف الايدي اذ استعان ببعض المرتزقة والمغامرين الساميين - Samiens - الذين وعدهم بالحصول على الأراضي (43) . وفعلا تمكن من الحصول ===== الاستيلاء على السلطة ونفي الزعماء الديموقراطيين المعارضين له (44) ، اي انه يمكن القول ان قورينة اصبحت خاضعة لحكم طاغية على غرار بعض المدن الاغريقية في صقلية .

Text Stamp

الثالث او عن طريق الاستعانة بالفرس (50) .

وقد يتساءل المرء عن موقف الليبيين من هذه الاحداث التي مرت بها قورينة فلماذا لم يحاولوا استغلال الفرصة فترة الضعف والفوضى للقيام بثورة ضد الاغريق وطردهم من المنطقة واستعادة ما سلب من اراضيهم ؟ اننا لا نعثر في المصادر التي بين ايدينا على شيء بهذا الصدد ويبدو ان الليبيين اتخذوا موقف المتفرج من الاحداث . ولعل السبب في ذلك هو شعورهم بالضعف خصوصا وان مصر التي كانوا يلتجئون اليها لطلب المساعدة كانت خاضعة للحكم الفارسي ثم انها هي الاخرى لى مصر كانت تعيش فترة من الفوضى والثورة ضد الحكم الفارسي . ثم هناك نقطة اخرى لا يجب اغفالها وكانت في صالح الاغريق وهي تبعيتهم ولو اسميا للسيادة الفارسية منذ ان اعلن ارسيزيلاس الثالث نفسه تابعا لهم .

وبعد باطوس الرابع اعتلى عرش قورينة ارسيزيلاس الرابع الذي تقول عنه بعض الروايات (51) بانه بعث باحد اقاربه - اوفيموس - الى مدينة دلفيس ببلاد الاغريق لاستقدام المستوطنين لمستعمرة اويسبيريدس (52) (بنغازي) ثم اعلن نفسه طاغية على مدينة قورينة مستعينا بالقادمين الجدد وبمساعدة ارتباط على مستعمرة اويسبيريدس ، والظاهر ان اولئك الوافدين الجدد لم يكونوا في واقع الحال الا مرتزقة . الا ان رياح التخلص من حكم الطغاة التي بدأت تهب على بلاد الاغريق أو أوخاربتها لم تنج منها قورينة وادت الى نهاية حكم ارسيزيلاس الرابع بقتله في غير موكد ربما كان ذلك حوالى 440 ق . م (53) .

وبنهاية ارسيزيلاس الرابع تنتهي مرحلة هامة من تاريخ مملكة قورينة . وهي مرحلة حكم الاسرة الباطية أو فترة الملكية .

لقد كانت الانظمة المدنية في قورينة خلال هذه الفترة تتسم بالطابع الارستقراطي الاوليغارشي (54) . وهذا امر طبيعي ذلك ان الطبقة الارستقراطية في بلاد الاغريق ، كانت تعتمد على الزراعة وخصوصا تربية الحيوانات وهذه الأرستقراطية الاوليغارشية هي التى وقفت ضد الملكية عندما تحولت هذه الى استبدادية (طغيانية) في عهد ارسيزيلاس الرابع . وقد بقيت العناصر الاوليغارشية

(العنصر التي تنتمي الي اصل فلاحي) موجودة في الانظمة القورينية حتي بداية الفترة الهيللينية علي حد اعتقاد بعض المؤرخين المعاصرين (56) .

كما كانت لقورينة اهمية اقتصادية كبيرة سوا ء من الناحية الزراعية أو التجارية فقد كانت تتلقي كميات كافية من الامطار وكانت الاراضي المحيطة بها خصبة، وابتدا ء من الساحل حتي الهضاب المجاورة للمدينة كانت زراعة القمح والشعير تتتابع خلال ثمانية اشهر وعلي المرتفعات اقيمت المدرجات وغرست باشجار الكروم وانواع اخري . وكانت المنطقة صالحة ايضا لتربية الحيوانات كالاغنام والخيول خصوصا (57) .ففي المروج الخضراء التي تغني بها بندار في اناشيده (بيثاوياته) كانت ترعي الخيول التي كثيرا ما كانت تفوز بقصب السبق في العاب السباق التي ركانت تقام في دلفي واولمبيا ببلاد الاغريق .فوجود زراعة مزدهرة بالمنطقة ادي الي قيام اوليغارشية زراعية تحولت فيما بعد الي اوليغارشية ارستقراطية كان لها تاثير هام علي الحياة السياسية في قورينة ؛ واصطدمت في كثير من الاحيان بالملكية . وقد ادي ذلك الصدام الي وقوع الكثير من الاضطرابات داخل المملكة .

اما من الناحية التجارية فقد كانت قورينة في ملتقي الطرق التجارية القادمة من المغرب ومصر ووسط افريقيا وبلاد الاغريق وايطاليا عن طريق البحر . ومما ساعد علي ازدهار التجارة وجود نبات البنج او نبات السلفا (silpheon) المشهور بخواصه الطبية، والذي يعتبر كذلك من اجود انواع التوابل في ذلك الوقت (58) ، وكان عاملا من عوامل اثراء العائلة المالكة، لان تجارته كانت محتكرة من طرف الدولة ويستنتج ذلك من رسم علي كوب ~~يسقي~~ يري فيه ارسيزيلاس(؟) وهو يراقب العبيد يزنون البنج ويضعونه في اكياس ثم يحملونها الي السفن (59) .

وبالاضافة الي ذلك كان القورينيون ياتون بالمزهريات الجميلة من بلاد الاغريق من شبه جزيرة البيلوبونيز للاستعمال أو للبيع في اسواق المنطقة التي كان يؤمها بدون شك سكان الواحات المجاورة، الامر الذي ادى بسكان قورينة الي أن يصبحوا وسطاء بين بلاد الاغريق ومنطقة شرق المتوسط

من جهة وسكان الواحات الليبية من جهة اخرى . ونتيجة لنشاط الحركة التجارية بقورينة اصبح ميناؤها في ابولونيا ذا اهمية كبيرة ، وكان ملتقى للتجار وخصوصا اولئك القادمون من بلاد الاغريق ونوكراتيس (كوم جعيف حاليا) بمصر . ولم تشر المصادر الى وجود بحارة او تجار من فينيقيا او قرطاجة في هذا الميناء في هذه الفترة اي فترة الملكية .

ولسنا ندري اذا كان السبب في ذلك اي عدم وجود تجار قرطاجيين هو سوء العلاقات بين قورينة وقرطاجة ام لاهتمام القرطاجيين بالنواحي الغربية من المتوسط ام ولأن الاغريق كانوا يمارسون نوعا من الاحتكار التجاري في هذه المنطقة ؟ ويبدو ان الاحتمالين الاخيرين كانا معا ، فالمعروف ان الفينيقيين ومن بعدهم القرطاجيين كان جل اهتمامهم موجه نحو المناطق الغربية والشمالية الغربية من المتوسط . وكانوا هم الاخرين يمارسون نوعا من الاحتكار في تلك المناطق ؛ فكان الاغريق بالمثل يحاولون الاستئثار بالمناطق الشرقية . والراجح ان هذا هو السبب في عدم وجود تجار قرطاجيين في ميناء ابولونيا بقورينة .

Text Stamp

هـوامش البـاب الثـانـي

الفصـــل الاول :

(1) انظر ص. 22 ومابعدها من هذا البحث .

(2) انظر ص. 36 ومابعدها من هذا البحث .

(3) J.HEURGON, Rome et la Mediterranee occidentale, p.I42

(4) انظر ملخص الاسطورة ص. 37 من هذا البحث

(5) J. HEURGON ; Ibid. p.I42

(6) Ibid. p. I42

(7) مينـاندر Minandre شاعر هزلي اغريقي عاش مابين 342-292 ق.م

(8) J.HEURGON; Ibid. P.I4I

(9) Pierre CINTAS; Manuel d'archeologie Punique; T.I; Paris 1970; P.

(10) G.G.LAPEYRE, A.PELLEGRIN; Carthage punique, Paris I942, p.76

(11) ~~Ibid. p.76~~ . (S.GSELL, HAAN. T.Ip PP .397-398, pour N, I0)

(12) G.G.LA PEYRE, A.PELLEGRIN, Carthage punique p. 76

(13) انظر ص. 39 ومابعدها من هذا البحث

(14) D'apres; J.HEURGON, Rome et la Mediterranee occidentale; P.I4I

يشترك ش.ا. جوليان مع في ان قرطاجة تعني "العاصمة الجديدة" في كتابه :

Histoire del'Afriqueblanche (Que-sais-je?) Paris I966, P.45

مع انه في كتابه القديم "تاريخ افريقيا الشمالية ج 1 يقول بانها تعني المدينة الجديدة

(15) فيرجيل شاعر لاتيني عاش مابين 70-19 ق.م .

(16) J.HEURGON, Ibid.P. I42

(17) D'apres; G.G.LAPEYRE, A.PELLEGRIN, Carthagepunique, P.76

(18) Ibid. P. 77

(19) Lagrande Encyclopedie, T.28, P.876 ; COL.I

(20) G. G.LAPEYRE . .....Carthage punique P.77

(21) Tite LIVE; Histoire Romaine; trad. Victor VERGER, Paris I832, T.II; P.7

Text Stamp

G.G.LA PEYRE , A.PELLEGRIN Carthage punique, p.78 (22)

Ibid. p. 78 (23)

(24) ذكر جزيل - Gsell - ان بعض المؤرخين اشار الى ان مستوطنة قادس تعرضت لهجمات من اهالي المنطقة الا انه يعلق على ذلك بان هذا الزعم غير مؤكد مؤكد ؟ . انظر : S. GSELL, HAAN. T. I. , p. 408

(25) اوليغارشية - Oligarchie - كلمة ذات اصل اغريقي وهي مكونة من oligos ومعناها قلة او اقلية و - arkhè - ومعناها حكم وبذلك يكون معنى "اوليغارشية = حكم الاقلية ونقصد بالاوليغارشية عند القرطاجيين عندما اصبح الحكم بيد الاسر مثل اسرة ماغون التي سيطرت على قرطاجة طيلة القرن 6 تقريبا

(26) تجدر الاشارة هنا الى ان المغاربة كانوا يمارسون الزراعة ولكن بطرق بدائية انظر : Th.MOMMSEN, histoire Romaine, T. III, P. I2

(27) ش . ا . جوليان تاريخ افريقيا الشمالية ترجمة : محمد امزالي بشير بن سلامة

الجزء الاول ، تونس 1969 ص، 87

(28) انظر ص. 46 من هذا البحث

(29) انظر ص. 46 من هذا البحث

TH. MOMMSEN, histoire Romaine, T. III, PARIS I865, P. I0 (30)

(31) يقول مومسن بان القرطاجيين انقطعوا عن تادية تلك "الضريبة" حوالي سنة 454 ق . م غير انه يبدو أن هذا التاريخ متأخر والظاهر ان تلك الضريبة قد انقطعت في وقت مبكر لان قرطاجة قد تحولت الى قوة عسكرية قبل ذلك التاريخ ، فمعركة هيميرا مثلا وقعت سنة 480 ق . م ، انظر : Th.MOMMSEN, T.III; P.I2

Th.MOMMSEN, T.III, P.II; S.GSELL, HAAN; T.I; P.4II (32)

(33) من المحتمل ان عددا كبيرا من المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط كانت قرطاجة هي التي انشاتها لذلك خضعت لها بصفة تلقائية مقابل الحماية مثل هيبو ريجيوس (عنابة) و حضرميت (سوسة) انظر : TH. MOMMSEN, histoire Romaine, T?. III; P. I3

Ibid. P.I6 (35)

(36)

(37) انظر الملحق رقم. 3.

Text Stamp

الفصـــــــــل الثـــــانـــي

(1) انظـر الملحـق رقـم ـ2ـ

(2) S. GSELL,HAAN. T.II ;P.I83

(3) Ibid. P.I83

(4) Ibid. P.I84

(5) Gilbert Ch. PICARD,Carthage ,sanaissance ,sagrandeur,p.I49

(6) D'apresG. Ch. PICARD,Ibid. P. I50

(7) G.Ch. PICARD ,Ibid. P.I49

(8) POLYBE;HISTOIRE,trad.par Denis ROUSSEL ;Gallimard,I970 L.VI,P.5I4

(9) يقـــول – F.DECRET – بـانـه مـن المحتمل ان الانظمة السياسية في قـرطاجة كانت فـي الفتـرة الاولي منسـوخـة عـن انظمة صـور ، انظـر : F. DECRET,Carthage ou l'empir de la mer; Paris; I977;P.7I

(10) F.DECRET,Ibid.P.7I.-S.GSELL,HAAN. T.II;P.I84

(11) يقـول ـ F.DECRET ـ : ((بـانه ليست لدينا معلومات هامة عن تنظيم السلطـة فـي قـرطاجة خـلال القرنين السادس والخامس ق . م ولكن يظهر ان الدولة القرطاجية كانت تحت حكم ملكية وراثيـة انتخـابية فـي نفـس الوقت)) اي ان الملك يختار ليس فقط بحكم الوراثة ولكن كذلك بناء علي مقدرته وكفاءته القيـادية والعسكرية . انظر : F.DECRET,Carthage....P.73

(12) S.GSELL,HAAN.T.II;P.I86

(13) Ibid. P?. I86._ F.DECRET, Carthage....P.72

(14) TH.MOMMSEN;histoirre Romaine,T.II;P.20

(15) Ibid. P.20

يقـول ـ F.DECRET ـ بـان النظـام السياسي في قـرطاجة كـان من الارستقراطية نحـــو الاوليغـارشية وهـو مـا اشـار اليه مـومسـن بحكـم الرأي السايد انذاك وهو اعتبار الثروة فـي اختيار الحـاكم لان المواطن الشريف لا يمكن له ان يكـون حـاكما وفي نفس الوقـت يقـوم باعماله اليومية اي يجب ان يكـون ثـريا ليتفـرغ لمبـاشـرة السلطة. واذن فالاختيـار حسب الثـروة مبدا اوليغـارشي انظـر : F.DECRET, Carthage.....P.73

(16) ColettePICARD,Carthage,Paris I95I,P.I2

(17) F. DECRET,Cathage ....P. 73

Text Stamp

الفصـــــــــل الثـالـــــــــث :

(1) هشـام الصفـدي مجلـة الأصـالـة (الجزائـريـة) عـدد 14ـ 15 سنـة 1972 ص. 104

(2) حكـم هـذا الملك الـذي كـان ملكـا علـى سـايس حـوالي منتصف القـرن السابع ق م (659ـ 603 ق. م.) وهـو مـن الاسـرة السـادسة والعشـريـن (26) واسمـه الكـامـل (واح ايب رع) بسامتيك (سامتيكوس الاول). السير الـن جـاردنـر مصـر الفـراعنة، ترجمـة : نجيب ميخايـل ابراهيم ، عبد المنعم ابـو بكـر القـاهـرة 1973، ص. 503

(3) مستوطنـة اغريقيـة فـي مصـر وهـي كـوم جعيـف حـاليا.

(4) Erniste MERCIER;h istoire de l'afrique septentrional;pParis I888;T.I,p.3.

(5) Robert COHEN; la grecé ,p.65.

(6) G.GLOTZ,histoire grecque ,p. 207.

(7) بلاتيـا Platia (بومبوا Bomboi)

(8) R. COHEN, la grece ; p.65.

(9) (10) G.GLOTZE ,histoire grecque ,p. 207.

(11) R. COHEN , la grece ; p.65.

(12) (13) G. GLOTZ, Ibid. p.207.

(14) Ibid. p.207.

(15) Revue Africaine N° I49;T. 33; I889, p.I84.

(16) Ibid. p.I84.

(17) Ibid. p.I84.

(18) D'apres ,H. TAUXIER: R.AF. p. I90.

(19) Ibid. p. I84

(20) Ibid. p.I84.

(21) HERODOTE,Histoire d'Herodote ,T.II, Liv. IV,P.I33.

(22) G.GLOTZ, histoire grecque ;p.207.

(23) Ibid. P.207.

(24) بندار – Pindare –شاعر اغريقي عاش مابين 521 –441 ق م .

H. TAUXIER, R.AF. T.33; I889, p.I84. (25)

E.WILL, le monde grec et l'orient, T.I ,p.247. (26)

H. TAUXIER; R? AF. P;. I86. (27)

G. GLOTZ , histoire grecque , p.209. (28)

(29) تذكر بعض المراجع (G.Glotz:209) بان الليبيين كان يدعى " اد ريكان " Adrican –وقد اعلن نفسه تابعا للملك المصري "وافرس". Apris

(30) وافرس (ابريس) واسمه الكامل: حاع ايب رع واح ايب رع ، من الاسرة السادسة والعشرين حكم مابين 589 –570 ق م

G. GLOZZ, Ibid. p. 209. (31)

(32) الظاهر ان العلاقة بين المصريين واغريق ليبيا قد تحسنت بعد ذلك ، اذ تذكر بعض المراجع (G.GLOTZ; his.gre/209) ان الملك المصري امازيس الذي (اموزس ، 570– 526 ق م .) خلف ابريس ارسل الى قورينة صورة وتمثالا مذهبا للآلهة "نيث او نيتح " – Neith –واصبح حريمه يضم نبيلة قورينية تدعى " لاديكي " – Ladikè –غير ان هذا التحسن في العلاقات بين المصريين واغريق ليبيا يدفعنا الى التساؤل عمن كانت المبادرة وما هي العوامل التي دفعت الطرف المبادر لتحسين العلاقات .

H?. TAUXIER, R.AF. p.I86. (34) (33)

G. GLOTZ, histoire grecque ,p. 209. (35)

(36) سنستخدم مصطلح "قورينيا" للدلالة على ما يسمى بالفرنسية Cyrenaique للتمييز بين المدينة والمنطقة .

H. TAUXIER; R. AF. p.I86. (37)

G.GLOTZ; histoire grecque ,p. 209. (38)

Ibid. p.209. (40) (39)

H.TAUXIER ; R. AF. p. I87. (41)

E.WILL, le monde grecque et l'orient ,T.I;p. 247. (42)

H.TAUXIER, R.AF. p. I87. (43)

CH.A. JULIEN, histoire de l'afrique blanche (Que sais-je?) p.38. (44)

(45) احد ملوك الفرس من السلالة الاخمينية حكم مابين 529 – 521 ق ٠م ٠
حكم مصر واسس بها الاسرة السابعة والعشرين) Larousse classique Paris 1957; p.178.
) Sir Alan GARDINER :. السير الن جاردنر مصر الفارعنة ص 505 .

H.TAUXIER, R. AF. p. 187. (46)

E.WILL, le monde grecque et l'orient ; T.I, p.247. (47)

H.Tauxier, Ibid. P.187. (49) (48)

Ibid. p. 187. (50)

ibid. p. 187. (51)

Ibid. P.187. (52)

E.WILL; Ibid. p.248. (54)(53)

(55) في فينيقيا كانت الطبقة الارستقراطية في غالب الاحيان تتكون من التجار وكذلك في قرطاجة خصوصا في هذه الاخيرة .

E. WILL, Ibid. p.248. (56)

R.COHEN, G. GLOTZ; histoire grecque, p.207. (57)
-CH. A. JULIEN, histoire de l'afrique blanche, p.37.

R.COHEN, G. GLOTZ; histoire grecque; p.209. (58)

Ibid. P.209. (59)

الباب الثالث

علاقات القرطاجيين بإغريق ليبيا وصقلية

الفصل الأول

علاقة القرطاجيين بمملكة قورينة

تعرفنا في فصل سابق عن حركة الهجرة والاستيطان التي قام بها كل من الفينيقيين والاغريق الى منطقة الحوض الغربي من المتوسط . وليس هناك مايدل على وقوع صدام (1) بين الجماعتين خلال عملية الاستيطان سواء في قورينة او كورسيكا او جنوب ايطاليا او غاليا (2) او حتى في صقلية التي ستغدو ميدانا للصراع بين الفريقين . وقد يرجع ذلك الى عدة اسباب منها :

اولا : ان الاغريق في هذه المرحلة لم يحاولوا الاقتراب من مناطق النفوذ القرطاجي سواء في المغرب او في صقلية وسردينيا بحيث أقاموا مستوطناتهم في مناطق تعتبر خارجة عن نفوذ قرطاجة كقورينة وجنوب ايطاليا وشرق صقلية وكورسيكا .

ثانيا : ان الاغريق لم يكونوا مستعدين للدخول في مجابهة مع الجماعات التي وجدوها في المنطقة (غرب المتوسط) خصوصا مع القرطاجيين والاتروسك ، حتى يتمكنوا من تثبيت اقدامهم لان مثل تلك المجابهة قد تشعر السكان الاصليين بخطورة تواجدهم (تواجد الاغريق) . ولذلك لم ينظر القرطاجيون الى الاغريق سواء في ليبيا أو في صقلية على انهم خطر يهدد تواجدهم في تلك المناطق في هذه المرحلة الأولى . على انه لايمكن أن نستنتج من هذا أن العلاقات بين الطرفين خلال الجزء الاخير من القرن السابع والجزء الاكبر من القرن السادس ق . م (3) سواء في منطقة البحر التيراني او في المغرب كانت ودية والواقع اننا لا نعلم شيئا عن نوع العلاقات بين الطرفين في هذه المرحلة . فبالنسبة للمغرب يبدو ، كما أشرت سابقا ان الاغريق لم يستولوا على مواقع تابعة للقرطاجيين في المنطقة الممتدة بين خليج سيرت الكبرى شرقا ومضيق جبل طارق غربا ، والتي تعتبر منطقة نفوذ فينيقي قرطاجي . وعليه فلم يكن ثمة دافع يدفع القرطاجيين لمحاربتهم (4) . غير ان اطماع الاغريق ستمتد فيما بعد نحو الجهات الغربية من اقليم برقة . فالعوامل الاجتماعية التي

جانب العوامل السياسية والاقتصادية كانت تستلزم ذلك . فالمعروف ان المهاجرين الاغريق لم يكونوا يشكلون وحدة اقتصادية او سياسية ولذلك . فكل جماعة في اغلب الاحيان تريد ان يكون لها تواجد مستقل عن الجماعات الاخرى .

فقد اورد " ستيفان جزيل " نقلا عن هيرودوت رواية مفادها ان مائة مدينة اغريقية ستنشأ حول بحيرة "تريتونيس" اذا ما انطلق احد احفاد "الارجونوت"[5] من مكان اثنية تركها " جازون " في الساحل الليبي . وتضيف الرواية بان كاهنا اغريقيا تنبأ بان جزيرة " فلا " الواقعة وسط بحيرة تريتونيس سيعمرها اللاكيديمونيون[6] (الاسبرطيون) والمرجح ان المقصود ببحيرة تريتونيس المشار اليها هي خلفية خليج قابس بالساحل التونسي وجزيرة "فلا" هي جزيرة جربة[7] . ويرى جزيل بان هناك علاقة ما بين هذه الرواية وبين حملة "دوريوس"[8] بن ملك اسبرطة "اناكزاندريداس" الذي هاجر من بلاد الاغريق قبل نهاية القرن السادس ق . م مع عدد من المهاجرين الاسبرطيين الى ليبيا . وكان دليله في ذلك بعض التيريين الذين يشكلون الغالبية من سكان قورينة . ومهما كانت صحة هذه الرواية التي اوردها هيرودوت والنبوءة التي اشار اليها فلا شك ان القصد من ذلك هو حث الاغريق على الهجرة واقامة مستوطنات جديدة في سواحل ليبيا لتدعيم المستوطنة التي اقامها التيريون في منطقة برقة حتى لا تبقى كواحة متحضرة في صحرا " متبربرة " على حد تعبير ج . جلوتز[9] . ومما يؤيد هذه الفكرة ان التيريين حسب الرواية هم الذين كانوا دليل الحملة وليس من المستبعد ان يكونوا هم الذين زينوا لدوريوس فكرة التوجه الى السواحل الليبية .

استقر دوريوس ومصاحبوه في الجهة الشرقية من اقليم طرابلس عند مصب نهر "كينيبس"[10] (وادي اوكيري حاليا) على بعد ثمانية عشرة (18) كم جنوب شرق المكان الذي استقر فيه الفينيقيون من قبل واسسوا فيه مدينة ليبتيس (لبدة)[11] . وقد أحسن اختيار المكان اذ كانت المنطقة خصبة صالحة للزراعة وتربية المواشي وهو ما يبحث عنه المعمرون الاغريق . ومن الواضح ان مدينة ليبتيس (لبدة) الفينيقية كانت في هذه الفترة قد اضمحلت او تلاشت نهائيا

كما ان نفوذ قرطاجة لم يصل الى تلك الجهات والا لكان عمل دوريوس قد اتسم بقدر كبير من الجرأة والاقدام وتسبب في حرب مباشرة مع القرطاجيين (12) . والوثائق الاغريقية المتأخرة تذكر مدينة لبدة باسم "نيابوليس" Neapolis – اي المدينة الجديدة ولعل في ذلك ما يفيد الى ان المدينة قد اعيد بناؤها في العصور المتأخرة عندما فرضت قرطاجة سيطرتها على المنطقة بعد طرد الاغريق منها .

والملاحظ ان المصادر القديمة لا تذكر اسم المستوطنة التي انشأها دوريوس ولذلك فمن المشكوك فيه ان تكون حملته تلك قد اسفرت فعلا عن انشاء مستعمرة في المنطقة المشار اليها مع العلم ان جزيل ذكر بان آثار تلك المستعمرة بقيت تشاهد حتى منتصف القرن الرابع ق. م (13) . ولهذا فمن المحتمل ان تكون العملية مجرد محاولة . الا ان القرطاجيين نظروا اليها بكثير من الاهتمام والقلق وعلى انها سابقة يمكن ان تتكرر وعلى حسابهم وان يتكرر ما حدث في الحوض الشرقي من المتوسط عندما تمكن الاغريق من ابعاد اسلافهم الفينيقيين من جزيرتي قبرص وكريت . ولدرء هذا الخطر فقد تحالف القرطاجيون مع القبائل المغربية (الماسيز Maces) القاطنة بالمنطقة وتمكنوا من طرد دوريوس الذي اضطر الى العودة الى شبه جزيرة البيلوبونيز . وبذلك تكون قد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ قرطاجة اذ انها بدأت تتحول الى قوة عسكرية بعد ان ظلت طيلة الفترة السابقة مجرد قوة تجارية ، ثم انها ستشرع ابتداء من هذه الفترة في انتهاج سياسة توسعية في المغرب واخضاع القبائل المجاورة لنفوذها بعد ان عجزت تلك القبائل في الدفاع عن حدودها واراضيها . غير انه يمكن ان نلاحظ بل ومن المحتمل ان العملية – عملية الاخضاع – بدأت في اول الامر على شكل تحالف لان الاخضاع بالقوة من شأنه ان يحول القبائل المغربية الى جانب الاغريق .

ان قضية العلاقات بين القرطاجيين واغريق ليبيا تطرح مشكلا آخر وهو تاريخ ظهور المدن القرطاجية – او التي خضعت لها – في اقليم طرابلس مثل "أويا" (طرابلس) ولبتيس ماغنا (لبدة) وصبراتة . وهل هي مراكز فينيقية

(وهل مراكز فينيقية) قديمة ام مستوطنات حديثة انشائها قرطاجة ؟ (14) .

ان قرطاجة لم تشرع في سياستها التوسعية الا بعد حوالي قرن ونصف من انشائها وهذا حسبما تؤكده معظم الدراسات الحديثة (15) . وهذا معناه ، انه اذا وجدت اثار في تلك المدن ترجع الى ماقبل القرن السابع ق ، م . الاي قبل بدء التوسع القرطاجي فذلك دليل علي انها مراكز فينيقة غير ان الادلة الاثرية المتوفرة حتي الآن تشير الى ان ظهور تلك المدن لا يرقى الى ابعد من القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد (16) . كما ان المعلومات المستقاة من المصادر الكتابية هي الاخرى لا تذهب الى ابعد من ذلك . الا ان هناك نقطة تجب الاشارة اليها بخصوص المصادر الكتابية وهي ان الكثير من المراكز التي نجدها ضمن الامبراطورية القرطاجية خلال القرن السادس ق ، م وما بعده ، ربما كانت موجودة من قبل ومستعملة من طرف الفينيقيين . الا ان اشعاع قرطاج وسيطرتها عليها جعل الكثير من الكتاب ينظرون اليها وكانها منشآت قرطاجية . (17)

ان كل المصادر والمراجع تكاد تجمع علي ان قرطاجة تمكنت خلال القرن السادس ق ، م من ايقاف زحف الاغريق عند خلفية خليج سيرت الكبرى حيث رسمت حدودها (18) ، واخر مدينة قرطاجية باتجاه الشرق حسبما تجمع عليه اغلب المصادر والمراجع (19) — وهذا باستثناء نيابوليس . التي تذكر بعض المراجع (20) بانها انشئت في مكان المستوطنة التي حاول دوريوس انشاءها في سواحل خليج سيرت الكبرى هي مدينة لبتيس ماغنا (لبدة) . ويبدو ، بعد فشل محاولة دوريوس بان اغريق ليبيا لم يحاولوا اعادة التجربة من جديد واكتفوا بما في ايديهم من ممتلكات وبالتالي لم يحدث صراع جديد بين الطرفين بالرغم من ان بعض المصادر تشير الى تجدد الصراع كما سنبين فيما بعد . (21)

فهيرودوت الذي يعتبراهم من كتب عن بلاد المغرب في هذه الفترة لم يعطنا الا معلومات ضئيلة وغير مؤكدة وفي كثير من الاحيان غامضة وربما يرجع السبب في ذلك الى كونه لم يتعرف علي المنطقة معرفة مباشرة وانما اكتفي باستقاء معلوماته عنها عن طريق التجار والرحالة او اخذها من قورينة او

نقلها عن سبقه من الكتاب خصوصا ميكاتيوس الملطي (ميكاتي) (22) .

ولعل قصة رسم الحدود التي أوردها "سالوست" تساعدنا بعض الشيء على معرفة طبيعة العلاقات بين الدولتين . فقد اورد سالوست بشأن ذلك ما يلي : ((... في الوقت الذي كانت فيه قرطاجة تسيطر على الجزء الاكبر من (شمال) افريقيا كان لها في قورينة منافس غني وقوي . وكان يمتد بين المدينتين (قرطاجة وقورينة)سهل رملي ممتد لا توجد فيه اودية او جبال يمكن ان تعتبر كحدود . وقد تسبب ذلك في حدوث حرب طويلة وعنيفة بين البلدين . وقد تحطمت فيها جيوش واساطيل البلدين بالتبادل . ولما تعب الطرفان من هذه الحروب وخشيا ان يستغل عدو خارجي ضعفهما ويهجم عليهما انتهزا فرصة هدنة ليجعلا منها سلما دائما بان يقيما بينهما حدودا دائمة ...)) (23) .

ويذكر القصة التي تروي عن اقامة تلك الحدود . وملخصها ان الدولتين اتفقتا على ان ينطلق عداءان من قرطاجة وعداءان من قورينة باتجاهين متعاكسين ، وفي نفس الوقت . والمكان الذي يلتقي فيه العداءون الاربعة سيشكل الحد الفاصل بين الدولتين . وتضيف القصة بان مكان الالتقاء كان موضع خلاف بين الطرفين لان الاغريق ادعوا ان انطلاق العداءين القرطاجيين في المسابقة كان قبل الوقت المتفق عليه ، ولذلك رضي القرطاجيان بان يدفنا حيين على ان يتراجعا الى الخلف (24) .

هناك نقاط كثيرة يمكن التوقف عندها في هذه الرواية : ~~اولا - ان القصة لا تبين~~

اولا : ان القصة لا تبين بوضوح ما اذا كان المتسابقون قد انطلقوا من كل من مدينتي قرطاجة وقورينة او من بعض المناطق المجاورة لمكان الالتقاء التابعة للدولتين . فقد يكون سالوست يعني بقرطاجة وقورينة المناطق التابعة لهما وليس المدينتين في حد ذاتهما ، وهذا ما يبدو في نظري اقرب الى الواقع في حالة صحة الرواية (25) . لان الانطلاق من كل من قرطاجة وقورينة حتى المكان الذي وضعت فيه علامة الحدود يستدعي السير لمدة ايام عبر مناطق صحراوية ، وهذا ما لا يتفق مع محتوى الرواية التي تذكر بان العملية عبارة عن تسابق .

ثانيا: ان فكرة دفن القرطاجيين حيين، والتي قد تكون مقبولة في ذلك الوقت والتي اشارت اليها الرواية على انها نوع من التفاني في خدمة البلاد لا تنطبق حسبما يبدو لي مع معطيات الاحداث، لان قرطاجة في هذه الفترة (القرن السادس ق . م) كانت في اوج قوتها العسكرية وقد تمكنت من تحقيق انتصارات عسكرية في صقلية وكورسيكا ضد الاغريق هناك والذين كانوا اقوى بكثير من اغريق ليبيا .فكيف اذن تلتجئ مع هؤلاء الى هذا الاسلوب الذى ينم عن الضعف .

ثالثا: ان سالوست هو الوحيد فيما اعلم الذي انفرد بهذه الرواية، ولو كانت قد حدثت فعلا ، لكان هيرودوت الذي ذكر بعض الامور الاقل اهمية وبعض المعلومات الاكثر تفصيلا عن بلاد المغرب كاسماء بعض القبائل وبعض عاداتهم قد ذكرها او على الاقل قد اشار اليها اللهم الا اذا كانت هذه الحادثة قد وقعت بعد عصر هيرودوت وهذا غير ممكن لعدة اعتبارات ، منها اولعل اهمها ان رحلة سيلاكس (scylax)[26] التي وقعت في اواخر القرن السادس او اوائل القرن الخامس ق . م تذكر نصب الفيليين كعلامة حدود بين القرطاجيين والقورينيين[27] فبعد ان يعدد هؤلاء المرحلة عددا من المدن من بينها نيابوليس ، غرافارة (واحة جفرة ؟) وابروتونون الواقعة على الساحل الطرابلسي يضيف ان ((... كل هذه المراكز والمدن الليبية ابتداء من سيرت المجاورة لهيسبيريدس حتى اعمدة هرقل هي من ممتلكات القرطاجيين .))[28] ومعنى هذا ان الحدود بين القرطاجيين واغريق ليبيا كانت موجودة في القرن الخامس اي في الفترة التي تكلم فيها هيرودوت عن المنطقة .

وهناك رواية لتوكيديدس اوردها جزيل نصها ((ان جماعة من الجنود الاغريق قذفت بهم العاصفة الى قورينيا فقضوا مدة في "فيسبيريدس" (بني غازي) وتجولوا على الساحل حتى نيابوليس وهي مركز قرطاجي ...))[29] .

وهذا معناه ان الحدود التي تشير الرواية الى مكانها كانت موجودة ما بين نيابوليس وبني غازي وان نيابوليس هذه التي لا يعرف مكانها بالتحديد

كانت غير بعيدة من بني غاني .

واذا سلمنا بفكرة السياق التي اوردها سالوست بشأن اقامة الحدود ، فان مكان الالتقاء يجب ان يكون ابعد من ذلك الى الغرب اعتبارا لموقعي كل من قرطاجنة وقورينة ويبدو ان مؤلف الرواية قد تفطن الى هذه النقطة ولذلك اورد فكرة الخلاف بشأن مكان الالتقاء ليجعل الاحداث تبدو اكثر منطقية غير ان ذلك لايخرج الرواية عن قالبها الاسطوري بل يبعدها اكثر عن الحقيقة . واخيرا فان سالوست لايذكر المصدر الذي اخذ عنه مع انه الوحيد الذي انفرد بذكرها فيما أعلم ولكن يبدو انها مأخوذة عن اصل اغريقي كما يظهر من الاسماء التي اعطيت لابطال الرواية القرطاجيين (30) .

وهنا يواجهنا سؤال مهم وهو هل ان المصدر الذي اخذ عنه سالوست مصدر كتابي ضاع مثل الكثير من امثاله ام انه مجرد رواية شفوية ذات طابع قصصي اكثر منها رواية لها واقعة تاريخية ؟ ان الاجابة على مثل هذا السؤال صعبة لكنها ضرورية في نفس الوقت .

يبدو من كل ما تقدم ان رواية سالوست والصيغة التي وردت بها يغلب عليها القالب القصصي وبما أنه لم يذكر المصدر الذي اخذ عنه وربما انها غير مثبتة في المؤلفات التي سبقته كتاريخ هيرودوت ورحلة سيلاكس التي اشارت الى الحدود ولم تذكر قصة وضعها . لكل هذه الاعتبارات فاننا نرجح ان هذه الرواية كانت قبل ان يثبتها سالوست في مؤلفه ، عبارة عن اقصوصة شعبية متناقلة نسجها الخيال الاغريقي كالكثير من امثالها وان الغرض من ذلك هو اظهار اغريق قورينة بمظهر القوي الذين رغم قلتهم استطاعوا فرض ارادتهم على القرطاجيين . انما المشكل الذي يبقى مطروحا وهو المهم في الموضوع هو هل كانت تلك الحدود موجودة فعلا ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف تم وضعها ؟

لقد بحثت هذه النقطة من طرف المؤرخين المحدثين وفي مقدمتهم ستيفان جزيل (31) والذي يرى اعتمادا على المعلومات الواردة في بعض المصادر ان عدد تلك العلامات غير معروف والاختلاف بين المصادر فيما

يتعلق بالعدد د هو من واحد الى اثنين .فاذا اعتبرنا رواية سالوست فان عددها كان اثنتين ؛ احداهما في الأراضي القرطاجية والثانية في الأراضي القورينية (32) . اما رحلة سيلاكس فتضيف اللفظة الدالة على الحد الى اسم مفرد وقد علق جزيل على ذلك بان ((هذه الصيغة الوحيدة التي تبدو صحيحة نجدها ايضا عند بوليب (بوليبيوس) وهي تدل بدون شك على اسم مكان ولكن هناك نصوص اخرى تستعمل صيغة الجمع - اي ان المضاف اليه جمع - وهو ما تفسره الرواية التى اوردها سالوست .)) (33)

وذكر بليني "بان تلك النصب كانت مصنوعة من الرمل غير ان جزيل يشك في ذلك ويرجح صنعها من الحجارة لأن بناءها من الرمل لا يمكنها من الصمود في وجه العوامل الطبيعية لمدة قرون (34). ويضيف بانها ربما لا تعدو أن تكون مجرد شواهد مخروطية (35) . واياً كان عددها والمادة التي صنعت منها تلك النصب او علامات الحدود فالذي يمكن استخلاصه من كل ما سبق ، هو ان تلك العلامات كانت موجودة فعلا كحد فاصل بين ممتلكات القرطاجيين والاغريق قورينيا . اما الحروب التي ذكرها سالوست والتي كانت السبب في وضعها ، فالمرجح ان المقصود بها هي تلك الحرب او بالأحرى المعارك التى وقعت بين القرطاجيين ودوريوس اثناء محاولته التوغل في الأراضي القرطاجية اي أن تلك النصب اقامها القرطاجيون بعد طرد دوريوس من المنطقة ، كي لا يحاول الاغريق تجاوزها مرة اخرى وليس بعد ذلك كما يستفاد من رواية سالوست .

وهناك رواية اخرى اوردها جزيل (36) نقلا عن سيرفيوس (37) مفادها أن حربا وقعت بين القرطاجيين واهل برقة من الاغريق . ولكنه لم يذكر تاريخ حدوثها ولذلك فهذه الرواية لا يعول عليها ؛ ومن المحتمل ايضا انها تنطبق على الحرب التى وقعت بين دوريوس والقرطاجيين ونسبت الى البرقيين نظرا لمشاركتهم فيها ، لأن مستعمرة برقة كانت موجودة في هذه الفترة . (38)

ويحتمل ان المكان الذي كانت توجد به تلك العلامات ، كان بالقرب من الموقع الذي يدعى اليوم "مختار" وقد بقيت في ذلك المكان لمدة

لمدة طويلة ، وقد استخدمت في العهد الروماني كحد فاصل بين مقاطعتي افريقية وطرابلس(39) . الا ان هذه الحدود يبدو انها لم تكن ثابتة ، بل كانت عرضة للتغيير حسب فترات الضعف والقوة . فهناك رواية اوردها جزيل نقلا عن سترابون (40) الجغرافي الاغريقي مفادها انه في عهد بطليموس حاكم قورينة من قبل بطالمة مصر كانت الحدود بين الممتلكات القرطاجية وبين اغريق ليبيا متوغلة في الغرب عند قلعة " اوفرنتاس (Euphrantas)" وقد ذكر بطليموس الجغرافي (41) وستاديازم (42) ذلك المكان . وهو ينطبق في راي جزيل على قصر الزعفران (43) الذي يبعد بحوالي 280 كم شمال غرب مختار السابق الذكر .

والملاحظ ان سترابون لم يحدد في عهد اي البطالمة وقع ذلك التغيير ، الا ان جزيل يعتقد بان المقصود هو بطليموس الاول الذي استولى على قورينة سنة 322 ق . م ويعلق على ذلك بانه ((يجهل اسباب ذلك التعديل ...)) (44) واذا كان بطليموس الذي ذكره سترابون هو بطليموس الاول كما يعتقد جزيل فان اسباب ذلك التعديل قد ترجع الى انشغال قرطاجة في الحروب الصقلية مع الاغريق ، خاصة وان اغريق ليبيا قد تعزز جانبهم في هذه الفترة بعد ان اصبحت مصر جزءا من الامبراطورية التي انشأها الاسكندر المقدوني . الا ان هذا لا ينطبق مع مجريات الاحداث :

1) ان قرطاجة كان بامكانها مجابهة اغريق ليبيا لو حاولوا التوسع في هذه الفترة بنفس الكيفية التي جابهت بها الاغريق في صقلية . والروايات المتوفرة لدينا لم تشر الى مثل هذه المجابهة اللهم الا اذا اعتبرنا رواية سالوست وهذا معناه اننا نعود الى نقطة البداية .

2) ان بطليموس الاول كان مشغولا بالوضع في مصر اكثر من غيرها حيث ان الفترة كانت فترة تأسيس الاسرة البطلمية التي ستحكم مصر خلال القرون الثلاثة الاخيرة قبل الميلاد .

3) اذا اعتمدنا على رواية سترابون حسبما اوردها جزيل وان لم يثبتها بحرفيتها فانها تذكر ان بطليموس المعني في الرواية كان حاكما لاقليم برقة (قورينة)(45) .

Text Stamp

وهذا ينطبق على بطلميوس التاسع (ابيون) الذي كان حاكما بل ملكا على قورينة مابين 116 - 96 ق.م وهذا معناه ان تعديل الحدود وتعديهما نحو الجهات الغربية قد تم في فترة الفوضى التي كانت تعيشها بلاد المغرب في اعقاب انهيار قرطاجة سنة 146 ق.م وتصارع الممالك المغربية وبداية الاحتلال الروماني وهي فترة جد مناسبة لاغريق ليبيا للتوسع نحو الغرب . ثم اعيدت الحدود الى مكانها حسبما ذكر بلين (بليثيوس) بعد ان استقرت الاوضاع واستتب الامر لروما بعد احتلالها لبلاد المغرب .

الفصل الثاني

الفينيقيون والاغريق في صقلية

١ - أصل الصقليين .

اذا اخذنا بالروايات الوارد في كتب الاساطير (الميثولوجيا) القديمة كمصادر تاريخية وان كنا مقتنعين في الواقع بان تلك الروايات هي اقرب الى الخرافات منها الى الحقائق التاريخية فان اقدم سكان صقلية هم اناس "عمالقة" (سيكلوبس) ثم جاءت بعدهم جماعة اخرى يطلق اسم "ليستريجون" وكانوا يستخدمون مواد حجرية ومعدنية (1) .

وفي فترة ماقبل التاريخ سكنت الجزيرة عناصر مجهولة والذي يدل على وجودها هي بقايا بعض المباني . اما في الفترة التاريخية فقد استوطنها "السيكان"(2) وربما هي الجماعة الوحيدة التى كان تواجدها سوى كذا في الجزيرة وما من شك في ان تواجدهم هناك يرجع الى فترة ماقبل التاريخ . ولسنا ندري ما اذا كانوا وافدين جدد ام انهم من بقايا السيكان القدامى للجزيرة ، ففي الحالة الاولى فلا يعرف المكان الذي جاءوا منه بالضبط . غير انه يستفاد مما كتبه توكيديدس بانهم جاءوا من شبه الجزيرة الايبيرية وتقدموا واستقروا في صقلية منذ الالف الثالثة قبل الميلاد (3) .

وبعد السيكان استقر في الجزيرة وافدون جدد هم "السيكول" اي الصقليون - وربما كان ذلك في اواخر الالف الثانية قبل الميلاد ، ويحتمل انهم من نفس العنصر الذي ينتمي اليه اللاتين (4) . ولذلك فالمرجح انهم جاءوا من شبه الجزيرة الايطالية (5) . ويعتقد انهم آخر من وصل الى الجزيرة قبل الفينيقيين والاغريق(5) .

والظاهر ان هؤلاء الصقليين كانت اعدادهم كبيرة ومن المحتمل انهم دخلوا في صراع مع الاقوام الذين سبقوهم مثل السيكان الذين ابعدوا الى الجهات الغربية .

وهناك جماعة اخرى يبدو انها كانت موجودة في الجزيرة قبل الصقليين وهم "الاليميون" ولا يعرف متى وفدوا الى الجزيرة وهل هم فرع من السيكان ام جماعة

مستقلة كما يجهل المكان الذي كانوا مستقرين فيه قبل مجيء الصقليين . ويستفاد من بعض المراجع انهم كانوا موجودين بالقسم الشرقي من الجزيرة مع السيكان وعندما جاء الصقليون ابعدوهم الى الجهات الغربية منها . فيقول ا . فيل " (E.Will) ما نصه ((... وآخر من سبق الاغريق الى الجزيرة هم الصقليون الذين ابعدوا سابقيهم من السيكان والاليميين الى المناطق الغربية))[8] الا انه يستفاد من مراجع اخرى انهم كانوا متواجدين اصلا في الجهات الغربية من الجزيرة حيث ورد في دائرة المعارف الكبرى ما يلي : ((... السيكان الذين ابعدوا الى الجهات الغربية من الجزيرة اثناء غزو الصقليين لها حيث يسكن الاليميون ، الا انه لايعرف عنهم الا القليل ...))[9] . ولا يعرف ما اذا كانوا متواجدين اصلا ام انهم هم الآخرون ابعدوا الى الجهة الغربية اثناء غزو السيكان للجزيرة وكانوا مستقرين ~~في الجهة الغربية~~ قبل ذلك في الجهة الشرقية واذا كان هذا الاحتمال مقبولا فمعناه انهم وفدوا الى الجزيرة قبل السيكان .

وعلى العموم وايا كانت اسبقية هذه الجماعة او تلك في الاستيطان بالجزيرة ، فالنتيجة التي يمكن الخروج بها من هذه المقدمة هي ان الجزيرة كانت تضم عناصر سكانية مختلفة قبل مجيء الفينيقيين والاغريق وان تلك الجماعات السكانية كانت تعيش على بقايا العصر الحجري الحديث في شكل مجموعات قبلية ، اي انها لم تصل الى مرحلة تكوين انظمة سياسية متطورة سواء في شكل دولة موحدة او في شكل دولة المدينة كما هو الحال عند الاغريق .

وكما وصفهم المؤرخ ا . فيل فان سكان الجزيرة كانوا عبارة عن وسط بشري مركب ولكن يبدو انه كان راكدا اذ لم تمنح صقلية للاغريق غير الارض .[10] والصقليون[11] الذين يبدو انهم آخر موجة بشرية وصلت الى الجزيرة حتى ذلك الوقت (ربما اواخر الالف الثانية ق.م) قد استقروا في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة وانشأوا مجموعة من المدن من بينها : مينوي[12] هيبلا مينور ، سانتوريبوي ، أجيريوم (اجيرة) والونتيوم .[13] ولسنا ندري ما اذا كانت هذه المدن هي مدن حقيقية ام انها مجرد قرى زراعية .

ب - بداية الاستيطان الفينيقي والاغريقي في صقلية

ان المسألة التي كانت اكثر جدلا بين المؤرخين هي موضوع الاسبقية بين الفينيقيين والاغريق في الاستيطان بالجزيرة . فبعض المؤرخين المعاصرين يرى بان الاغريق هم الذين سبقوا الفينيقيين في استيطان الجزيرة وذلك حسبما يفهم من عبارة المؤرخ ا. فيل : ((... وآخر من سبق الاغريق الى الجزيرة هم الصقليون .)) (14) بينما يرى البعض الآخر بان الفينيقيين هم الاسبق حيث ورد في دائرة المعارف الكبرى مايلي : ((وقد تعاصر الصقليون مع الفينيقيين الذين انشأوا عدة مراكز على الساحل خصوصيا في غرب الجزيرة .)) (15) ونجد لهذا الرأي تأييدا في المصادر القديمة حيث اورد جزيل نقلا عن توكيديدس ما نصه :

((حول كل صقلية احتل الفينيقيون الاماكن الداخلة في البحر لـ الرؤ وس والجزر الصغيرة الواقعة بالقرب من الشواطئ ليتاجروا مع الصقليين ولكن عندما جاء الاغريق باعداد كبيرة فان الفينيقيين تخلوا عن اغلب تلك الاماكن وتجمعوا في موتيا وصولوس وبانورامس (بالرمو) قرب الايليميين لانهم كانوا مسرورين لتحالفهم معهم ولأن المسافة من هناك الى قرطاجة اقرب)) (16)

واذا كان البعض لا يميل الى الاخذ برواية توكيديدس لأن علم الاثار لم يكشف حتى الآن عن اثار فينيقية في شرق الجزيرة اقدم من الاثار الاغريقية (17) فاننا مع ذلك نميل الى ترجيحها لانها تتفق مع مجريات الاحداث :

1) تتوافق استيطان الصقليين بالجزيرة مع هجرة الفينيقيين الى غرب المتوسط .

2) ان الفينيقيين اسبق من الاغريق في الهجرة الى غرب المتوسط فمدينة قرطاجة التي تعتبر اخر مستوطنة فينيقية انشئت في غرب المتوسط تتقدم او تعاصر على الاقل انشاء اولى المستعمرات الاغريقية في صقلية . فقد اثبت علم الاثار بان مدينة كومالي (كوم) التي انشأها الخلقيديون (الخلقيدونيون) في خليج نابولي والتي تعتبر اقدم مستعمرة اغريقية في جنوب ايطاليا لا ترقى نشأتها الى ابعد من اواخر القرن التاسع او اوائل الثامن قبل الميلاد . وهي حسب بعض المؤرخين متقدمة - اي نشأتها - عن الاستعمار الاغريقي لصقلية بأكثر من نصف قرن .(18) كما ان توكيديدس لم يكتف بالرواية التي اشرنا اليها

فيما سبق وانما اورد ترتيبا تاريخيا لنشأة اهم المستعمرات الاغريقية في صقلية .(19) ويتضح منه ان اقدم مستوطنة وهي ناكسو ،لا يتجاوز تاريخ نشأتها منتصف القرن الثامن ق . م اي حوالي .: 734 / 733 ق . م (20)

3) ان عدم وجود اثار فينيقية في شرق الجزيرة ليس دليلا قاطعا على عدم سبق الفينيقيين للاغريق في الاستيطان بصقلية فمن المرجح جدا ان مراكز الفينيقيين في شرق وجنوب شرق الجزيرة كانت عبارة عن مراكز تجارية وليست مستوطنات مستقرة كما هو الحال في الجهة الغربية . ذلك لان هدف الفينيقيين في هذه الفترة كان تجاريا وليس استيطانيا كما هو الحال بالنسبة للاغريق .

اما في الغرب فقد كانت لهم نقاط ارتكاز ثابتة لتمكنوا من خلالها من الاستفادة من ثروات البحر التيراني وجزر كسردينيا وكورسيكا وهذا مايفسر سبب تخليهم بسهولة عن شرق الجزيرة وجنوبها الشرقي اثناء فترة الهجرة الاغريقية اليها بينما كانوا اكثر تمسكا بمراكزهم في الغرب .

4) نوعية العلاقة التي كانت بين الفينيقيين ومن بعدهم القرطاجيين وبين سكان الجزيرة خاصة الاليميين وعلى العموم - وهذا ماظهر اثناء الصراع القرطاجي - الاغريقي في صقلية كانت علاقة الفينيقيين ومن بعدهم القرطاجيين بالاليميين علاقة ودية وكثيرا ماكانوا متحالفين ضد الاغريق ، وسبب ذلك راجع في اعتقادي الى اسبقية الفينيقيين في النزول بالجزيرة ، ثم الى الطابع السلمي الذي تميز به تمركزهم بها لانهم لم يكونوا يبحثون عن الارض واخيرا تحالف الاتروسكيين والقرطاجيين في القرن السادس ق . م ضد الاغريق الفوسيين وهذا معناه ان الاليميين والاتروسكيين كانوا ينظرون الى الاغريق كأجانب عن المنطقة وعلى العكس من ذلك نظرتهم الى القرطاجيين الذين هم استمرار للفينيقيين .

5) اذا اخذنا بعين الاعتبار الفكرة السائدة لدى معظم المؤرخين وهي ان وصول الفينيقيين الى الحوض الغربي لم يكن عن طريق محاذاة السواحل الافريقية المتوسطية وانما كان عن طريق الجزر (21) (قبرص كريت صقلية) فانه يصبح من المؤكد ان الفينيقيين كانوا اسبق من الاغريق في النزول

في النزول بالجزيرة والاستيطان بها غير ان استيطانهم تركز في الجهات الغربية للاسباب التي سبق ذكرها (22).

والخلاصة ان صقلية اصبحت في القرن الثامن قبل الميلاد على وجه التحديد تضم بالاضافة الى سكانها الاصليين القدامى عناصر جديدة وافدة من شرق المتوسط وهم الفينيقيون والاغريق . وستلعب هذه العناصر دورا هاما في تحضر المنطقة خاصة الاغريق نظرا لكثرتهم وطبيعة استيطانهم ولقد عمل كل من الفينيقيين ومن بعدهم القرطاجيين والاغريق على توجيه تاريخ الجزيرة وجهة متميزة كان طابعها العام الصراع بين هذين العنصرين الوافدين ، وكثيرا ما شاركت فيه العناصر المحلية مشارة الى جانب هذا واخرى الى جانب ذاك ، الى ان تمكنت روما في آخر الامر من التغلب على المتصارعين والسيطرة على الجزيرة ضمن حركتها الاستعمارية .

لقد مارس الاغريق في صقلية سياسة استعمار استيطاني حقيقة حقيقية ، اذ لم يكتفوا بالمستعمرات الاولى التي انشأوها في الشرق والجنوب الشرقي (23) مثل ناكسوس (734 / 733 ق . م) وسيراكوز (733 / 732 ق . م) وكاتان (727 / 726 ق . م) وجيلا (688 / 687 ق . م) ، وانما بدأت هذه المدن تتوالد ان صح التعبير وبدأ سكانها يقومون بالتوسع نحو الداخل والجهات الغربية . فقد اتجه اهل جيلا الصقليين نحو الجهات الغربية وانشأوا مدينة اجريجانت (اكراجاس)، وبالمثل قام اهل سيراكوز بالاتجاه نحو الشمال وانشأوا مدن : ليونتينو (ليونتينيو) وزانكلي (24) . وفي فترة وجيزة تمكنت المستعمرات الاغريقية من التفوق على المدن الصقلية القديمة . ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التي ساعدت على ذلك (25) . الا انه يمكن معرفة اسباب ذلك الازدهار اذا ما علمنا ان الاغريق كانوا من الناحية الحضارية ارقى بكثير من جيرانهم الصقليين كما ان طبيعة الاستعمار الاستيطاني المبني على الزراعة اساسا واراضي صقلية ذات التربة البركانية الخصبة كانت من اهم العوامل التي ساعدت على ذلك الازدهار .

ويمكن ان نقارن ذلك بالمدن الاوربية الحديثة التي اقيمت في اراضي المستعمرات في افريقيا وآسيا).

لقد عمل الاغريق على امتلاك الاراضي التي كانت بايدي الصقليين والذين تناقص عددهم ربما بسبب الهجرة الى الجهات الغربية ، واصبح من بقي منهم في مناطق الاستيطان الاغريقي يعملون في اراضي سادتهم الاغريق على حد تعبير ا . فيلي والذين كان السيراكيزيون يطلقون عليهم اسم "كيلليريوي" او "كيلليكيريوي" ـ Kyllyrioi او Kyllikyrioi ـ [26].

لم تسجل المصادر التاريخية صداما بين الاغريق والفينيقيين في هذه الفترة فطالما ان المراكز الفينيقية في غرب الجزيرة لم تكن مهددة وطالما ان التوسع الاغريقي لم يكن على حساب الفينيقيين فلم يكن هناك على ما يبدو موجب للدخول في صراع معهم .

اذن متى بدأ ذلك الصراع الذي استمر اكثر من قرنين والذي طبع تاريخ الجزيرة خلال النصف الثاني من الالف الاخيرة قبل الميلاد ؟

يقول المؤرخ الصقلي انطيوخوس[27] ان سكان ليباري[28] هم معمرون كنيديون (من الجماعات الاغريقية) فبعدما فشلوا في انشاء مستعمرة في غرب صقلية نتيجة المقاومة العنيفة التي جابهم بها الأليميون والفينيقيون ، استولى اولئك المعمرون على جزر "ايول" اما لانها مهجورة واما انهم طردوا سكانها .)) [29]

وكان استعمار جزر ليباري حوالي 580 ق.م [30] وقد استنتج البعض من ذلك بان التنافس بين الفينيقيين والاغريق بدأ في هذه الفترة [31] . ونتيجة طلب فينيقيو صقلية يد المساعدة من قرطاجة التي اصبحت تقوم بدور الوطن الأم للمستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط ومن ثمة يصبح الصراع قرطاجي ـ اغريقي . اننا اذا اكتفينا بهذا نكون قد تخلصنا من اهم مشكلة تواجهنا في الموضوع وهي بداية الصراع القرطاجي ـ الاغريقي في صقلية واسبابه . لكن المشكل في واقع الامر ابعد واكثر تعقيدا مما نتصور . ذلك ان موضوع الصراع القرطاجي ـ الاغريقي من المواضيع التي كثرت حولها الآراء والتفسيرات ، ولذلك يجب ان يؤخذ بمزيد من الحيطة والحذر كما قال المؤرخ ادوارد فيل .[32]

اذن فما هو الاطار الذي يمكن ان يوضع ضمنه الصراع القرطاجي ـ الاغريقي؟ فهل صراع اقتصادي ام سياسي من اجل السيطرة على المناطق الاستراتيجية لاغراض اقتصادية وعسكرية ، ام انه صراع حضاري وعرقي ـ إن جاز لنا استعمال هذا المصطلح الحديث ـ بين مجموعتين مختلفتين من العنصر البشري ؟
ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة وان كانت ضرورية ، ليست بالامر الهين ، خاصة امام قلة المعلومات والادلة التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها في الوصول الى الاجابة القريبة من الحقيقة . ونجد انفسنا مضطرين للرجوع الى نقطة كنا قد اشرنا اليها في ما سبق ، وهي بداية الصراع القرطاجي الاغريقي في صقلية .

Text Stamp

الفصل الثالث

الصراع القرطاجي - الاغريقي في صقلية

ا - بداية الصراع واسبابه

ان مختلف الدراسات الحديثة تكاد تتفق علي ان بداية الصراع بين القرطاجيين والاغريق في صقلية هي بداية القرن السادس ق.م اي حوالي 580 ق.م.(1) وان كان هذا الاتفاق ليس تاكيدا علي صحة المعلومات لانه من المحتمل انهم نقلوا عن مصدر واحد الا انه علي كل حال يدل علي الاتفاق في الراي . الا ان الاختلاف هو في كيفية البداية . فالسؤال قيل يري بان الفينيقيين لم يعارضوا تمركز الاغريق في ليليبايوم وان الذين عارضوهم هم الاليميون وان تدخل الفينيقيين كان مجرد مساعدة لهم (2) . في حين يري ج . هوري بان القرطاجيين هم الذين عارضوا تمركز الاغريق (حملة بنتاتلوس) بشدة ومنعوهم من ذلك (3) . ويبدو ان الراي الثاني اقرب الي الحقيقة لانه اكثر تمشيا مع المعطيات التاريخية والجغرافية ذلك :

اولا : لان ليليبايوم تقع ضمن منطقة النفوذ الفينيقي وتمركز الاغريق بها لا يعتبر خطرا علي الاليميين الذين كانوا بالداخل (بعيدا عن الساحل) بقدر ماهو خطر علي الفينيقيين .

ثانيا : لان ليليبايوم كانت منطقة ممتازة حسب الاستراتيجية التي يقوم عليها الاستيطان الفينيقي وهي اختيار الرؤوس والجزر . واذا سلمنا بالنتيجة التي توصلنا اليها وهي اسبقية الفينيقيين علي الاغريق الي جزيرة صقلية ، فمن دون شك ان ليليبايوم كانت مركزا فينيقيا ، ولذلك فمحاولة الاغريق التمركز بها يعتبر تهديدا مباشرا للتواجد الفينيقي بالجزيرة .

ان نتيجة هذا الصدام الاول بين الفينيقيين والاغريق في الطرف الغربي من الجزيرة ، هي ابعاد الاغريق الي جزر ليباري . والسؤال المطروح هو : هل شارك القرطاجيون في ذلك الصدام الاول ام انه اقتصر علي الفينيقيين ؟ فادارد فيل يري بان القرطاجيين لم يتدخلوا الا في وقت متاخر من

Text Stamp

القرن السادس ق . م وذلك عندما حول دوريوس الاسبرطي الذي طرده القرطاجيين القرطاجيون من المغرب لانشاء مستعمرة في رأس دريبانوم حوالي سنة 510 ق م . وحسب ؟ . فيل فان التدخل القرطاجي في هذه المرة كان ايضا من مساعدة الاليميين (5) .

ان فكرة مساعدة الاليميين اذا كانت موجودة حقا فهي في الواقع امر ثانوي اما القضية الأساسية كما يبدو فهي ان الفينيقيين والقرطاجيين (6) كانوا يدافعون عن تواجدهم في الجزيرة لأن دريبانوم كانت في منطقة النفوذ الفينيقي القرطاجي ، واذا لم تكن هي نفسها مركزا فينيقيا فان اقامة مستعمرة اغريقية هناك يشكل خطرا على نشاط المراكز الفينيقية مثل موتيا . والراجح أن دريبانوم كانت في هذه الفترة مركزا فينيقيا (7) . ولذلك فان الصدام كان فينيقيا ـ اغريقيا أكثر منه اليميا ـ اغريقيا . وتبقى المشكلة المطروحة ، وهي هل أن الصدام كان اغريقيا ـ قرطاجيا ام اغريقيا ـ فينيقيا ؟

ان الاجابة على مثل هذا التساؤل تتطلب معرفة الفترة التي اصبحت فيها المراكز الفينيقية في صقلية تحت هيمنة او حماية قرطاجة والواقع انه ليس لدينا من المعلومات ما يسمح لنا بالاجابة على مثل هذا السؤال بكيفية دائمة أن اليها . ومع ذلك سنحاول استنادا الى بعض المراجع والمحليات التاريخية

أن اغلب الدراسات الحديثة تكاد تجمع على ان سيطرة قرطاجة على المدن الفينيقية سواء منها تلك التي في صقلية أو خارجها قد تمت خلال القرن السادس قبل الميلاد . وسواء أكانت تلك الهيمنة قد قامت بها قرطاجة من تلقاء نفسها او انها كانت نتيجة طلب تلك المستوطنات الانضواء تحت لوائها بعد اضمحلال صور فالمهم هو أن تلك المستوطنات والمراكز الفينيقية في غرب المتوسط اصبحت في القرن السادس قبل الميلاد جزءا من الامبراطورية القرطاجية ما عدا اوتيكا التي احتفظت باستقلالها نوعا ما لانها ذكرت في المعاهدة الاولى بين روما وقرطاجة كحليفة لهذه الاخيرة (8) .

انما متى تمت تلك السيطرة ؟ هل في بداية القرن السادس قبل الميلاد ام في منتصفه ام في آخره ؟

Text Stamp

ان بعض المؤرخين المعاصرين يرون بان قرطاجة قد سيطرت على البااليار[9] وسردينيا منذ القرن السابع ق . م (10) . وعليه فمن المحتمل أن تكون سيطرتها قد امتدت الى غرب صقلية في نفس الفترة أو في بداية القرن السادس ق . م .

الا أنه ليس لدينا مايثبت ذلك بصفة قاطعة . لكن مجريات الاحداث تجعلنا نرجح بان المستوطنات الفينيقية في صقلية قد دخلت تحت الهيمنة القرطاجية منذ منتصف القرن السادس ق . م على الاقل .

فاذا سلمنا براي المؤرخ . فيل بان الصدام الاول بين فينيقيي صقلية والاغريق حول ليليبايوم لم يتدخل فيه القرطاجيون ، فان تلك التجربة كانت كافية كبرر لتدخل قرطاجة في المنطقة امّا تلقائيا اوبطلب من سكانها الفينيقيين ، لان هؤلاء لم يكن وضعهم وامكانياتهم تسمح لهم بالتصدي للاغريق حتى في حالة تحالفهم اي الفينيقيين مع الاليميين ، وليس هناك قوة اخرى يمكن الركون اليها غير قرطاجة .

كما أن تاخر تدخل قرطاجة في صقلية حتى حملة دوريوس سنة 510 ق . م امر مستبعد جدا . لأن التحالف الذي اقيم بين الاتروسك و القرطاجيين ضد الاغريق والذي كانت نتيجته ابعاد "الفوسيين" من كورسيكا بعد هزيمتهم من طرف "الحلفاء" سنة 536 ق . م (11) يبين بوضوح أن تدخل قرطاجة في صقلية كان قبل ذلك (510 ق . م) بوقت طويل على الاقل منذ منتصف القرن السادس ق . م . فقد اورد س . موسكاتي نقلا عن جوستان ، بانه في حوالي العام 550 ق . م . تمكن القائد القرطاجي مالخوس من من تحقيق انتصار على الاغريق في صقلية واحتل جزءا من الجزيرة ، (12) غير انه لم يوضح اي جزء منها . ونجد في هذه الرواية اشارة لبداية التدخل القرطاجي في صقلية . وربما كان قدوم القائد القرطاجي من سردينيا ، لأن جوستان يضيف بان مالخوس رجع الى سردينيا . ويرى موسكاتي بان ذلك التدخل كان لحماية المستوطنات الفينيقية في غرب صقلية . (13)

انما هل كان التدخل القرطاجي في صقلية لمجرد مساعدة المراكز الفينيقية ام كانت له دوافع اخرى ؟

يرى البعض(14) بأن تدخل قرطاجة في صقلية كان امرا عارضا فهي — اي صقلية لا تتوفر على الثروات المعدنية التي يبحث عنها الفينيقيون ومن بعدهم القرطاجيون وهنا أن السيطرة على غرب صقلية لم تكن ضرورية للمواصلات بين قرطاجة وجزر سردينيا وكورسيكا الغنية بالمعادن والتي كانت هدف حملات القرطاجيين في البحر التيراني وعليه يجب الا ننظر الى الصراع الذي قام بين الاغريق والقرطاجيين في صقلية على انه صراع بين عدويين تقليديين ، لأن الصراع في جوهره هو صراع بين الاغريق والا ليبيين من اجل ملكية الاراضي الصالحة للزراعة .(15) ومعنى هذا أن القرطاجيين قد انجروا الى الصراع بحكم الظروف التاريخية لا بحكم المصلحة الاقتصادية .

أن المتتبع للأحداث ومراحل الصراع القرطاجي ـ الاغريقي في صقلية ، يدرك بوضوح خطأ هذه النظرة ، ذلك انه اذا كان حقيقة ليس لصقلية ما تقدمه للقرطاجيين من ثروات معدنية كمادة خام لصناعتهم وتجارتهم ، فان موقعها الاستراتيجي واشرافها على البحر التيراني والجزر الواقعة فيه كسردينيا وكورسيكا كاف لأن يجعلها محط انظارهم كما أن سكانها يمثلون سوقا هامة للتجارة القرطاجية ، وهي النشاط الرئيسي الذي يقوم عليه الاقتصاد القرطاجي واستيلاء الاغريق على غرب صقلية لا ينحصر فقط في الاستيلاء على الاسواق القرطاجية هناك وانما يتعداه الى امكانية السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط بأكمله ، خاصة وانه كانت لهم نقاط ارتكاز في كل من كورسيكا ~~(ليبيا)~~ (اليريا التي اسست سنة 560 ق.م.) وجنوب غاليا (ماسيليا التي اسست حوالي 630 ق.م.) . فنشاط الاغريق في صقلية لم يبق مقتصرا على الزراعة كما كان في بداية الامر . فالمستعمرات الاغريقية في صقلية شهدت خلال القرن السادس قبل الميلاد تحولات اقتصادية واجتماعية فاصبح معها الطابع الزراعي الذي تميزت به في بداية الامر يبدو ثانويا . فالى جانب العبيد الذين كانوا يقومون باعمال مختلفة والتجار ، اصبحت الارستقراطية الزراعية تشكل اقلية في بعض المدن ، التي اصبح سكانها يعدون بمئات الالاف مثل سيراكوز واجريجانت(16) . واصبحت تلك المدن وبعض مدن جنوب ايطاليا مثل كوماي تقوم بحركة تجارية نشيطة بين صقلية وجنوب ايطاليا من جهة وبين

بلاد الاغريق من جهة ثانية . واذا تذكرنا تواجد الاغريق في قورينيا بليبيا ومراكز هم التجارية بمصر (نوكراتيس او نوقراطيس -) (17) ادركنا بسهولة مدى سيطرة الاغريق التجارية على منطقة الحوض الشرقي للمتوسط .

ان اهمية صقلية بالنسبة للقرطاجيين لا تكمن في كونها ارضا صالحة للزراعة وانما في كونها منطقة استراتيجية تتحكم مع شمال شرق تونس حيث توجد قرطاجة في المدخل الشرقي للحوض الغربي للمتوسط وقد ادرك القرطاجيون - ولعلهم الاولون - هذه الاهمية لانه بدون التحكم في هذا المدخل لا يمكن منع الاغريق من التوغل في هذه المنطقة (غرب المتوسط) التي كان القرطاجيون يعتبرونها منطقة نفوذهم التجاري ومجالهم الحيوي ، ان جاز لنا التعبير .. ويبدو ان الاغريق هم ايضا ادركوا هذه الاهمية واتضح ذلك في محاولاتهم العديدة انتزاع الغرب من الجزيرة من القرطاجيين ومحاولة الاستيلاء على اسواقهم هناك . ومن هنا يمكن ان ندرك اسباب تصميم القرطاجيين على الاحتفاظ بغرب الجزيرة وبالتالي الى الاسباب الرئيسية للصراع القرطاجي - الاغريقي (18) .

فالاستيطان الفينيقي في صقلية لم يكن مرتكزا على الزراعة وبالتالي لم يكن الفينيقيون ولا القرطاجيون من بعدهم يسعون لاحتلال اكبر مساحة من الاراضي وهذا ما يفسر لنا اسباب عدم اصطدامهم مع سكان الجزيرة من الصقليين والاليميين وحتى مع الاغريق في بداية الامر عندما كان نشاطهم - اي الاغريق - مقتصرا على الزراعة .

ان نمو المستعمرات الاغريقية وتحولها الى مراكز تجارية كبيرة وعدم اكتفائها بمنطقة البحر الادرياتيكي والايوني (بحر) وطموحها الى النفاذ الى غرب المتوسط جعل الصدام بين الاغريق والقرطاجيين امرا لا مفر منه . وبدا الطرفان وخاصة القرطاجيون يتهيأون لذلك ، وهو ما يفسر تحول قرطاجة منذ اواخر القرن السابع من مستوطنة تجارية الى قوة عسكرية في غرب المتوسط .

واذا كانت الاسباب الجوهرية للصراع القرطاجي - الاغريقي اقتصادية فقد انضافت اليها اسباب اخرى وهي كون القرطاجيين ومعهم المغاربة يمثلون عنصرا

بشريا يختلف عرقيا وحضاريا عن العنصر الاغريقي والا كيف نفسر وصف دونيس طاغية سيراكوز للقرطاجيين بـ "البرابرة" عندما كان يحرض مواطنيه على محاربة القرطاجيين ونقض معاهدة السلم المعقودة بين الطرفين بقوله : ((.. انه لمن العار أن نبقى متفرجين على استعباد (سكان) المدن الاغريقية من طرف البرابرة ...))[20] . ومما يؤيد وجهة النظر هذه بأن المدن الاغريقية عرفت هي الاخرى صراعا فيما بينها وخاصة بين المستعمرات الخلقيدونية والكورينثية حول ملكية الأراضي في صقلية وفي كثير من الاحيان كان الصراع بينهما ذا طابع سياسي من اجل السلطة او التوسع كما كان الحال في عصر الطغاة خلال النصف الاول من القرن الخامس ق . م .[21] ولكنه لم يكن من قبيل الصراع الذي كان بين الاغريق والقرطاجيين .

ونتيجة للتحالف بين القرطاجيين والاتروسك ضد الاغريق ومحاولة غلق الحوض الغربي في وجههم ، فقد اضطر هؤلاء الى الاغريق الى ترك بعض مراكزهم في اسبانيا ، وعدم التفكير في محاولة الابحار وراء أعمدة هرقل[22] وركزوا جهودهم في جزيرة صقلية في مواجهة القرطاجيين .

أن الصراع الحقيقي بدأ بعد الصدامات الاولى التي وقعت بين الطرفين عامي 580 و510 قبل الميلاد كما اشرنا الى ذلك من قبل . بدأ بمعركة هيميرا عام 480 ق . م . كما يتضح ذلك من المصادر الكتابية . واذا كان الصراع في بدايته طلبا لمطلب اغريقية ، فانه سرعان ما يكشف عن وجهه الحقيقي . فالصراع بدأ فعلا اغريقيا وذلك عندما قام حاكم اجريجانت (اكراجاس) "تيرون" بالاستيلاء على هيميرا وابعاد طاغيتها "تيريلوس" (تيريلوس) . وربما كان ذلك بتحريض او نصيحة من بعض مواطني هيميرا المنفيين في اجريجانت . واذا كنا نجهل الاسباب الحقيقية التي دفعت تيرون الى الاستيلاء على هيميرا ، الا اننا نعتقد بان ذلك كان سببه رغبة تيرون في توسيع ممتلكاته وربما هو الدافع الاول ثم الاقتراب من المراكز القرطاجية لمضايقتها والتوسع على حسابها فيما بعد ويبدو أن القرطاجيين ادركوا غرضه والا كيف نفسر اندفاعهم بكل قواهم في معركة هيميرا .

فالقضية اذن ليست مجرد تقديم مساعدة لتيريلوس بقدر ما هي دفاع عن مصالح و وجود القرطاجيين انفسهم في صقلية . واذا كان التجاء تيريلوس الى القرطاجيين هو السبب المباشر في الحلقة الاولى من الصراع القرطاجي الاغريقي في صقلية فالسبب الحقيقي غير ذلك . فالاغريق كانوا يعدون لذلك اللقاء . ففي حوالي سنة 485 ق.م . انشئ تحالف بين "جيلون" طاغية سيراكوز وتيرون طاغية اجريجانت واصبح ذلك التحالف يشكل تهديدا خطيرا للقرطاجيين (24) . والراجح أن استيلاء تيرون على هيميرا وطرد حاكمها تيريلوس هو الذي التجأ الى القرطاجيين لم يكن الا وسيلة لجر هؤلاء الى المعركة ومن ثمة ايجاد مبرر لمهاجمة المراكز القرطاجية ذاتها ومحاولة الاستيلاء عليها . اننا لا نعرف بالضبط التاريخ الذي استولى فيه تيرون على هيميرا وأن كان البعض يجعله في سنة 483 ق.م . استنادا الى ما أورده ديودور الصقلي من أن القرطاجيين قضوا ثلاث (3) سنوات في الاعداد للمعركة (25) وتبدو المبالغة واضحة هنا حيث حاول المؤرخون الاغريق واللاتين أن يربطوا ربطا اصطناعيا بين معركة هيميرا في صقلية ومعركة "سالاميس" التي وقعت في آسيا الصغرى بين الاغريق والفرس . وتظهر المبالغة بشكل اوضح عندما يؤكد هؤلاء المؤرخون بان المعركتين وقعتا في نفس اليوم من نفس السنة 480 ق.م . (26) وعليه فما دام الفرس قد قضوا ثلاث (3) سنوات في الاعداد للحرب مع الاغريق اذن فلا بد ان يكون القرطاجيون هم ايضا قد قضوا ثلاث سنوات .

وقد ذهب بعض المؤرخين الغربيين الى حد الافتراض بوجود تنسيق بين الفرس والقرطاجيين ضد الاغريق (27) . وحاول البعض منهم أن يجد تاييدا لهذا الافتراض في رفض جيلون طاغية سيراكوز مد يد المساعدة الى الاغريق في الوطن الام (28) بحجة انه كان على علم بنية القرطاجيين . والواقع أن فكرة التنسيق هذه تبدو بعيدة . فهيرودوت الذي تشكل الحروب الميدية ، الموضوع الرئيسي لكتابه المعروف بـ "تاريخ هيرودوت" لم يذكر فكرة التنسيق هذه ، ولو كانت موجودة فعلا لذكرها (29) . كما انه لم يثبت

وجود علاقات بين قرطاجة والمملكة الفارسية في هذه الفترة .فاذا كانت المدن الفينيقية في فينيقيا قد اصبحت في هذه الفترة تحت حكم فارس وصار البحارة الفينيقيون في خدمة الجيش الفارسي فليس ذلك دليلا على وجود علاقات بين فارس وقرطاجة [30] . لأن علاقات قرطاجة بفينيقيا وخاصة بصور قد اصبحت شبه معدومة منذ أن حاصرها الملك البابلي نبوخذ نصّر سنة 587 ق . م . ولذلك فوقوع معركتي هيميرا وسالاميس في سنة وحدة اذا سلمنا بصحة الروايات الاغريقية ، تبدو مجرد صدفة ، كما يرى ارسطو ويشاطره في ذلك س . ا . جوليان [31] . والا علينا ان نبحث عن تفسير آخر[32].

ب - معركة هيميرا ونتائجها

أن السبب المباشر لمعركة هيميرا مايزال يكتنفه الغموض نظرا لقلة المعلومات المتوفرة لدينا وتباين الروايات . فهيرودوت يقول بان سبب المعركة يرجع الى : ((التدخل القرطاجي الذي تسبب فيه أنا كزيلاس" (حاكم ريجيون)) [33] . ويقول ا . فيل : ((بان اناكزيلاس كان مهددا من طرف جيلون ، ولكونه صهر تيريلوس فقد كان يخشى من ظهور تيرون في السواحل الشمالية (لصقلية) ولذلك فمدة سيطرته على مضيق مسّينا باتت محدودة ، ومن دون شك فانه لم يكن ينتظر اية مساعدة من المدن الاغريقية في ايطاليا ولهذا لم يكن امامه الا القرطاجيون)) [34].

لقد أكد ا . فيل على هذه النقطة وراى فيها تاييدا لوجهة نظره القائلة بان الصراع في صقلية هو صراع اغريقي اكثر منه صراع اغريقي - قرطاجي وان كان يعترف بانه ربما رات قرطاجة انه من مصلحتها التدخل الى جانب اناكزيلاس ، لان ذلك يمكنها من الحصول على موضع قدم في مضيق مسّينا من خلال تحالفها معه [35] والذي كان اناكزيلاس مستعدا لذلك [36] .

واذن فاي السببين دفع قرطاجة للدخول في حرب ضد تحالف جيلون - تيرون ، مساعدة تيريلوس ام اناكزيلاس؟

اذا نظرنا الي الموضوع من خلال مصالح قرطاجة نجد السببين معا مقبولين وان كان الثاني حسبما يبدو لي الدافع الرئيسي . فتواجد القرطاجيين في مضيق مسينا لا يمكنهم من السيطرة التجارية علي السواحل الشمالية الشرقية فقط وانما يفتح امامهم الباب للنفاذ الي السواحل الشرقية للقدم الايطالي وخليج تارنت (تارنتوم) تلك المناطق التي اغلقت في وجوههم منذ أن سيطر الاغريق الخلقيد ونيون علي مضيق مسينا بعد انشاء مستعمرة زانكلي (مسينا) المقابلة لريجيون . الا أن الوصول الي هذه الغاية لا يتم الا بعد القضاء علي التواجد الاغريقي في هيميرا التي اصبحت بعد ان سيطر عليها تيرون تشكل عائقا امام القرطاجيين . وما دامت المبررات موجودة وهي مساعدة تيريلوس لاستعادة حاضرته وبالتالي كسبه كحليف مستقبلي . اذن فالفرصة مناسبة لتنفيذ المخطط الا انه من جهة اخري يبدو ان القرطاجيين ادركوا مدي القوة التي اصبح يشكلها التحالف بين جيلون وتيرون . كما انه بامكانهما جيلون و تيرون الحصول علي نجدات من بلاد الاغريق (الوطن الام) ولذلك استغلوا الظروف وهي انشغال بلاد الاغريق بالحروب الميدية وربما هذا هو الذي يفسر لنا وقوع معركتي هيميرا وسالاميس في سنة واحدة هي عام 480 ق . م والذي فسره الاغريق ومن بعدهم المؤرخون الغربيون علي انه تنسيق بين الفرس والقرطاجيين .

يظهر عنصر المبالغة في عدد القوات التي شاركت في المعركتين فيقول هيرودوت بان القوات الفارسية في معركة سالاميس كان عددها مليون وثمان مائة الف جندي (1،8 مليون) اما المؤرخون المعاصرون فيقدرونه بحوالي عشرين (20) الي خمسين (50) الف جندي [37]. اما قوات القرطاجيين في معركة هيميرا فتقول الروايات بانها كانت تقدر بحوالي ثلاثمائة الف محارب جندوا من مختلف مناطق الحوض الغربي للمتوسط [38]. وانهم خسروا في هذه المعركة عددا كبيرا منها بلغ حوالي مائة وخمسين الف محارب اي نصف القوات [39].

فاذا كان فعلا هذا هو عدد قوات قرطاجة ، واذا اضفنا اليها عددا وان كان قليلا من اتباع تيريلوس واذا تذكرنا ان قرطاجة كانت تعتمد علي

الجنود المرتزقة ومعنى ذلك انها لا تجند الا المحترقين لان المعركة ليست دفاعا عن النفس مثل معركة قرطاجة سنة 146 ق.م ، وانما هي هجوم ، فكيف تعزى كل هذه الفوائد القوات في هذه المعركة ؟!

لا شك ان المؤرخين الاغريق قد بالغوا كثيرا في تضخيم القوات القرطاجية مثل بالغوا في عدد القوات الفارسية ، وهذا الغرض واضح هو محاولة ابراز اهمية المعركتين ، وانهما كانتا مصيريتين ، استهدفتا القضاء على الاغريق (40). في الشرق والغرب ، ثم الايحاء من وراء ذلك الى قدرة وشجاعة الجندي الاغريقي ، وان النصر الذي حققه في هاتين المعركتين يستحق كل التقدير .

فاذا كان المؤرخون المعاصرون قد قدروا القوات الفارسية بحوالي عشرين او خمسين الف جندي فلا شك ان القوات القرطاجية هي الاخرى كانت تتراوح مابين عشرين (20) الى ثلاثين (30) الف جندي على اكثر تقدير جلهم من البحارة .

اما قوات الاغريق في صقلية فحسب هيرودوت ان جيلون كان لديه حوالي حوالي عشرين (20) الف جندي وحوالي ستة (6) الاف من الفرسان (41) . والواضح ان هذه الارقام قريبة من الحقيقة ان لم تكن اقل . واذا اضفنا اليها قوات تيرون فتصبح قوات الحلفاء الاغريق اكثر من القوات القرطاجية . الا انه من الممكن ان نفترض ان الكفاءة الحربية عند الجنود القرطاجيين احسن مما هي عليه عند الاغريق (42) . واذن فما هي اسباب الهزيمة ؟

من المرجح ان السبب الرئيسي في هزيمة القرطاجيين هو ما ذكره بعض المؤرخين (43) عن تمكن بعض فرسان جيلون من التسرب داخل المعسكر القرطاجي واشعال النيران فيه (44) ، مما يمكن ان يكون قد اثار البلبلة والفوضى في صفوف القرطاجيين خاصة وان الجيش القرطاجي مكون في اغلبه من المرتزقة الذين لا يهمهم الدفاع عن القضية بقدر ما يهمهم الحفاظ على ارواحهم . والظاهر ان المعركة كانت طاحنة لدرجة ان القائد القرطاجي هاميلقار لقي مصرعه (45) . وانتهت المعركة بهزيمة القرطاجيين مثلما انتهت معركة سالاميس بهزيمة الفرس وانتصار الاغريق على البرابرة كما (نظر اليها الاغريق في ذلك الوقت وانتصار الغرب على الشرق كما ينظر اليها)

نظر اليها الاغريق في ذلك الوقت، وانتصار الغرب على الشرق كما ينظر اليها الأوربيون اليوم .

ماذا كان دور حلفاء قرطاجة في هذه المعركة خاصة اناكزيلاس؟ من المرجح انه لم يشارك في المعركة، ويفسر . فيلي عدم اشتراك اناكزيلاس بانه ربما كان محاصرا من طرف اسطول جيلون ، الذي كان يهدف في نفس الوقت الى السيطرة على مدينة مسّينا وبالتالي على المضيق المجاور لها وهو نفس الهدف الذي كان يرمي اليه القرطاجيون . كما ان تواجد قوات تيرون في هيميرا ، اصبحت تهدد بالاستيلاء على السواحل الشمالية الشرقية لصقلية الامر، الذي جعل اناكزيلاس في وضع لا يسمح له بالتحرك للاشتراك مع القرطاجيين في المعركة . وهناك امر آخر يمكن افتراضه وهو أن اناكزيلاس ربما كان قبل المعركة 1 يرى بان القوات القرطاجية قادرة وحدها على هزيمة الحلفاء (جيلون - تيرون) وان مهمته تنحصر فقط في المحافظ على مسّينا ومضيقها . وعلى اية حال فكلا الامرين محتمل . ومهما كانت الاسباب التي منعت اناكزيلاس من الاشتراك في المعركة الى جانب القرطاجيين فخلاصة القول بأن المعركة كانت اغريقية - قرطاجية بأتم معنى الكلمة، وأن دخول قرطاجة فيها كان من اجل تحقيق اهداف لخدمة مصالحها وليس القصد منها مجرد تقديم مساعدة لجماعة من الاغريق ضد جماعة اغريقية اخرى ، الامر الذي يجرد الصراع من طبيعته الحقيقية ويجعل دخول قرطاجة فيه امرا عرضيا .

هناك نقطة اخرى لابد من التعرض لها في هذا السياق وهي موقف الاتروسك حلفاء القرطاجيين القدامى في الصراع القرطاجي - الاغريقي في صقلية . فالثابت تاريخيا ان الاتروسكيين لم يشاركوا الى جانب القرطاجيين في معركة هيميرا وليست لدينا معلومات عن اسباب امتناعهم في المشاركة ، ولذلك نلجأ كالعادة الى الافتراضات . لقد كانت اتروريا ومنطقة اللاتيوم تعيش ظروفا خاصة في هذه الفترة منها الانقلاب الروماني ضد الحكم الملكي الاتروسكي الذي كانت تمثله عائلة "تاركوينوس" سنة 509 ق.م .

وبالرغم من ذلك الانقلاب لم يقهض على الحكم الملكي الاتروسكي نهائيا ، الا انه اضعف من مركز الاتروسك كقوة سياسية في المنطقة ، وبدأت تظهر روما على مسرح الاحداث ولو في نطاق محدود .

يضاف الى ذلك ان اتروريا ومنطقة اللاتيوم شهدت في بداية القرن الخامس ق . م . هجمات متتالية كانت تقوم بها الاقوام الجبلية كالسبيليين والايكيين والفولكسيين ، التي كانت تجذبها سهول اللاتيوم الغنية (46) .

ولقد احدثت تلك الغزوات اضطرابات كبيرة في المنطقة . ويبدو ان هذه الظروف هي التي جعلت الاتروسك لا يقفون الى جانب حلفائهم القرطاجيين في هذه المعركة . اما القوة الجديدة التي بدات تظهر والمتمثلة في الرومان فلم يكن لها موقف معين او بالاصح واضح تجاه المتخاصمين . اذ انها كانت منشغلة بتثبيت مركزها في ايطاليا وقد ظهر ذلك في عقد المعاهدة باسم "معاهدة كاسيوس عام 493 ق . م . بين روما والجامعة اللاتينية ، والتي تنص على عقد حلف دفاعي عسكري بين الطرفين (47) .

لقد كانت معركة هيميرا اول معركة هامة تخوضها قرطاجة كقوة عسكرية في غرب المتوسط ، ذلك ان المعارك التي سبقتها لم تكن في نفس الاهمية والمستوى الذي كانت عليه معركة هيميرا . ومع لم تسفر عن نتائج حاسمة بالنسبة للطرفين . فالاغريق الذين بالغوا في تقدير اهميتها لم تمكنهم (خاصة جيلون وتيرون) الا من تحقيق نجاح نسبي (48) تمثل في تثبيت اقدامهم في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها من قبل ما الى قبل المعركة مثل هيميرا وسيلينونت وابعاد شبح القرطاجيين المخيف او على الاقل ايقافه .

اما بالنسبة للقرطاجيين ، فبالرغم من انهزامهم في المعركة الا انهم تمكنوا من الاحتفاظ بمواقعهم في غرب الجزيرة . ويرى س . موسكاتي بان احتفاظ القرطاجيين بمواقعهم يرجع الى سياسة جيلون التي لم تكن ترمي الى تقوية حليفه الاجريجانتي تيرون (49) . ويفهم من ذلك انه في حالة اجلاء القرطاجيين عن مواقعهم في غرب الجزيرة ، فان تلك المواقع ستصبح ضمن ممتلكات تيرون بحكم الموقع الجغرافي للمنطقة التي كان يسيطر عليها

Text Stamp

ضمن ممتلكات تيرو ن بحكم الموقع الجغرافي للمنطقة التي يسيطر عليها هذا الاخيقبول معركة هيميرا . وعلى الرغم من أن هذا الاحتمال وارد ومقبول ، الا أننا لا نميل الى ترجيحه لبعض الاعتبارات :

ـ أن هزيمة قرطاجة في معركة هيميرا ليس معناه انهيارها كلية من الناحية العسكرية ، اذ بقي لديها من القوة ما يمكنها من الدفاع عن مواقعها ، وهذه الحقيقة كان الاغريق يدركونها ، ولذلك لم يتجرؤوا على مهاجمتها .

ـ أن الاغريق دفعوا ثمنا باهظا لتحقيق انتصارهم ، ولم يبق لديهم من القوة ما يمكنهم من مواصلة الحرب ، ويمكن أن نستخلص من هاتين الملاحظتين أن توقف الاغريق عن مهاجمة القرطاجيين مرده الى عجزهم عن مواصلة الحرب ، وليس الى سياسة جيلون كما يرى موسكاتي .

لقد كان لهزيمة قرطاجة في معركة هيميرا انعكاس على مركزها السياسي في صقلية ، وتمثل ذلك في فشل اوبالاحرى انهاء التحالف بين القرطاجيين والاتروسكيين من جهة وبين القرطاجيين وسكان صقلية من جهة ثانية ، حيث بدء الاليميون ينظرون الى قرطاجة التي تعتبر حليفهم التقليدي منذ بداية التواجد الاغريقي في المنطقة على انها لم تعد قادرة على توفير الامن لهم وحمايتهم من اعدائهم الاغريق .

وعندما وقعت معركة كوماي بين الاتروسك والاغريق سنة 474 ق . م . لم يتدخل القرطاجيون الى جانب حلفائهم الاتروسك ، وقد فسر " وبين البيرتيني " عدم مشاركة القرطاجيين الى جانب الاتروسك بانه نتيجة لضعفهم من جراء هزيمتهم في معركة هيميرا ، الا أننا نعتقد بان السبب الحقيقي هو رد فعل القرطاجيين ازاء الاتروسك لعدم مشاركة هؤلاء في معركة هيميرا الى جانب القرطاجيين . لأن فترة ست (6) سنوات (من 480 الى 474) كانت كافية بالنسبة للقرطاجيين لاعادة بناء قوتهم العسكرية خاصة وانهم يعتمدون على تجنيد المرتزقة .

يرى موسكاتي بان هزيمة هيميرا تسببت في اجراء تغيرات سياسية

داخل قرطاجة ذلك تماما وتمثل ذلك في التخلص وابعاد العناصر الموسرة من الاسرة الماغونية التي هيمنت على السلطة في قرطاجة خلال القرن السادس وبداية القرن الخامس ق . م . وان تلك الاجراءات كانت بايحاء من الارستقراطية القرطاجية التي رات في حكم الماغونيين على انه سلسلة من الحروب المستمرة مما أثر على مصالحها [51] . وكان من نتائج تلك التغيرات انشاء مجلس المائة (100) الذي كان الهدف منه الحد من سلطة الملك الفردية . وربما الى هذه الفترة يرجع تاريخ تغيير لقب الملك وتسليم صلاحياته الى القاضيين (الشفطيين) .

والواقع انه ليست لدينا معلومات تؤكد ان هذه التغيرات كانت من نتائج هزيمة هيميرا اذ ربما ان تلك التغيرات التي ينسبها موسكاتي الى مابعد هزيمة هيميرا قد وقعت قبل ذلك .

اما في المجال الاقتصادي فقد توجه اهتمام القرطاجيين الى سواحل ايبيريا وشواطئ الاطلسي ولعله في هذه الفترة وقعت الرحلة الشهيرة التي قام بها حنون الى سواحل غرب افريقيا [52] .

ومما لا شك فيه ان اهتمام قرطاجة بسواحل ايبيريا وغرب افريقيا كان من اجل تامين الموارد الاقتصادية اللازمة للاستعداد للمواجهة الحتمية مع الاغريق . وبالفعل لقد بدات المواجهة المنتظرة بين الطرفين عام عام 409 ق . م . [53] عندما طلبت مدينة سيجيست المتحالفة مع قرطاجة المساعدة عندما تعرضت لاعتداء من طرف سكان سيلينونت . فقد ارسل القرطاجيون حملة عسكرية بقيادة حنابعل (هانيبال) [54] حفيد هاميلكار الذي كان قد لقي مصرعه في معركة هيميرا سنة 480 ق . م . ولقد كانت هذه الحملة ناجحة الى حد كبير حيث تمكنت من الاستيلاء على سيلينونت وهيميرا واسر من الاغريق حوالي ثلاثة (3000) رجل اعدموا في نفس المكان الذي لقي فيه هاميلكار مصرعه كنوع من الانتقام له [55] . وقد شجع هذا الانتصار القرطاجيين على مواصلة الحرب ضد الاغريق حيث ارسلوا حملة جديدة عام 406 ق . م . بقيادة كل من حنابعل وهاميلكون .

تمكنت بعد حصار لموسل من الاستيلاء على مدينة اجريجنت اهم المواقع الاغريقية المتقدمة في صقلية = غرب صقلية :. ورغم انتشار مرض الطاعون في صفوف القرطاجيين ، والذي كان من بين ضحاياه القائد حنابعل "الا" أن رفيقه هاميلكون واصل الزحف ضد المدن الاغريقية فاستولى على مدينة جيلا التي تعتبر هي الاخرى من اهم المدن المواقع الاغريقية في الساحل الجنوبي من صقلية . وبسقوط جيلا ، اصبحت القوات القرطاجية تهدد مدينة سيراكوز اهم المعاقل الاغريقية في الجزيرة . وبدا وكأن القوات القرطاجية اصبحت تسيطر على معظم الجزيرة . وامام هذه الوضعية لم يجد الاغريق بدا من الالتفاف حول شخصية "دونيس" طاغية سيراكوز (56) .

والملاحظ أن دونيس كان على قدر كبير من الدهاء والحنكة السياسية . فلكي يجنب سيراكوز من السقوط في ايدي القرطاجيين او على الاقل الحصار، التجأ الى عقد معاهدة سلام مع قرطاجة سنة 405 ق . م .(57) وقد اتاحت هذه المعاهدة الفرصة للاغريق كي يستعدوا . وليس لدينا من المعلومات ما يمكننا من معرفة الاسباب التي جعلت القرطاجيين يقبلون الركون الى السلم والاحجام عن مهاجمة سيراكوز مع أن الظروف كانت في صالحهم وستتكرر هذه الحالة فيما بعد خلال الحروب البونية الثانية عندما احجم عن مهاجمة روما سنة 213 ق . م . وقد يرجع السبب الى أن القرطاجيين لم يكونوا يهدفون الى استعمار الجزيرة بقدر ما كانوا يهدفون الى تأمين مواقعهم التجارية ، وان الحملة كانت مجرد انتقام لهزيمة هيميرا وتاديب الاغريق وعندما جنح هؤلاء الى السلم جنحوا لها .

تجدد الصراع في صقلية

مع بداية القرن الرابع قبل الميلاد ، ينقض دونيس معاهدة السلام مع القرطاجيين ويبدأ فصل جديد من الصراع وقد امدنا ديودور الصقلي بمعلومات مفصلة عن الاسباب التي دفعت الاغريق أو بالاحرى دونيس ،

لنقض السلم واعلان الحرب ضد القرطاجيين ، وتحريض بني قومه ومواطنيه علي محاربة دبولاء الي القرطاجيين واصفا اياهم بانهم اخطر عدو للاغريق عموما وللصقليين خصوصا (59) .

ولقد كانت الحرب سجالا فقد تمكن الاغريق في بداية الامر من استعادة معالم السواحل الجنوبية وتمكنوا من الاستيلاء علي موتيا القرطاجية سنة 398 ق ، م ، (60) الا ان القرطاجيين استعادوا سيطرتهم علي الموقف بفضل الاسطول الذي ارسلته قرطاجة الي صقلية تحت قيادة هاميلكون وقد تلقى د ونيس هزيمة بحرية كبيرة قرب مدينة كاتان مما اضطره الي الالتجاء الي سيراكوز التي لم تسلم هي الاخري من الحصار ، الا ان مرض الطاعون (61) الذي تفشي في صفوف القرطاجيين نتج عنه رفع الحصار عن سيراكوز في سنة 396 ق ، م (62) . كما شهدت سنتا : 393-392 ق ، م ، عدة معارك بين القرطاجيين بقيادة ماغون والاغريق بقيادة د ونيس وقد انتهت هذة الحلقة من الصراع بمعاهدة بين الطرفين نصت علي ان تكون المناطق التي يسكنها الاغريق والصقليون تحت مراقبة د ونيس بينما تكون المناطق التي يسكنها اليسكان والاليميون تحت مراقبة قرطاجة (63) .

والملاحظ ان معاهدات السلم والصلح التي كان يعقدها الطرفان لم تكن في الواقع الا فترات استراحة ، يستغلها الطرفان في الاستعداد للحرب من جديد ، ففي سنة 382 ق ، م ، تعود الحرب من جديد بين الطرفين وتستمر حتي سنة 374 ق ، م ، والاخير يضطر الطرفان الي عقد صلح جديد ومعاهدة تنص علي انيكوس ان يكون نهر هاليكوس حدا فاصلا بين مناطق نفوذ الطرفين ، وقد مكنت هذه المعاهدة قرطاجة من السيطرة علي ثلث (1/3) الجزيرة تقريبا وقد بقي نهر هاليكوس كحد فاصل بين الطرفين قرابة القرن من الزمن (64) .

لقد كانت وفاة د ونيس حوالي سنة 367 ق ، م ، تعني نهاية خصم عنيد للقرطاجيين ولقد اعقبت وفاته فترة طويلة من السلم بدا خلالها وكأن العدوين التقليديين قد استكانا نهائيا الي الراحة ونبذا الحرب ، الا ان حلقة جديدة

من الصراع ستبدأ مع بداية النصف الثاني من القرن الرابع ق . م . يتزعمها عن الجانب الاغريقي "تيموليون الكورنثي" . واذا كانت الاسباب الرئيسية للصراع معروفة (65) فان معلوماتنا عن الاسباب المباشرة لاستئناف الصراع بعد فترة السلم التي اعقبت وفاة دونيس صحيفة . فديودور الصقلي الذي يعتبر المصدر الرئيسي للصراع القرطاجي — الاغريقي في صقلية، لا يوضح الاسباب التي دفعت الطرفين لاستئناف الصراع من جديد ويكتفي بالقول بأن تيموليون قام بغزوة في المناطق القرطاجية واستولى على مدينة "أنتيلا" وان الكثير من المدن الخاضعة لقرطاجة تحالفت معه (66) . وتمثل رد فعل القرطاجيين في ارسال جيش الى المنطقة، وتم اللقاء غربي مدينة سيجيست على ضفاف نهر كريميوس ، وكانت نتيجة المعركة انهزام القرطاجيين وانسحابهم الى ليليبايوم سنة 340 ق . م . (67)

ويرى ش . أ . جوليان بأن القرطاجيين هم المتسببون في تجدد الصراع بمحاولتهم الاستفادة من الخصومات بين الاغريق بعد وفاة دونيس من اجل السلطة . فتدخلوا في الوضع محاولين استرجاع اجريجانت وجيلا من الاغريق (68) . ولم يذكر جوليان المصدر الذي استقى منه معلوماته ، ام انها مجرد استنتاج . وعلى اية حال فان ماذكره جوليان بالرغم من انه يبدو محتملا ومقبولا — الا انه في نظرنا ليس هو السبب في تجدد الصراع . لأن وفاة دونيس كانت عام 367 ق . م . كما ذكرنا من قبل والاحداث التي نحن بصددها جرت مابين 345 و340 ق . م . كما ذكر جوليان نفسه (69) . اي ليس هناك تطابق من الناحية الزمنية بين وفاة دونيس وتجدد الصراع وبالتالي ليست وفاة دونيس ومحاولة القرطاجيين استغلال فرصة الخلاف كما زعم جوليان هي السبب . انما السبب الحقيقي كما يبدو هو محاولة تيموليوس التوسع على حساب القرطاجيين . والملاحظ أن تيموليوس لم يستفد من الانتصار الذي حققه . وربما يرجع ذلك الى الظروف السياسية التي كانت عليها صقلية .

فبناء اعلى ماذكره موسكاتي بأن كلا من هيكيتاس حاكم ليونتينوا وماميـ

و ماميركوس حاكم مسينا كانا مساندين للقرطاجيين ضد تيموليون (70) مما اضطر هذا الاخير الى عقد معاهدة صلح مع قرطاجة نصت على الاحتفاظ بالحدود بين الطرفين عند نهر هليكوس وذلك سنة 339 ق . م (71) كما كانت عند وفاة دونيس .

ان هذه المعاهدة اتاحت للطرفين ان ينعما بفترة سلام آخر ستمتد الى نهاية القرن الرابع ق . م . ويبدو ان سياسة قرطاجة في هذه الفترة وبعد تامينها لموقعها في غرب الجزيرة ، لم تكن تهدف لكسب مواقع جديدة في الناحية الشرقية ، فقد ربما كانت تسعى كما يرى موسكاتي ونشاطاموه الراي في ذلك ، الى منع خلق قوة اغريقية في شرق الجزيرة (72) الا أن قرطاجة او بالاحرى احد قادة جيوشها في صقلية وهو هاميلكار (73)، سيرتكب خطأين تدفع قرطاجة ثمنهما باهظا :

الاول : ويتمثل في مساعدة "اغاثوكليس" وتمكينه من ان يصبح طاغية على سيراكوز سنة 318 ق . م . والثاني وهو السعي لا يجاد او لعقد صلح بين سيراكوز ومسينا وكان من نتائج ذلك الصلح ان احتفظت المدن الاغريقية باستقلالها الذاتي مع الاعتراف بهيمنة سيراكوز عليها (74) .

واذا كان العمل الاول يمكن ادراجه في اطار السياسة القرطاجية الرامية الى ايجاد خلافات بين الاغريق فان العمل الثاني يناقضه تماما وليس له اي مبرر ، اللهم الا اذا افترضنا أن قرطاجة وبصفة خاصة هاميلكار الذي يعتبر المسؤول الاول والوحيد عن هذه السياسة يريد أن يفرض هيمنة قرطاجة على ساحل الجزيرة بطريقة غير مباشرة ، وذلك من خلال اغاثوكليس باعتباره حليفا لها الا أن حسابات هاميلكار كانت خاطئة ، لأن اغاثوكليس سرعان ماتحول الى خصم عنيد عندما شعر بالقوة ، وسوف يؤدي ظهوره على مسرح الاحداث الى بداية فصل جديد من الصراع القرطاجي – الاغريقي لن يكون ميدانه مقصورا على جزيرة صقلية فحسب وانما يمتد الى بلاد المغرب فيما سيعرف بـ "حملة اغاثوكليس على افريقيا" وسيكون ذلك موضوع الباب الرابع .

Text Stamp

هـوامش الباب الثالث

الفصـــل الاول :

(1) S.GSELL,HAAN. T.I.P.414

(2) تشير بعض المراجع الى قيام تحالف بين القرطاجيين والاتروسك لمنع الاغريق الفوسيين من التوجه نحو غاليا او بالاحرى جنوبها انظر S.GSELL,T.I. P.425.-G. GLOTZ,H.Gr.P. 22I

(2) (3) (4) S.gsell ;T. I;P. 448

(5) الارجنوت Argonaute احد الابطال الخرافيين في الميثولوجيا الاغريقية وهو الذي قاده جازون Jason بن ملك ايزون Eson ملك ايولكوس Iolcos احدى مدن تساليا لمحاربة الحيوان الخرافي المعروف بـ Toison d'or انظر : L.classique P.72

(6) S.GSELL.HAAN.T.I.P.448

(7) Ibid. P?. 448

(8) Ibid. P. 448

(9) G.GLOTZ;histoire Grecque ,P. 2I0

(10) يطلق عليه كذلك وادي الخاعن ووادي المغار

(11) S.GSELL,HAAN;T. I, P. 448

(12) Ibid. P. 449

(13) Ibid. P. 450

(14) A.PARROT,MAURICE,H.CHIHAB et S.MOSCATI,lesPheniciens, lexpansion phenicienne,ed.Gallimard,I975;P.I5I

(15) Ibid. P. I5I

(16) Ibid. P.I52

(17) Ibid. P.I5I

(18) S.GSELL,T.V;P.I2.-G.PICARD;le monde de carthage ;Paris I956,P?. 3I

(19) (20) G.PICARD,le monde decarthage p.32.-S.GSELL;T.I.;P. 452

(21) SALLUSTE,Catalina& guerre deJugurtha.L.XXIX;pp.2I9-220

(22) S.GSELL,T.I;P.454

(23) SALLUSTE, Ibid . P.2I9

(24) لمزيد من التفاصيل انظر : سالوست بالمصدر السابق ص. 220 . S. GSELL; T.I,P.452

(25) G.PICARD; le monde de Carthage ; P .32

ويقول في معرض حديثه عن رواية سالوست بشان الحدود بان المتاسبقين قد التقوا من اقرب نقطة تابعة لكلا الدولتين الى مكان الالتقاء .

(26) سيلاكس Scylax او سكيلاكس Skylax جغرافي اغريقي كلفه ملك الفرس دارة (داريوس) الاول القيام برحلة بحرية في المتوسط حوالي 508 ق.م

Text Stamp

(27) (28) S.GSELL,HAAN. T.I;P.45I

(29) Ibid. P. 455

(30) Ibid. P.452

(31) Ibid. p.45I et suiv.

(32) Ibid. pp.452-453

(33) Ibid. p. 453

(34) (35) IBID. P. 452

(36) Ibid. P;. 45I

(37) ربما هـو الذي يحمل لقب هونوراتوس ـ Honoratus ـ أو موروس ـ Maurus وهو من علماء النحو اللاتيني كان يعلم في روما في اواخر القرن الرابع للميلاد .

(38) انظر ص من هذا البحث

(39) S. GELL, T.I;p. 454

(40) سترابـون ـ Strabon ـ جغرافي اغريقي عـاش مابين 58 ق.م ـ1ـ 25 للميـلاد

(41) بطليموس (كلـوديوس) فلكي وجغرافي اغريقي عـاش في القرن الثانـي للميـلاد

(42) (43) S.GSELL, T.I,p. 454

(44)(45) D'apres S.GSELL, T.I.;p. 454

الفصـــــــــــل الثـــانـي :

(1) (2) La grande Encyclopedie ,T. 29;:P. II72;COL.2

(3) J.~~HEURGON~~,HURE,histoire de la Si cile;(Que Sais-je?)P/I2

(4) La grande Encyclopedie ,T.29,p.II72,col.2

(5) يري البعض ومنهم باولو أورسي ـ Palo Orsi ـ بان الصقليين والسيكان لـ هم شعب واحد وهم من اصل ايبيرو ـ افريقي ـ Ibero-Africai n ـ في حين ان علم اللسانيات وعلم الاثار يميلان الي تاكيد القرابة بين الصقليين واللاتين ،

(6) Edouard WILL,le monde grecque et l'orient,T.I;ParisI972/ 22I

(7) اختلفت الاراء بشان اصل الاليميين ـ Elymes ـ فالروايات التقليدية تلحق نسبهم بالطرواديين الذين التجأوا الي صقلية بعد تدمير طروادة في حين يري أ. بايس ـ E.PAIS ـ بانهم فرع من السيكان انظر : J.HURE,histoire de la sicile,p. I3

اما جلبير بيكـار فيقول بانهم ربما من اصل اسيا وي ، انظر : G.PICARDle monde de carthage,Paris I956,P. 30

(8) E.WILL, le mon de Grecque et l'orient T.I, p. 22I

(9) La grande Encyclopedie ,T.29,p.II72,col.I

(10) E. WILL,T.I;P . 22I

(11) لمزيد من التفاصيل انظر : R. Van COMPERNOLLE,E.C.H.S.Rome I960/449

(12) يري صاحب "لاروس الكبير الموسوعي" Grande Larousse Encyclopedique, P. 808

Text Stamp

(12) يرى صاحب لاروس الكبير الموسوعي :
بان هذه المدينة ربما تكون كريتية وبالتالي هناك موجة كريتية سبقت الاغريق الى صقلية

(13) La grande encyclopedie; T.29; P. II72; col.2

(14) E.WILL; le monde grec et l'orient; T.I;p.22I.

(15) la grande encyclopedie;pII72:/2

(16) S.GSELL;HAAN;T.I;p.407.

(17) Hedi SLIM;Histoirede la Tunisie des origones à la opnquete Romaine; S.T.D. Tunis (S.D)P.28.

(18) Leon HOMO; l'Italie primitve et les debuts d l'imperialisme Romaine Paris I925; p.78.

(19) لمزيد من التفاصيل انظر : R.Van COMPERNOLLE; E.C.H.S. p.4I0à 4I9.

(20) Leon HOMO; l'Italie ...P;78.

(21) S.GSELL ;T.I.p.408.

(22) هناك من يرى مثل باريتي Pareti بان الاغريق اسبق في الاستيطان بصقلية من الفينيقيين وان المراكز الموجودة في غرب الجزيرة مثل موتيا بالرمو ، سولونت التي ذكرها توكيديدس على انها فينيقية انما اقامها القرطاجيون في فترة توسعهم خلال القرن السابع ق م كما فعلوا في ابيسا ومالطة وغوزو وبانتالاريا ، ويرد موسكاتي على ذلك بانه ليس من الممكن قبول مثل هذا الراي لانه غير مدعم بحجج مقبولة لانه من غير الممكن تقبل فكرة التوسع القرطاجي في صقلية قبل القرن السابع ق م في حين ان الحفريات في موتيا اثبتت التواجد الفينيقي في المنطقة قبل القرن الثامن ق م وهذا ما يؤكد رواية توكيديدس انظر : S.MOSCATI; l'èpopèe; p.265/6.

(23) لمزيد من المعلومات انظر : J.HEURE;Histoire de la Sicile; pp.I9_20.

E.WILL;T.I;p.222.

(24)

(25) (26) E.WILL; Ibid. p.22I.

(27) انطيوخوس

(28) مجموعة مناطق ترتفع الى الشمال الشرقي من صقلية .

(29) D'apresR.Van COMPERNOLLE; E.C.H.S;p.473.

(30) (31) La grande encyclopedie;T.29;p.II72.

(32) E. WILL; T.I;p. 223.

الفصـــــــــــل الثـــــالث :

(1) انظـر كـلا مـن : Th. MOMMSEN; Histeire Remaine ; T.I;p. I74.

E. WILL; Le mende grec et l'erient ; T.I;p.240.

La grande encyclepedie; T.29;p.II70.

Jean HEURE; Histeire de la Sicile ;p.25.

(2) E.WILL; Ibid. p.240.

(3) Jean HEURE; Ibid. p.25.

(4) (5) E.WILL;Ibid. p.224.

(6) لسنا متأكدين ما اذا كانت سلطة قرطاجة قد امتدت في هذه الفترة الى المستوطنات الفينيقية في صقلية .

(7) يرجح جيلبير بيكار بان د ريبانون كانت من المراكز الاليمية التي فتحها اهلها في وجه الفينيقيين انظر: G.PICARD; le mende de carthage; p. 30.

(8) S. GSELL; H. A.A.N ;T.II;p. 292.

(9) يقول موسكاتي بان اول مستعمرة انشاتها قرطاجة كانت في جزيرة ابيسا (يابسة) بجزر الباليار حوالي سنة 654/ 653 ق.م . غير انه لم يذكر المصدر الذي اخذ عنه وعلي كل حال لا يمكننا ان نستنتج من ذلك بان سيطرة قرطاجة على المدن الفينيقية في غرب المتوسط قد تمت في هذه الفترة، لانها تبدو مبكرة نوعا ما انظر: S. MOSCATI; l' èpepèe; p. I67.

(10) G.PICARD; Ibid. p.30.

(11) Eugene ALBERTINI et aut res ;l'Afrique du Nerd Française dans l'histeire p.30.

(13) S.MOSCATI; Ibid. p.I67.

(14) (15) E.WILL; Ibid. p.244.

(16) Jean HEURE; Ibid. p.22.

(17) كوم جعيف ـاليا في مديرية البحيرة بمصر

(18) يري هشام الصفدي بان السبب الرئيسي للتنافس بين الاتروسك والقرطاجيين من جهة وبين الاغريق من جهة ثانية لم يكن من اجل السيطرة علي الاسواق ومصادر الثروة المعدنية وانما هي الرغبة في امتلاك الاراضي . غير انه اذا كان ذلك ينطبق علي الاتروسك بقدر كبير فانه لا يعتبر الاسبا ثانويا بالنسبة للقرطاجيين . انظر . هشام الصفدي تاريخ الرومان ج . 1 دار الفكر بيروت 1967، ص63

(19) كان الاغريق يطلقون هذا الوصف على الشعوب التي لم تاخذ بالحضارة الاغريقية او غير الاغريق نحل من لا يعرف اللغة الاغريقية فهو بربار (اجنبي).

(20) Diodore de sicile; Bibliotheque Historique, trad. franc. by. Ferd HOEFER, Hachette, Paris (S.D) T.3, p?46.

(21) يمكن ان نضيف الى ذلك حملة Atheneens الاثينيين على سيراكوز حوالي 415 – 413 ق.م انظر: La grande encyclopedie; T.29, p.1172.

(22) Eugene ALBERTINI et autres, l'Afrique du nord française dans l'histoire; p.40.

(23) E.WILL; le Monde grec et l'orident, T.II, p.232.

(24) Eugene ALBERTINI; Ibid. p.39.

(25) E.WILL; Ibid.p.233. E.ALBERTINI; Ibid. p.39

(26) Jean HURE; Histoire de la sicile, p.26.

(27) E.WILL; Ibid.p.234. J.HURE; Ibid.p.26.

(28) J.HURE; Ibid.p.26.

(29) (30) E.WILL; IBID. p.234.

(31) شارل اندري جوليان تاريخ افريقيا الشمالية ج 1، تونس 1969 ص 9.

(32) انظر ص 98 من هذا البحث.

(33) D'apres E.WILL; Ibid.p.233.

(34) (35) E.WILL; Ibid.p.233.

(36) يقول E.WILL بان اناكزيلاس وضع ابناءه كرهائن لدى القائد القرطاجي هاميلكار، انظر: E.WILL; Ibid.p.233.

(37) E.WILL; Ibid.105.

(38) Ibid. p.235.

(39) J.HURE; Ibid.p.26.

(40) E.WILL; Ibid.p.234.

(4I) E.WILL; Lemonde grec et l'orient; T.II, p.235.

(42) انظر ص 99. من هذا البحث

(43) يقول J.HURE : بان جيلون قام بقطع طريق الامدادات على القرطاجيين ، ويمكن ان نجد في هذا الرمل دليلا على تفوق قوات الاغريق العددية على قوات القرطاجيين عكس ما ذكره المؤرخون. J.HURE; Histoire de la Sicile ; p.26

(44) (45) Ibid. p.26.

(46) (47) هشام الصفدي تاريخ الرومان ج 1، ص 82

(48) E.WILL; Ibid. p.236.

(49) S.MOSCATI; l'èpopée des pheniciens ; p.267.

(50) E.ALBERTINI; l'Afrique du nord française dans...p.40.

(5I) S.MOSCATI; l'épopée ; p.I74.

(52) انظر الملحق رقم : 3

(53) ليست لدينا معلومات كافية عن الفترة الفاصلة بين معركة هيميرا (480) واستئناف الصراع بين الاغريق والقرطاجيين عام 409 ق م ويبدو ان فترة سلام سادت هذه المرحلة ولسنا ندري ما اذا كان ذلك نتيجة معاهدة بين الطرفين ام كان مجرد نتيجة الاستنزاف لقوات الطرفين المادية والبشرية نتيجة معركة هيميرا والواقع أن طول الفترة (480ـ 409) لاتفسر فكرة الاستنزاف.

(54) غير حانيبعل (حنبعل) بطل الحروب البونية الثانية (218ـ202ق م)

(55) (56) S.MOSCATI; Ibid.p.I79.

(57) لقد مكنت هذه المعاهدة القرطاجيين بالاضافة الى الاحتفاظ بمواقعهم القديمة (موتيا بالرمو سولونت) من الاشراف على اراضي حلفائهم القدماء الاليميين وان يعترف لهم بشرعية سيطرتهم على كل من هيميرا ، سيلينونت اجريجانت جيلا وكامرينا
انظر : S.MOSCATI; Ibid.p.267.

(58) Diodore de Sicile; Bibliotheque Historique, T.3, p.46.

(59) Diodore; Ibid; P.50.

(60) S.MOSCATI; l'épopée; p.I79.

(6I) يقول Diodore بان مرض الطاعون اجتاح ليبيا ولم يشر الى تفشيه في صفوف الجيش القرطاجي بصقلية انظر : (Diodore.T.3.p.46.)

Text Stamp

(6I) يقـــول Diodore بـان مرض الطاعـون اجتـاح ليبيـا ولـم يشـر الي تفشيه

في صفوف الجيش القرطاجـي بصقلية ، انظـــر : (Diodore,T.3,p.46.)

(62) يقــــــول CH.A.JULIEN بان الاغريق قـامـوا بهجـوم معـاكـس اثـر

تفشـي مرض الطاعـون في الجيـش القـرطـاجـي بصقلية ،وقـد انتهي باستلائهم على

سيلينـونت وهيميرا ،واضطرت قـرطـاجـة لـدفـع غـرامـة قـدرهـا 300 وزنة اوبية

(نسبة لمقاطعة اوبيا الاغريقية) وسلمت مـرتـزقتها للفتك بهم او لاستعبادهم.

(64)(63) S.MOSCATI,l'épopée; p.268.

(65) انظــــــر ص 94 مـن هـــذا البحث ،

(66) لـم يـذكـر المـؤرخ اسماء تلك المـدن وربما يعنـي بعض المدن الواقعـة غربي نهر هـاليكـوس مثـل سيلينـونت

(67) S. MOSCATI Ibid. P. 269 . . . .

(68) (69) شارل جـوليـان ،تـاريـخ افريقيا الشماليـة ج 1، ص 92،

(70) لعـل تحـالف هـؤلاء الحكـام الاغـريـق ضـد تيمـوليون ،هـو الذي يشير اليه

جـوليـان بالخصـومـات الاغريقية الا انـه بعيـد عـن الفترة التي يقصـدها وهي وفـاة دونيســوس

(7I) (72) S.MOSCATI; Ibid; p.265.

(73) غيـر هـاميلكـار الذي سبـق ذكـــره

(74) S. MOSCATI.; Ibid.p.270.

الباب الرابع

حملة اغاثوكليس على بلاد المغرب (1)

ب ـ وصول اغاثوكليس الى السلطة

كيف وصل اغاثوكليس الى السلطة ؟ وما هي الاسباب التي دفعته لنقل المعركة من صقلية الى بلاد المغرب ؟

حسب المعلومات المتوفرة لدينا ، فان اغاثوكليس لم يكن ينتمي الى طبقة ارستقراطية ، انما كان من عامة الناس . الا انه يبدو انه كان ذا طموح وعلى درجة كبيرة من الذكاء دفعه طموحه لخوض غمار السياسة .

فقد ولد اغاثوكليس حوالي سنة 360 ق . م . في تيرمي (5)، وهي احدى القرى الصغيرة في جزيرة صقلية في المنطقة التي كانت تحت نفوذ القرطاجيين في تلك الفترة . وكان ابوه صانع فخار من مدينة ريجيوم (ريجيون) كلابرى حاليا) . ولسنا ندري متى انتقل من مدينة ريجيوم الى موطنه الاصلي الى تيرمي حيث ولد اغاثوكليس . الا انه لم يستقر في تيرمي وانتقل الى مدينة سيراكوز (سرقوسطة) في سن مبكرة ومارس مهنة صناعة الفخار التي ورثها عن ابيه . وفي هذه المدينة التي تعج بالنشاط السياسي والصراعات الحزبية بين الاحزاب الديمقراطية والحكام الطغاة بدأ نشاطه السياسي .

انخرط اغاثوكليس في السياسة واصبح بفضل نشاطه وذكائه رئيس الحزب الديمقراطي في سيراكوز (6) .

والظاهر أنّ انخراطه في الحزب الديمقراطي لم يكن من اجل الدفاع عن الديمقراطية ضد حكم الطغاة وانما كان يريد ان يتخذ من ذلك سلّما للوصول الى السلطة . ويبدو انه لم يتمكن من اخفاء طموحه ونواياه بحيث اجبر على مغادرة المدينة واتهم بانه كان يسعى لان يصبح طاغية على المدينة (7) . فكون جيشا من اتباعه الذين التفوا حوله واصبح يهاجم المدن الاغريقية وحتى القرطاجية على حد رواية ديودور الصقلي (8) .

وان كنا نشك في فكرة مهاجمة المدن القرطاجية . لأنّ معظم الروايات ومنها رواية ديودور نفسه تقول بان القرطاجيين او بالاحرى القائد القرطاجي

هاميلكار (املقار)قائد الجيوش القرطاجية في صقلية هو الذي ساعد اغاثوكليس زمكنه من الدخول الى سيراكوز سنة 318ق.م. (9)

وعند دخول اغاثوكليس مدينة سيراكوز تعهد باحترام القوانين التي تسير عليها المدينة. ولم يكن ذلك الا مجرد نفاق سياسي القصد منه اسكات سكان المدينة وعدم اثارتهم ضده لانه بمجرد ان يضمن سيطرته على الوضع يتحول الى طاغية بعد ان يتمكن من القضاء على خصومه وابعادهم عن المدينة. ويقول جزيل نقلا عن جوستان بانه تمكن من تحقيق ذلك بمساعدة خمسة الاف (5000)جندي امده بهم القائد القرطاجي املقار (10).
الا ان ديودور الصقلي الذي يعتبر المصدر الاساسي لحرب اغاثوكليس لا يشير الى هؤلاء الافارقة (الجنود القرطاجيين) ويقول بانه استعان بالصقليين وبعض انصاره من سكان سيراكوز وليس بوسعنا ترجيح أي الروايتين لان كليتهما مقبولة خاصة امام قلة المعلومات المتوفرة لدينا عن الموضوع.
ونتيجة لذلك تولى الشعب سلطة غير محدودة. واذا اخذنا برواية جوستان فان قرطاجة او بالاحرى املقار هو الذي مكن اغاثوكليس من ان يصبح طاغية على سيراكوز بعد ان مكنه من الدخول اليها.

قام اغاثوكليس بعد ذلك بعدة حملات ضد الصقليين والمستوطنات الاغريقية كمسينا وجيلا، وهما المدينتان اللتان آوتا اشتات الحزب الارليغارشي السيراكوزي الذي كان يحكم المدينة (11).

ويتساءل المرء عن الاهداف التي كان يرمي اليها القائد القرطاجي املقار من وراء مساعدته لاغاثوكليس. فهل كان يسعى الى جعل الصراع اغريقيا ان جاز لنا التعبير في صقلية من خلال مساعدة اغاثوكليس وكسبه حليفا وبذلك لا تحافظ قرطاجة على مراكزها في الجزيرة فحسب وانما ستفرض نوعا من الهيمنة على المدن تحت سلطة حليفها اغاثوكليس ويصبح دورها اي قرطاجة دور الحكم القوي الذي يفرض ارادته على المتخاصمين ؟ وهو ما ستقوم به روما فيما بعد في بداية احتلالها لبلاد المغرب عندما تمكنت

Text Stamp

من خلق صراع بين قرطاجة والنوميديين .ان مثل هذا الاحتمال ولد رد وقبول ولعل ما يؤيده هو تدخل قرطاجة سنة 314 ق.م . لاقامة سلم بين اغاثوكليس ومدينة مسينا ،حيث عملت علي قرطاجة على ابرام معاهدة بين الطرفين عام 313 ق.م .تحت اشراف املقار [12].
لكن الشئ الذي لايمكن فهمه هو انّ تلك المعاهدة حسب جزيل مكنت اغاثوكليس من بسط نفوذه على مدينة تيرمي وسيلينونت وهيراكليا وقد كانت هذه المدن تحت نفوذ قرطاجة منذ مدة طويلة . وليس بوسع المرء امام قلة المعلومات ان يتعرف عن الاسباب الحقيقية التي جعلت قرطاجة تتخلى بمحض ارادتها عن تلك المدن لاغاثوكليس، مع العلم ان سيطرتها عليها لم تتم الا بعد صراع مرير كما مر بنا في الفصل السابق . اللهمّ الا اذا كانت قرطاجة ترى انّ استمرار سيطرتها على تلك المدن قد يخلق لها بعض المتاعب وانّ تسليمها لاغاثوكليس يخلّصها من مثل تلك المتاعب وفي نفس الوقت يضمن بقاء نفوذها عليها من خلال حليفها . ام انّ املقار كان على حد راي جزيل يخشى من عواقب الحروب الصقلية على السياسة الداخلية لقرطاجة .ولذلك كان يعمل على انّ يجنبها العودة الى من الصراع من جديد في صقلية [13] ،مع العمل في نفس الوقت على ابقاء نفوذها في المنطقة .وعلى اية حال ،وايا كانت الدوافع التي املت على املقار ان يسلك تلك السياسة في صقلية ،فلم يكن تصرفه ذلك محل رضى من حكومته ، حيث اتهمته بالتواطئ مع اغاثوكليس ووصفته بالخيانة وحاكمته غيابيا وسريا واصدرت في حقه حكما بالاعدام [14] .غير انه توفي قبل ان ينفذ فيه الحكم [15] .

كانت وفاة املقار حوالي سنة 312ق.م حسبما يستنتج من رواية جوستان . وقد كانت وفاته حدثا تاريخيا هاما نظرا لما يعقبها من احداث خاصة في صقلية . فاغاثوكليس وجد نفسه حرّ التصرف والحركة في الجزيرة ، وانقلب من حليف لقرطاجة الى عدو لها . وربما هذا ما يؤيد الرأي القائل بان املقار لم يكن يمثل السياسة القرطاجية في صقلية

بحيث بقدر ماكان يتصرف بوحي من ذاته .

لقد اصبح اغاثوكليس يري ان الفرصة مناسبة لتحقيق مطامحه بعد ان اصبح يملك القوة .كما انه يجد نفسه في حل من الالتزامات التي تربطه بامالقار بعد وفاة هذا الاخير . ولذلك سيشرع في سياسته التوسعية في المنطقة سوا ء ضد المدن الاغريقية المعادية له او المدن القرطاجية .

ان اعتدا ء اغاثوكليس علي المدن القرطاجية او التي هي في حمايتها مثل اجريجانت كان بداية لتجدد الصراع بين القرطاجيين والاغريق في صقلية .وسيلعب اغاثوكليس في هذا الصراع دورا لا يقل عن الدور الذي لعبه دونيس من قبله . ولقد اصبحت قرطاجة نتيجة سياسة اغاثوكليس في صقلية مرغمة علي الدخول في حرب جديدة ضد الاغريق . فقد ارسلت في اوائل سنة 311 ق . م . اسطولا بحريا الي صقلية تمكن من وضع اقدامه علي هضبة "الاكنوم" عند مصب نهر هيميراس بين اجريجانت وجيلا . وفي نفس الوقت ارسلت فرقة من اسطولها تقدر بحوالي خمسين (50) سفينة لتظهر امام سيراكوز . اما قوات اغاثوكليس فقد كانت متمركزة علي الضفة الشرقية لنهر هيميراس و وقع اللقا ء بين الطرفين في صيف عام 311 ق . م . (16)

وكانت نتيجة هذا اللقاء الاول انهزام اغاثوكليس وتراجعه ثم لجوئه الي سيراكوز . اما القوات القرطاجية التي كان يقودها املقار بن جيسكون (غير املقار الذي سبق ذكره) فقد تابعت زحفها نحو الجهات الشرقية من الجزيرة . ويقول جزيل بان سكان المناطق التي اجتازتها القوات القرطاجية وحتي تلك التي كان سكانها من الاغريق قد اسرعت الي تقديم الولا ء للقائد القرطاجي ، الذي عاملها معاملة حسنة (17) .

لقد ادرك اغاثوكليس عجزه عن مواجهة القرطاجيين ويبدو ان معاملته السيئة لبني قومه من الاغريق زادت من سوء وضعه ولم يستطع استمالتهم اليه كما فعل دونيس قبله . يضاف الي ذلك بان الجيش القرطاجي بعد ان دعم نفسه بعدد اخر من المرتزقة والحلفاء الصقليين اصبح قوامه خمسة واربعين (45) الف جندي (18) . ونتيجة لكل هذه العوامل ادرك اغاثوكليس

اغاثوكليس انّ الوضع في غير صالحه ولذلك بادر باللجوء الى سيراكوز ووضعها في حالة حصار او بالاحرى في حالة استعداد للحصار . كما ادرك من جهة ثانية خطأ سياسته المنية على التسلط وتحقيق اطماعه عن طريق القوة . فالاغريق كانوا ينبذونه وقد اخرجوه من سيراكوز ، ولم يتمكن من العودة اليها الا بمساعدة لو املقار القرطاجي . وهاهو يتنكر للقرطاجيين ويناصبهم العداء . ونتيجة لتلك السياسة فقد اصبح سجينا محاصرا في سيراكوز لذلك عليه ان يستخدم العقل والتأمّل للخروج من المازق ويجنب نفسه الوقوع في كارثة محققة .

فالقرطاجيون يحاصرون ~~يسولكوز~~ سيراكوز ويكادون يسيطرون على كامل الجزيرة . واعداؤه في الداخل يتربصون به والمدينة لا يمكن ان تتحمل الحصار لمدة طويلة . ولا شك ان اغاثوكليس لم يكتف بتقييم الموقف في جزيرة صقلية بل امتد تفكيره الى ما وراء البحر الى بلاد المغرب ، الى الاراضي القرطاجية نفسها . فكان قرطاجة عبارة عن طبقة ارستقراطية تجارية زراعية لا يجيدون القتال فاعتمادهم في الحروب على المرتزقة وقد بعثوا بهم الى صقلية . اما حلفاء قرطاجة من المغاربة فمن الممكن ان يتحولوا الى اعداء لها ويصبحون مرتزقة لمن يقدم لهم عطاء افضل واغراء هم بالغنائم . ومعنى هذا ان ليس لقرطاجة جيش يدافع عنها واذا ما تعرضت لخطر ما ، فان جيشها المرابط بصقلية سيضطر للعودة .

انه تحليل سليم للموقف يدل على ذكاء وحنكة سياسية . ونتيجة لهذا التحليل فقد قرر اغاثوكليس القيام بمغامرته المتمثلة في حملته العسكرية على بلاد المغرب . ومن الواضح ان اغاثوكليس كما يرى جزيل[19] لم يكن يستهدف من وراء حملته تلك الى احتلال مدينة قرطاجة حيث كان يعلم ان المدينة جيدة التحصين وان امكانياته لا تسمح له بمهاجمتها او محاصرتها لمدة طويلة . وانما غرضه يتمثل في فك الحصار عن سيراكوز وانسحاب الجيوش القرطاجية من جزيرة صقلية وان تتخلى له قرطاجة او على الاقل تعترف بسلطته على الاجزاء الشرقية عن طريق معاهدة صلح[20] بينما مقابل عودته الى صقلية .

الفصل الثاني

اغاثوكليس في بلاد المغرب

1- الشروع في الحملة

لقد احاط اغاثوكليس مشروع الحملة بسرية تامة واستطاع ان يحصل على الاموال اللازمة لتنفيذ مشروعه بشتى الوسائل ولكن بطرق لا تكشف عن نواياه . فقد انقض على اموال اليتامى بحجة الحفاظ عليها واقترض من كبار التجار وطلب من النساء حليهم وسلب المعابد واستولى على اموال الاغنياء واظهر للناس انه قام بذلك العمل ليمكن المدينة من مقاومة الحصار القرطاجي (1) . ويقول جزيل نقلا عن جوستان بانه عمل على تجنيد عدد كبير من المدافعين، وحرر العبيد الذين يقدرون حمل السلاح (2). وبعد ان استكمل استعداداته أوكل امر سيراكوز الى اخيه "انتاندروس" ولم يبق له الا التفكير في الوسيلة التي تمكنه من الخروج من المدينة واختراق الاسطول القرطاجي المحاصر لها .

ان احداث ثغرة في خط الحصار القرطاجي امر غير ممكن نظرا لعدم تكافؤ القوتين ثم ان مثل هذه المحاولة من شانها ان تمكن القرطاجيين من التسلل الى داخل المدينة اثناء عملية المطاردة وعليه فلا بد من الانتظار ريثما تأتي الفرصة المناسبة . ولم يطل انتظار اغاثوكليس، ذلك ان قافلة من السفن الاغريقية برزت في المياه المجاورة لسيراكوز فاتجهت نحوها مجموعة من قطع الاسطول القرطاجي المحاصر لسيراكوز باعتقاد ا منها انها جاءت لنجدة المدينة فادى ذلك الى احداث ثغرة في خط الحصار المضروب سمح لسفن اغاثوكليس من الافلات الى عرض البحر (3) .

انطلق اغاثوكليس بستين (60) سفينة على متنها اربعة عشر الفا (14000) من الجند منهم : 3500 من السيراكوزيين والباقي عبارة عن مرتزقة من الاغريق والسامنتيين (4) والاتروسك والغاليين، مقتصرا على الرجال دون الخيل مستعيضا عنها بعد تها حتى لا يكبر من حجم الحملة بحيث تتمكن من

من الافلات بسهولة من الحصار الذي كان مضروبا حول المدينة. وقد شارك في الحملة ابناه : " ارخاغانوس" و "هيراقليدس" (5)

لقد اثار عمل اغاثوكليس الكثير من التساؤلات في سيراكوز، فالى اين يريد الاتجاه ياترى ؟ أالى جنوب ايطاليا للقيام بعمليات السلب ؟ أم الى المدن القرطاجية في غرب صقلية وهي جزيرة سردينيا ؟ فاذا كان القصد الثاني هو الذي يريده اغاثوكليس فان ذلك يعتبر مغامرة جنونية(6) . لأن سيطرة القرطاجيين التي تكاد تكون كاملة على الجزيرة لا تسمح بأي حال من الاحوال لاغاثوكليس بتحقيق غرضه ذلك .

كان القرطاجيون يعتقدون ان سفن اغاثوكليس انما هي ذاهبة لمساعدة السفن الاغريقية ولذلك انتظموا استعدادا للمعركة . الا أن قافلة اغاثوكليس لم تتجه الى حيث كان ينتظر القرطاجيون بل واصلت سيرها في عرض البحر فتفطن حينئذ القرطاجيون للخطة وادركوا خطأهم في عدم اعتراضهما، وبدأوا في مطاردتها .

ويقول جزيل بأن انشغال القرطاجيين بمطاردة سفن اغاثوكليس اتاح الفرصة للسفن الاغريقية كي تدخل ميناء سيراكوز (7) . وواصل القرطاجيون مطاردة اغاثوكليس ولكن بدون جدوى، حيث تمكن من عبور البحر والنزول بالشواطئ المغربية بعد سبعة ايام من الابحار . ويقول ديودور الصقلي بأنه في اليوم الاخير تمكنت طلائع القطع البحرية القرطاجية المطاردة لاغاثوكليس من اللحاق به قرب الشاطئ القرطاجي والتحمت معه في معركة غير متكافئة كان النصر فيها حليف اغاثوكليس نظرا للقلة القوات القرطاجية المشاركة (8) . واذن فقد نجحت المرحلة الأولى من مغامرة اغاثوكليس والمتمثلة في النزول بالاراضي المغربية وتهديد قرطاجة في عقر دارها .

وعلى الرغم من عدم اقتناعنا بصحة الكثير من المعلومات الواردة في هذه الرواية - رواية الجبور - لاحتوائها على عناصر الصدفة (عبور السفن الاغريقية كسوف الشمس ... الخ) الا أننا لا نستطيع طرحها لعدم توفرنا على مصادر بديلة تسمح لنا بالمقارنة واستقصاء الحقيقة .

ب - اغاثوكليس في بلاد المغرب

بناء على رواية ديودور الصقلي الذي يعتبر المصدر الأساسي لحملة اغاثوكليس على بلاد المغرب، فان هذا الاخير - اي اغاثوكليس - بعد انتصاره على طلائع القرطاجيين وتمكنه من النزول بالساحل القرطاجي عمد الى احراق سفنه. وقد فسر ديودور الصقلي تصرف اغاثوكليس هذا بانه لم يرد اضعاف جيشه الصغير (14 الف جندي) بترك قسم منه لحراسة تلك السفن ومن جهة اخرى لم يرضه ان يترك سفنه تقع غنيمة في ايدي القرطاجيين[9]. والسبب الثالث ولعله السبب الرئيسي هو قطع كل امل في العودة على جنوده بحيث لايبقى امامهم الآن يقاتلوا أو يقتلوا.[10] وهذا التصرف يذكرنا بقصة عبور طارق بن زياد الى الاندلس وحرقه لسفنه. ولسنا ندري ما اذا كان هذا التوافق من باب الصدفة، ام ان طارقا كان على علم بعمل اغاثوكليس عن طريق القصص الشعبي، الذي يبدو انه كان يتناقل هذه القصة. ثم ان هناك سببا آخر لمح اليه ديودور الصقلي، وهو ان احراق اغاثوكليس لسفنه كان من قبيل التقرب للالهة "ديميتر" الالهة صقلية لانها انقذت الاغريق من قبضة القرطاجيين[11]. وايا كانت الدوافع التي دفعت اغاثوكليس الى احراق سفنه وهل ان عملية الاحراق هذه وقعت فعلا ام انها كانت من قبيل الاشادة بروح المغامرة وشجاعة الاغريق فالمهم ان اغاثوكليس قد نزل ببلاد المغرب. وكان نزوله حسب جزيل بالقرب من راس بون (الراس الطيب) وبعد ان احرق سفنه انطلق بجنوده نحو الاراضي القرطاجية وكانت قريبة منها لوسوليس (ليبية حاليا ؟) اولى اهدافه[12] ولم تقاوم طويلا وسقطت في ايدي قوات اغاثوكليس ويعلل جزيل سرعة السقوط بعامل المفاجأة وعدم خبرة السكان بالقتال[13]. وبعد سقوطها تعرضت للسلب من طرف جنود اغاثوكليس. والراجح انه منذ هذه الغزوة الاولى في الاراضي القرطاجية شرع اغاثوكليس في تجهيز جيشه بما كان ينقصه وخاصة الخيول. اما الهدف الثاني فكان مدينة ذكرها

ذكرها جزيل باسم "تينيس البيضاء" ولم يحتفظ بها على عكس رغبة جنوده بل قام بتدميرها واقام معسكره في الخلاء بعيدا عنها [14].

وللمرء ان يتساءل عن مكان وجود هاتين المدينتين اللتين اخذهما الاغريق وهما : ميغالوبوليس وتينيس البيضاء . فاذا كان الاسم الاول ينطبق على مدينة قليبيق الحالية نظرا لقربها من المكان الذي نزل به اغاثوكليس (راس بون) فان المدينة الثانية اي تينيس البيضاء تبقى موضوع تساؤل، ذلك أن ديودور الصقلي يقول عنها بانها تبعد عن قرطاجة بحوالي الفي (2000) "ستاديوم" [15]، وهي مسافة تتراوح ما بين 294 و384 كم . وهي كبيرة جدا اذا المقصود بـ "تينيس هذه" تونس الحالية . وقد استبعد جزيل ان تكون تينيس هذه هي تونس الحالية، وذلك عكس مايراه "تيسو" [16] — Tissot

ولكن اذا افترضنا ان المسافة التي عناها ديودور الصقلي هي مائتى (200) ستاديوم بدلا من الفين، وان الخطأ وقع في النسخ فان المسافة المذكورة تصبح تتراوح مابين 29،4 و 38،4 كم بين قرطاجة وهذه المدينة، اي تينيس البيضاء وهي تنطبق تقريبا على المسافة بين تونس الحالية وقرطاجة [17].

اما كلمة "البيضاء" فليس بالضرورة انها تعني التمييز بينها وبين مدينة اخرى تحمل نفس الاسم ولعلها الاصل في تسمية تونس الحالية .

ب — الانتصار الاول لاغاثوكليس

لقد اثار نزول اغاثوكليس بالاراضي القرطاجية موجة من الخوف والذعر واعتقد سكان قرطاجة ان كارثة قد حلت بقواتهم في صقلية اذ لو لم يكن اغاثوكليس قد انتصر عليها، لما كان بوسعه عبور البحر والنزول بالاراضي القرطاجية بهذلك العدد "الكبير" من القوات (14 الف جندي) لو كانت قواتهم هي المسيطرة على البحر [18] وهو تفسير منطقي .

فاجتمع مجلس الشيوخ القرطاجي للنظر فيما يجب القيام به وقد اشار البعض بارسال

وفد للتفاوض مع اغاثوكليس ومعرفة قصده في حين اشار البعض الآخر بالتريث والانتظار وحتى يمكن معرفة اكبر قدر من المعلومات عن عدد الغزاة [19] . الا أن وصول البحارة القرطاجيين الى قرطاجة واطلاع السكان على حقيقة الامر اعاد الطمأنينة الى النفوس . وبدأت قرطاجة تفكر بجد وتستعد لمجابهة الغازي . فجندت جنودا من سكانها (سكان المدينة) حوالي اربعين (40) الف جندي وفارس وقد عسكرت القوات القرطاجية حسبما ذكره جوستين في التلال المجاوره للمكان الذي كان يعسكر فيه اغاثوكليس . وربما كان ذلك بالقرب من مدينة قرطاجة لأن القوات القرطاجية بعد انهزامها لاذت بالفرار الى المدينة فرغم التفوق العددي للقرطاجيين الا انهم انهزموا في هذا اللقاء الاول مع اغاثوكليس . ويعتبر هذا اول انتصار هام يحققه هذا الاخير في الاراضي القرطاجية . ويقول ديودور الصقلي الذي يعتبر المصدر الرئيسي لحملة اغاثوكليس بان القرطاجيين خسروا في هذه المعركة سابين الف (1000) وستة (6000) الاف رجل في حين لم يفقد الاغريق الا مائتي (200) رجل . اما جوستان فيعطي اعدادا متقاربة وهي : ثلاثة الاف (3000) من القرطاجيين والفين (2000) من الاغريق [20] . وتبدو رواية جوستان اقرب الى الحقيقة اي الى الصحة نظرا لتقارب عدد القتلى من الطرفين . اما رواية ديودور فيبدو فيها عنصر المبالغة سواء من حيث القتلى بالنسبة للاغريق او الكثرة بالنسبة القرطاجيين . وايا كان عدد القتلى من الجانبين فالمهم ان النصر كان الاغريق . ولم يعط ديودور الاسباب الحقيقية لهزيمة القرطاجيين . ويعزو سبب الهزيمة الى قائدي الجيش القرطاجي : حنون وبوملقار اللذين كانا من عائلتين متنافستين . وان بوملقار كان يسعى الى الاستئثار بالسلطة في قرطاجة . وان تحقيق الانتصار يجعل مواطنيه ليسوا بحاجة اليه فيما بعد ، مما لا يمكنه من تحقيق مشروعه [21] . انه احتمال مقبول نسبيا ، ولكن الاحتمال المضاد ربما يكون اكثر قبولا في ظل الظروف التي كانت تعيشها قرطاجة . ان هزيمة القرطاجيين امام قوات اغاثوكليس قد تمكن هذا الاخير من احتلال المدينة ولا يمكن ان نتصور بان قائدا يسعى للاستئثار بالسلطة يمكن عدوه من

من الانتصار عليه . ثم ان انهزام الجيش القرطاجي قد يجعل مجلس الشيوخ يغيّر القيادة . وبذلك تنجح مساعي بوملقار ماذا اخذنا رواية ديودور الصقلي بعين الاعتبار بالحسم الا اذا افترضنا ان هناك اتفاقا مسبقا بين اغاثوكليس وبوملقار . وان هذا الاخير قد يستغل الظروف ويرغم مجلس الشيوخ على ان يفوضه السلطة الكاملة . وهذا امر مستبعد في مثل تلك الظروف .

ويبدو ان السبب الحقيقي في هزيمة القرطاجيين يرجع الى أنّ قواتهم المجندة لم تكن قوات محاربة وانما جل افرادها من عامة الناس الذين لا يجيدون اغلبهم فنون الحرب وهذا ما تشير اليه الرواية بكون قرطاجة جندت تلك القوات على عجل ودون اختيار ومن المعسكر وان القرطاجيين او بالاحرى سكان مدينة قرطاجة كانوا من الطبقة الارستقراطية أو من العبيد وأنّ الجيوش القرطاجية كانت من المرتزقة او من المحاربة الحلفاء (النوميديين) .

لقد ترك ذلك الانتصار آثارا سيئة لدى القرطاجيين خاصة من الناحية النفسية لدرجة أنهم اعتقدوا ان سبب هزيمتهم يرجع الى غضب الآلهة لانهم لم يقدموا لها ما تستحق من القرابين والتضحيات ولذلك بادروا الى اضافة القرابين حتى لا تتكرر المأساة من جديد . كما بعثوا الى القائد الملقار المرابط بصقلية يطلبون منه النجدة ، حيث امدهم بعثوا لي خمسة (5000) الاف رجل (23) .

لقد مكن ذلك الانتصار اغاثوكليس من توسيع دائرة نشاطه وكان من نتيجة ذلك ان خضعت له مجموعة من المدن والقرى الموجودة في المنطقة ، اما لكراهيتها لقرطاجة او لخوفها من اغاثوكليس كما يرى جزيل ، وان كان العامل الثاني هو الاكثر احتمالا لأنّ تلك المدن والقرى كانت تعتمد على الحماية القرطاجية ولذلك رات نفسها مجبرة على الاستسلام او التحالف المصطنع مع اغاثوكليس لانه لم يكن لديها من القوة ما يمكنها من الدفاع عن نفسها (24) .

لقد تمركز اغاثوكليس قرب تونس (كلم 51) المدينة ويفسر جزيل اختيار اغاثوكليس لهذا المكان بانه اراد بذلك اثارة الرعب في قلوب اعدائه بانشاء

معسكره مقابل اسوار مدينة قرطاجة وربما ايضا ليقطع عنهم خطوط التموين عن طريق البر (25) وعزلهم عن حلفائهم . والواقع ان هذا التفسير مقبول جدا ويمكن ان نضيف اليه نقطة اخرى وهي مراقبة التحركات العسكرية لقرطاجة . الا أن اغاثوكليس لم يجرؤ على محاصرة المدينة (قرطاجة) ؛ الا انه قام في تلك الاثناء بعدة حملات قادته الى نيابوليس (نابل) وهادروميت (سوسة) ثم ابرم معاهدة (؟) مع احد الزعماء المغاربة وتسميه المصادر القديمة "ايليماس" وتقول عنه بانه ((ملك الليبيين)) (26) . والوضع ان لفظة "ملك" استعمالها هنا ليس في محله لان المنطقة كانت خاضعة كليا لسلطة قرطاجة السياسية .

واثناء غياب اغاثوكليس عن معسكره بالقرب من تونس قام القرطاجيون بمهاجمة الحامية الموجودة به واستولوا عليه ورغم ان الانتصار لم يكن كبيرا الا انه كان بداية لاعادة الثقة الى القرطاجيين . والظاهر ان اغاثوكليس كان في تلك الاثناء يحاول فرض حصار على مدينة "حضروميت" و هادروميت (سوسة)، اذ عندما علم بمهاجمة القرطاجيين حاميته المرابطة بتونس (المدينة) قام بمناورة عسكرية اوهم فيها القرطاجيين بانه عائد الى تونس بحيث عمد الى اشعال النار في نقاط مختلفة من جبل زغوان الفاصل بين تونس وحضروميت (سوسة) بحيث ترى من المدينتين في نفس الوقت ، فاوهم بذلك اهل قرطاجة بانه عائد الى تونس ولاهل حضروميت بان امدادات كبيرة اتية لمساعدته (27) . ويبالغ ديودور الصقلي في وصف الهلع والرعب الذي اصاب المدينتين الى درجة ان القوات القرطاجية المرابطة بتونس والتي سبق لها ان استولت على معسكر اغاثوكليس اضطرت الى الفرار تاركة اسلحتها وامتعتها (28). والواقع انه اذا اخذنا المعطيات الجغرافية بعين الاعتبار، فسرعان ما يظهر عنصر المبالغة ؛ ذلك ان جبل زغوان ـ وهذا اعتمادا على راي تيسو لان ديودور صاحب الرواية الاصلية لم يذكر اسم الجبل ـ يقع على بعد حوالي 52 كم من تونس المدينة ، بينما المسافة بين تونس وقرطاجة لا تتجاوز 18 كم وهذا معناه انه كان امام القوات القرطاجية الوقت الكافي للانسحاب بكل

عدو ويساند انها كذلك اخذ كامل معداتها واسلحتها ، ولهذه الاعتبارات ، فاننا نشك في فكرة الفرار التي اشار اليها ديودور ، كما ان المسافة بين جبل زغوان وحضرموت (سوسة) تقارب نحوا من 75 كم اي ما يعادل مسيرة يومين اويوما ونصف على اقل تقدير ولا نعتقد ان اغاثوكليس يكلف نفسه مشقة السير لمدة ثلاثة ايام بين الذهاب والاياب من والي حضرموت من اجل مجرد ايهام القرطاجيين بانه عائد الى تونس ، والمرجح انه ظل محاصرا لحضرموت والتي يبدو انها سقطت في قبضته ، حيث اورد جزيل نقلا عن ديودور الصقلي ما نصه : ((... ونتيجة لامتلاكه مدينة حضرموت فانقس اغاثوكليس على مدينة تابسوس (رأس ديماس) ومجموعة اخرى من المدن الواقعة في تلك الناحية ...)) [29]. ولم يكتف بذلك بل اتجه نحو الاماكن الداخلية من ليبيا [30].

ويبدو ان هذه الانتصارات لم تكن ذات اهمية كبيرة بالنسبة لاغاثوكليس ، حيث كان محور حملته مدينة قرطاجة ومنطقتها كما ان توغله في الجنوب ساعد القرطاجيين على استعادة بعض المراكز التي كان قد احتلها من قبل ضرب مدينة قرطاجة وحاصروا تونس من جديد بعد ان وصلتهم بعض النجدات من صقلية [31] . ونتيجة لهذا الوضع الذي لم يعد في صالح اغاثوكليس فقد اسرع هذا الاخير بالعودة الى منطقة قرطاجة . واعتمادا على رواية ديودور دائما فقد تمكن من مباغتة القرطاجيين وقتل منهم حوالي الالفين (2000) واسر عددا مماثلا [32] .

والظاهر ان هذا الهجوم المباغت استهدف المدنيين من الفلاحين ، الذين شعروا بنوع من الامن فعادوا لخدمة الارض ، لأن ديودور يقول ((... انهم كانوا منتشرين في الحقول ...)) [33]. كما ان الامير الليبي "ايليماس" الذي سبقت الاشارة اليه وقع ضحية لهذا الهجوم بعد ان تخلى عن محالفة اغاثوكليس على مايبدو .

لقد وقعت كل هذه الحوادث الخاصة حسب رواية ديودور الصقلي ، في نفس السنة التي نزل فيها اغاثوكليس بالاراضي القرطاجية مابين صيف

عام 310 وصيف 309 ق . م . (34)

ان المتتبع لهذه كما رواها ديودور الصقلي بشيء من التمعن ويحاول فحصها على ضوء العقل والمنطق، يلاحظ بجلاء ، انها لا تخلو من التحيز والمغالاة ، وانها تفتقر الى الموضوعية التاريخية . ومع اننا لا نريد تجريد المؤرخ ديودور من ذاتيته كاغريقي يتحدث عن بني قومه في ارض عدوهم الآن مع الختمه في هذه الذبابية طغت على سير الحوادث ، طابع الصدفة وجردتها من الطابع التاريخي حيث تتوالى الاحداث وفق علل ومعلولات وان كان ذلك لا يمنع من وجود عناصر الصدفة في بعض الاحيان .

فاعبور السفن الاغريقية في سواحل سيراكوز صدفة مكّن اغاثوكليس من الفرار منها ، والنزول بالاراضي القرطاجية . وعودة اغاثوكليس من جنوب تونس (من حضرميت) الى ضواحي قرطاجة ليلا ليجد نفسه صدفة امام جموع من القرطاجيين (وان كانوا من المدنيين الفلاحين كما رجحنا) فوسعهم قتلا واسرا . وكان قرطاجة ليس بها عيون تراقب تحركات العدو وان اهلها ينامون مل ء جفونهم والعدو يصول ويجول في ارضهم ، ثم اطلقار المرابط بصقلية يفاجأ ويقتل ثم يرسل راسه الى اغاثوكليس ليعرضه على اهل قرطاجة ، مع ان المستفاد من الروايات والاحداث ان سيطرة قرطاجة في هذه الفترة تكاد تكون كاملة على جزيرة صقلية اما على البحر التيراني فهي سيطرة غير قابلة للنقاش . . : . واذن فكيف يتمكن الاغريق من عبور البحر واحضار راس اطلقار لاغاثوكليس .!؟

ان الكثير من الاخبار الواردة في هذه الرواية تتميز بطابع مسرحي درامي من ذلك مثلا ، الخلاف الذي وقع بين اغاثوكليس وجنوده ، حيث لم تكن لديه الاموال ليدفع لهم رواتبهم مما دفع بهم الى التذمر وعدم التزام النظام الانضباط ، فيصوغ ديودور سبب الخلاف في قالب مسرحي ، بحيث ان الخلاف ظهر نتيجة سخرا احد النبلاء يدعى "ليكيسكوس" وسبه لاغاثوكليس واتهامه ... اغاثوس ابن اغاثوكليس بانه عشيق لزوجة ابيه " الكسيا " فينتهي المشهد بقتل ليكيسكوس الذي ينتصر له اصدقاؤه ويطالبون بمعاقبة القاتل ،

وحوار خاغاثو سن هتازم الموقف ويتمرد الجيش ويوضع اغاثوكليس وابناءه تحت الحراسة : فيستغل القرطاجيون ويحاولون استمالة جنود اغاثوكليس الى صفوفهم . الآن الموقف ينتهي بمشهد مسرحي آخر عندما يظهر اغاثوكليس امام جنده في ثوب رث معلنا عن استعداده للموت اذا كان ذلك يفيد رفاقه في السلام . وبعد ان يذكرهم بأعماله الماضية وانتصاراته يستل سيفه موهما اياهم بالانتحار وهنا ينقلب غضب الجند الى حماس وصياحهم الى تاييد له وينتهي المشهد بالتصفيق (35) .

واذا ما اخذنا هذه الرواية بعين الاعتبار فيمكن ان نستخلص منها حقيقتين :

الاولى : هي ان سبب الخلاف بين اغاثوكليس وجنوده ناتج عن عدم تسلمهم لأرواتبهم نظرا لعدم توفر الاموال .

الثانية : هي حنكة اغاثوكليس السياسية وقدرته في التغلب على المشاكل واستبدال غضب جنوده عليه وصياحهم له برضاهم عنه وانصياعهم لأوامره الا ان الرواية لا تخلو من بعض التناقضات اذا ربطناها بما سبقها وما يليها من الاحداث .

فقضية نقص الاموال بالنسبة لاغاثوكليس تتناقض مع الانتصارات التي حققها وما تجمع لديه من الغنائم نتيجة ذلك . ثم ما قضية الغفلة التي يتسم بها القرطاجيون فبعد ان يقضي اغاثوكليس على الخلاف داخل جيشه يقوده ويتجه به نحو القرطاجيين ويباغتهم على اساس انهم كانوا يعتقدون ان القوة القادمة نحوهم انما هم جنود اغاثوكليس الذين فضلوا الانضمام اليهم .

فالقرطاجيون لم يكونوا بهذه السذاجة التي توحي بها الرواية فلا شك ان عيونهم كانت تراقب كل مايجري في المعسكر الاغريقي ، والا كيف نفسر علمهم بالخلاف الذي وقع بين اغاثوكليس وجنوده في حين يجهلون المصالحة التي تمت !؟

د - الهزيمة الأولى لقوات اغاثوكليس

بعد هذه الاحداث يشير ديودور الى معركة وقعت بين قوات اغاثوكليس والقرطاجيين ولكن يبرر هزيمة الاغريق فقد عزا انتصار القرطاجيين الى عاملين : احدهما جغرافي والثاني ظرفي .

اولا : تمركز القرطاجيين بمكان صعب تحيط به الشعاب مما جعل تقدم قوات الاغريق نحو معسكر القرطاجيين في غاية الصعوبة .

ثانيا : فكرة انفصال النوميديين المجندين في كلا الجيشين (القرطاجي والاغريقي) وانتظارهم النتيجة النهائية للمعركة لكي ينضموا الى الجانب المنتصر وينقضوا على امتعة الطرف المنهزم : ثم يضيف المؤلف بان هؤلاء اي النوميديين فضلوا الانقضاض على معسكر اغاثوكليس (36) لابتعاد جنوده عن مقر المعسكر ويبدو التناقض واضحا في رواية المؤلف (ديودور الصقلي) خاصة في هذه الفقرة : ((. . . وقد قرر النوميديون بان الفرصة قد حانت لتنفيذ خطتهم) ولكنهم لا يستطيعون الانقضاض على امتعة القرطاجيين لان المعركة كانت تدور في تلك الجهة - جهة المعسكر القرطاجي - ولذلك اتجهوا نحو معسكر الصقليين الذي ابتعد عنه اغاثوكليس ابتعادا كبيرا والذي ترك تقريبا بدون دفاع ، وقد دخلوه بكل سهولة واستولوا على عدد كبير من الاسرى والاشياء الثمينة .)) (37)

ولو توقفنا قليلا عند هذه الفقرة لادركنا بوضوح ان المؤلف حاول اخفاء بعض الحقائق او انه كان على جهل بسير الاحداث وانه اعتمد في معلوماته على بعض الرواة من جيش اغاثوكليس والذين حاولوا اخفاء الحقيقة .

اولا فكرة انفصال النوميديين عن الجيشين المتحاربين وخاصة عن الجيش القرطاجي ، فحسب المعلومات المتوفرة لدينا وان النوميديين كانوا يشكلون القوة الهامة في الجيش القرطاجي سواء كجنود مأجورين او حلفاء (38) لانهم كانوا دائما يشكلون مجموعة الفرسان التي تلعب الدور الرئيسي في الهجوم .

ولذلك فاننا نعتقد بان انفصال النوميديين عن الجيش القرطاجي لم يكن

نتيجة الاسباب التي ذكرها المو لمف(ديودور) وانما يرجع لخطة عسكرية متفق عليها بحيث تدع القوات الاغريقية بين طرفي كماشة او على الاقل لتتشتت عندما تعلم ان النوميديين هاجموا المعسكر .ففي اعتقادنا ان هذا هو السبب الحقيقي لهزيمة الاغريق وليس الموقع الجغرافي الذي كان يحتله الجيش القرطاجي والذي ركز عليه المو لمف وان كان ذلك لايخلو وكونه عاملا ساعدا .

ثانيا [111]: التناقض الملاحظ في كون المعسكر الاغريقي ترك بدون دفاع في حين ان النوميديين المهاجمين يأسرون عددا كبيرا فيه .

الفصـــــــــــل الثـــــــــالــث

اغـــــريق ليبيـــــا وحمـــــلة اغـــاثـــوكليـــــس

لقـــد ادى هـذا التطور الانتصار الذي حققه القرطاجيون في هذه الفترة الى تدهور وضعية اغاثوكليس في الاراضي القرطاجينة خاصة بعد ما داب الشقاق . اذا ما اعتبرنا رواية ديودور السابقة في صفوف جيشه . ولذلك فكر في الاستفادة من اغريق ليبيا مغريا اياهم بمشاركتهم في الامبراطورية التي سيكونها في بلاد المغرب .

وقد كان لاوفيلا س حاكم قورينة من قبل بطلميوس (ـ 1) ملك مصر جيش على جانب كبير من الاهمية (2) . ولذلك فقد اوفد اغاثوكليس احد اعوانه يدعى " اورتون " الى قورينية ليحرض على حاكمها اوفيلا س فكرة المشاركة في : ((حرب افريقيا ضد القرطاجيين)) (3) متعهدا بان يترك له ليبيا (بلاد المغرب) بعد القضاء على القرطاجيين لأن هدفه كان اغاثوكليس — هو الاستيثار بصقلية (4) . وقد بدا العرض ولا شك مغريا لاوفيلا س واغريق ليبيا الذين كثيرا ما كانت تستهويهم الاراضي القرطاجية وتعاظم القوة القرطاجية التي طالما وقفت امام محاولاتهم الرامية الى التوسع نحو الجهات الغربية (5) .

والظاهر ان اوفيلا س اقتنع براي اغاثوكليس وصدق مزاعمه في التخلي له عن بلاد المغرب بعد تحقيق النصر ضد القرطاجيين . ولذلك عمل على ان تكون الحملة في مستوى المهمة المراد تحقيقها . فلم يكتف بما عنده من الجند في قورينة وارسل مبعوثين الى اثينة لتجنيد شجع من المرتزقة ولم يجد المبعوثون صعوبة في الحصول على مايريدون من المغامرين الذين كانت تدفعهم الاطماع للحصول على غنائم وامتلاك اراضي بلاد المغرب (ليبيا) (6) . وعندما انتهى اوفيلا س من الاستعداد لهذه الحملة التي كان يعقد عليها امالا كبيرة في تحقيق حلم الاغريق المتمثل في استكمال الامبراطورية العالمية التي كان الاسكندر الكبير (المقدوني) قد شرع في انشائها (7)، غادر

قورينة في منتصف عام 309 ق . م [8] متوجها نحو الاراضي القرطاجية .

وكانت هذه الحملة تتكون - اذا ما صحت الروايات - من عشرة (10) الاف جندي من المشاة وست مائة (600) فارس ومائة (100) عربة علي متنها حوالي ثلاث مائة (300) محارب الي ان الحملة كان قوامها حوالي احدي عشر الف (11000) محارب ، يضاف اليهم حوالي عشرة الاف (10000) من المدنيين[9] من رجال ونساء واطفال ، اي ان الحملة كانت عبارة عن مستوطنة متنقلة مما يدل علي ان هناك نية في انشاء مستوطنة بالاراضي القرطاجية بعد تحقيق الانتصار الذي يبدو انهم كانوا متاكدين منه . ولم لا ؟ فهذا اغاثوكليس بجنوده الاربعة عشر الفا (14000) والذي يحارب في ارض العدو بعيدا عن مراكز تموينه يحقق الانتصار تلو الاخر علي حساب القرطاجيين ، فما بالك اذا ما انضمت هذه الحملة التي قوامها حوالي عشرين الفا الي قوات اغاثوكليس فانها ولا شك ستقضي نهائيا علي القوة القرطاجية ...

فالواضح ان تنقل حملة بهذا الحجم سيكون ولا شك بطيئا اذا اعتبرنا الظروف الطبيعية الصعبة المتمثلة في الصحراء . ولذلك فقد استمرت رحلتها حوالي شهرين ولا شك ان الحملة كانت في غاية الصعوبة حيث المنطقة صحراوية والوقت صيفا .

عندما وصل اوفيلاس الي الاراضي القرطاجية (تونس) اقام معسكره بالقرب من المكان الذي يعسكر فيه اغاثوكليس ، ولم يوضح ديودور مكان المعسكر . الا انه يستنتج من الاحداث السابقة انه كان بالقرب من مدينة تونس ، ويقول جزيل بان : ((... اغاثوكليس قام بزيارة اوفيلاس وامده بكل ما هو ضروري وطلب منه ان يريح جيشه)) [10].

لقد كان اغاثوكليس يبيت خطة من وراء طلب النجدة من اغريق ليبيا ، تهدف الي تقوية مركزه في المغرب خاصة بعد ان بدأت تظهر بوادر الخلاف في صفوف جيشه بعد ان عجز عن تادية مرتبات جنوده ، من جهة ، ومن جهة اخرى كان من الصعب عليه الحصول علي تجدات من صقلية وذلك لسببين رئيسيين :

1) ان منطقة الاتصال بين قرطاجة وصقلية ~~كانت تحت المراقبة من طرف~~ ======

وصقلية كانت مراقبة من طرف الاسطول القرطاجي وربما كان بالامكان ان تفلت من مراقبته بعض الزوارق والوحدات الصغيرة . اما النجدات الكبيرة فمن الصعب عليها ان تعبر البحر دون ان تثير انتباه الاسطول القرطاجي خصوصا، وانه مايزال يحاصر سيراكوز التي من الممكن ان تكون مصدر تلك النجدة .

2) - ان اغاثوكليس لم يكن متيقنا من ان تمده صقلية بمثل تلك النجدة ، فعلاقته كانت على غير مايرام مع سيراكوز منذ ان طرد الاحزاب الديمقراطية من المدينة ونصب نفسه طاغية عليها ... ولم تكن في سيراكوز شخصية قادرة على تجييش المرتزقة وارسالهم الى بلاد المغرب .

لا شك ان اغاثوكليس كان يدرك هذه الحقائق ومن ثمة وجه انتباهه نحو اغريق ليبيا بدلا من صقلية واعدا اوفيلاس بملك بلاد المغرب بعد القضاء على قوة القرطاجيين والذي استجاب بسرعة لتلك الوعود واغتنام الفرصة لتحقيق ماعجز عنه اسلافه .

وحتى اذا ما افترضنا انه كان يشك في نوايا اغاثوكليس بالتخلي له عن بلاد المغرب فلربما هو ايضا كانت لديه خطة معينة للاستئثار بالسلطة في المنطقة . وعلى كل حال فكلا الرجلان كان يريد الاستفادة من الآخر .

كان اغاثوكليس كما يقول جزيل ((... بحاجة الى رجال وليس الى قادة ...)) [11] ولذلك اغتنم فرصة انتشار جنود اوفيلا في الحقول المجاورة للمعسكر لجمع ما هم بحاجة اليه وامر جنوده بتنظيم هجوم مباغت عليهم واجبرهم على الاستسلام له . وكان القصد من ذلك هو اضعاف اوفيلاس تمهيدا للتخلص منه .

بعد ان تخلص اغاثوكليس من اوفيلاس (308 ق . م .) وضع جنوده امام الامر الواقع ولم يكن يرغب في ان يضمهم اليه بالقوة لأن ذلك من شأنه ان يخلق له بعض المتاعب ولذلك لجأ الى اسلوب الاقناع واعدا اياهم بالانتصارات والغنائم ولم يجد صعوبة في ذلك . فقد كان اغلبهم مرتزقة وكل مايهمهم هو الحصول على رواتب وغنائم [12] . اما فكرة انضمامهم الى القرطاجيين فقد كانت امرا مستبعدا على ما يبدو ويمكن ان نجد له عدة تفسيرات :

Text Stamp

1) لانهم كانوا تحت سيطرة ومراقبة اغاثوكليس لا يمكن ان يسمح لهم بالانضمام الى اعدائه والا فان كل ما جداسدا لهم يذهب ادراج الرياح .

2) وربما لم تكن لهم ثاي جنود اوفيلا س ثقة في نوع العلاقة او المعاملة التي سيعاملون بها في حالة انضمامهم الى القرطاجيين .

3) ــ ان قيمة القيادة بالنسبة لهم ليست امرا مهما ، سواء اكان القائد اوفيلا س اوغيره لانهم لم يكونوا يدافعون عن قضية وطنية .

وحتى يكون اغاثوكليس خفيف الحركة ولا يشتت قواته في توفير الحماية للمدنيين الذين رافقوا حملة اوفيلا س، فقد حملهم في سفن وبعث بهم الى صقلية (الى سيراكوز) حسب رواية ديودور [13] . والواقع ان قضية هؤلاء المدنيين يكتنفها الكثير من الغموض . فتسفيرهم الى صقلية والى سيراكوز بالذات امر محفوف بالمخاطر لان القوات البحرية القرطاجية كانت تراقب الطرق البحرية الرابطة بين بلاد المغرب وصقلية باللهم الا اذا افترضنا أن اغاثوكليس كان ينوي التخلص منهم . ثم لماذا لا يعيدهم الى قورينة ، او يحاولون هم انفسهم العودة اليها ؟ وعلى أية حال فقد كانت نهايتهم سوء سفة حسب رواية ديودور الصقلي . اذ ان مجموعة من السفن التي كانت تنقلهم غرقت بسبب العواصف والبعض الآخر منها قذفت به العواصف والامواج الى خليج نابلي ولم يصل منهم الى صقلية الا افراد قلائل [14] .

لقد اصبح اغاثوكليس يتوفر على جيش قوي وبامكانه الآن ان يحسن من وضعه في الاراضي القرطاجية [15] . وفعلا فقد قام بعدة اعمال منها استعادة سيطرته على مدينة اوتيكا التي حاولت نقض المعاهدة التي كانت قد ابرمتها معه [16] . كما استولى على بنزرت واقام بها عدة منشآت عسكرية واقتصادية ؛ كبناء بعض القلاع وتحسين الميناء واقامة دار للصناعة البحرية كما اورد ذلك جزيل نقلا عن ابيان [17] . وعلى كل حال فقد كانت تلك الاعمال كالزرع في الصحراء .

ان الانتصارات التي حققها اغاثوكليس في الاراضي القرطاجية منذ نزوله بها لم يكن لها الاثر الذي كان يتوقعه (اغاثوكليس) فلا القرطاجيون

Text Stamp

وهنوا وفكوا الحصار عن سيراكوز ولا الاغريق في صقلية اتحدوا لمحاربة القرطاجيين . فقد بقي اغنياء سيراكوز معتصمين في المناطق الجبلية مع القوات الموالية لهم (18). كما ان بعض الكوارث التي حلت بالقرطاجيين في صقلية كمصرع املقار لم تضعفهم كثيرا .صحيح فقد تخلوا عن بعض المواقع الا انهم بقوا محتفظين بمقاطعاتهم في الطرف الغربي من الجزيرة ،كما ان اسطولهم لم يتخل عن محاصرة سيراكوز (19) .

ا — عودة اغاثوكليس الى صقلية

ونتيجة لخيبة الامل هذه فقد قرر اغاثوكليس العودة الى صقلية ربما يحسن من اوضاعها . ومن جهة اخرى فلم يكن لديه ،كما قال جزيل ، ((مايخشى عليه في ليبيا)) (20). فليس ثمة غير ضجة الاف من المرتزقة . لذا عقد لواء قيادة الجيش لابنه ارخاغاثوس بمساعدة (اوماخوس) احد الضباط ،وانطلق عائدا الى صقلية صحبة الفي (2000) رجل من قواته .

قام جيش اغاثوكليس في غيابه بعدة غارات في الاراضي القرطاجية مكنته -حسب رواية ديودور من الاستيلاء على عدد من المدن من بينها : "توكاي (دوجا حاليا) وهي من المدن الكبيرة آنذاك (21) وابرم تحالفا مع النوميديين الذين يسكنون المناطق المجاورة . ثم استولى على بلدة تدعى "الفيلين" واخضع قبائل" الاسفوديل"كما استولى على عدة مدن وقرى اخرى وهي : "مشيلا" و" اكرا ابو"و "اكريس" (22) .

ان اسماء هذه المدن ومواقعها تثير الكثير من التساؤل وتجعلنا قليلي الثقة في هذه الرواية . فاذا كان هناك نوع من الاتفاق على ان توكاي هي دوجا الحالية او مدينة بالقرب منها (23) وان اكرا ابو قد تكون قرية بالقرب من مدينة بنزرت الحالية او هي نفسها وان الموقع الجغرافي لكل منهما ينطبق على المنطقة التي كانت مسرحا للاحداث وكذلك الحال بالنسبة لجماعة الاسفوديل التي يرجح جزيل بانها ربما كانت تسكن منطقة

منطقة جبال خيبر (24)، فان اسماء المدن الاخرى مثل اكريس ومشيلا والفلين (25)
من الصعب تحديدها. فديودور الصقلي لم يحدد موقعها او بالاحرى مواقعها
مواقعها بالتحديد. كما ان اثرها في الوقت الحالي غير معروفة (؟) على حد
معلوماتنا. فالمعروف ان نصب الفلين – وليس مدينة الفلين – حسب رواية
سالوست تقع في اقصى الجنوب التونسي بل الاصح في الاراضي الليبية (26)
والتي كانت تشكل علامة حد بين القرطاجيين والغريق لبيا. اما مشيلا
التي يقول عنها بانها قد انشئت من طرف الاغريق العائدين من حرب
الطروادة فلم يحدد موقعها ويقول عنها جزيل بانها ربما تقع في شمال غرب
تونس (القبلر) او شمال شرق الجزائر (27) قرب الساحل (28).

ومهما يكن من امر فان هذه الغارات التي وصفها ديودور بانها ناجحة
لم تغير من وضعية الاغريق في المغرب بل ان الاحداث المقبلة سوف تكون
لصالح قرطاجة. ويبدو ان الغرض من تلك الغارات الخاطفة كان محددا
وهو تامين ما يحتاجون اليه عن طريق السلب وارهاب السكان الذين كانوا
يظهرون لهم العداء، كما يرى جزيل (29).

وبعد تلك الغارات التي ربما تشكل آخر العمليات الناجحة للاغريق في
الاراضي القرطاجية، اذ سيواجهون بعد ذلك سلسلة من الهزائم ثم توجه اوماخوس
نحو ليبيا العليا (30) وحاول الانقضاض على احدى المدن هناك تدعى "ميلتين"
فانهزم وخسر عددا كبيرا من جنوده، واضطر الى التراجع نحو المناطق
الساحلية. والواقع ان اخبار هذه الحملة غامضة جدا. فديودور الصقلي
لم يذكر اسماء المدن – باستثناء ميلتين هذه – التي استهدفتها الحملة
ولم يبين اتجاهها – اي اتجاه الحملة له ما اذا كان نحو الشرق ام الجنوب.
كما ان المدينة المذكورة "ميلتين" مجهولة الموقع مما لا يسمح لنا بتحديد
المنطقة التي كانت هدفا لهذه الحملة. فجزيل يرى بانه من الصعب تحديد
المنطقة بصفة قطعية. فقد تكون شرق الجزائر؟ الا انه ينقل عن "ميلتزر"
بان هذا الاخير يرى بان المنطقة المقصودة ربما تكون منطقة قفصة بالجنوب
التونسي، وان الساحل المعني هو ساحل سيرت (31) الصغرى. والواقع انّ

هذا الراي يبدو اقرب الى الحقيقة ، او بالاحرى الى الصواب من شرق الجزائر اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الامور التالية :

1) ان المؤرخين الاغريق واللاتين غالبا مايقصدون بليبيا الحليفة المناطق الجنوبية .

2) ـ ان اسم المدينة وهي ميلتين ربما ينطبق على مدينة المتلوي الواقعة جنوب غرب قفصة بالجنوب التونسي .

3) ـ ان المؤرخ لم يذكر منطقة جبلية اعترضت اوماخوس اثناء تحركه نحو الساحل فقد ينطبق ذلك على مجموعة الهضاب الفاصلة بين قفصة ومدينة الغربية القريبة من الساحل .

لا انه من ناحية اخرى يبدو من المستبعد ان يكون اوماخوس قد توغل حتى تلك المنطقة بالجنوب التونسي .

ان تلك الانتصارات التي حققها اوماخوس ان صح ان نسميها انتصارات في المناطق الداخلية ربما تكون الاخيرة . والظاهر ان غياب اغاثوكليس عن الميدان قد اتاح للقرطاجيين فرصة التقنين بعدوه ، وتقييم عام للموقف ، ثم اعتماد الاستراتيجية الملائمة لمجابهة العدو . فقد قسموا قواتهم الى ثلاث جيوش :

ـ الجيش الاول توجه نحو المناطق الساحلية الشرقية ، ولم تذكر المصادر (خاصة ديودور) اسم القائد الذي كان يقوده ويرجح جزيل بانه ربما يدعى "عزربعل" (ادير بال كما ورد في نص جزيل) [32].

ـ الجيش الثاني توجه نحو الداخل ربما الى وسط تونس (القطر) ، وكان بقيادة شخص يدعى حنون [33] .

ـ اما الجيش الثالث فقد توجه نحو المناطق العليا (ربما شمال شرق الجزائر وغرب تونس على حد رأي جزيل)[34]، وكان بقيادة حميلكون .

ويبدو ان هذه الاستراتيجية الجديدة كانت ترمي الى تحقيق هدفين اساسين :

اولا : هو اشاعة نوع من الطمانينة في المناطق الريفية التي كانت هدفا لغارات الاغريق واظهار ان الجيش القرطاجي يسيطر على الموقف ، وانه مستعد

لنجدة حلفاء قرطاجة من القبائل المغربية في حالة تعرضهم لاعتداءات جديدة من طرف الاغريق وبالتالي تضمن قرطاجة استعادة حلفائها الى جانبها خاصة وان البعض منهم كان قد انضم الى الاغريق بدافع الخوف والاغراء.

الثاني : وربما كان الاساسي والاكثر اهمية وهو تشتيت قوة العدو وابعاده عن التركز حول العاصمة . وفعلا فقد انهار الاغريق الى تقسيم قواتهم والابتعاد عن قرطاجة . وكما قال جزيل فقد اثبتت الاحداث صحة تقديرات القرطاجيين [35] وتقييمهم للوضع .

وقد ذكر جزيل هدفا ثالثا وركز عليه وهو ان عملية اخراج تلك الجيوش التي كان قوامها ثلاثين (30) الف رجل كان بهدف التقليل من الافواه المحتاجة الى الطعام داخل مدينة قرطاجة [36] بحجة ان المدينة المخزون من المؤونة بدأ يقل وقد يحاصر الاغريق المدينة فيعرضها ذلك الى كارثة مؤكدة .

وهذا الهدف الاخير الذي ركز عليه جزيل وان كان يبدو مقبولا من حيث الظروف التي كانت تعيشها قرطاجة حيث آوى اليها عدد كبير من اللاجئين الا انه من حيث الواقع يبدو ضعيفا . فقرطاجة لم تكن محاصرة الا في حالات قليلة كما ان قواتها البحرية التي كانت لها السيطرة على البحر كانت تؤمن للمدينة ما تحتاجه من مؤونة .

لقد ادت هذه الاستراتيجية الجديدة التي اعتمدها القرطاجيون الى الحاق هزيمة كبرى بالقوات الاغريقية أو "كارثة" على حد تعبير جزيل [37] ومكنت القرطاجيين من السيطرة على الموقف برا وبحرا . وامام هذا الوضع الجديد الذي اصبحت عليه القوات الاغريقية لم يكن امام قائدها ارخاغاتوس الا ان يطلب النجدة على جناح السرعة .

ولقد كانت هذه الهزيمة التي حلت بالجيش الاغريقي بداية لنهاية مغامرة اغاتوكليس في بلاد المغرب ذلك ان عودته الى الاراضي القرطاجية لن تعمل على تغيير الوضع .

عاد اغاتوكليس الى بلاد المغرب (افريقيا) [38] . وكان تحت تصرفه بناء على رواية ديودور حوالي اثنتان وعشرون (22 الف) مقاتل منهم : حوالي ستة الاف (6000)

Text Stamp

من الاغريق والباقي خليط من الاتروسك والسامنتيين وحتي الليبيين الذين كان عددهم يقدر بحوالي عشرة الاف (10000) رجل [39]. وعلي الرغم من ان هذا الجيش يفوق كثيرا علي الاقل من حيث العدد الجيش الذي نزل به (اغاثوكليس) في بلاد المغرب عند بداية الحملة (14 الف)، الا انه مع ذلك لم يتمكن ان يحقق بواسطته انتصارات مثل تلك التي حققها في بداية الحملة. وهنا يمكن للمرء ان يتساءل عن السبب؟ غير انه يبدو بان ذلك راجع الي ان الهزائم التي حلت بالقرطاجيين في بداية الحملة كان سببها عنصر المباغتة الذي استغله اغاثوكليس اذ ان القرطاجيين الذين كانت جيوشهم تحاصر سيراكوز لم يكونوا يتوقعون مطلقا مثل تلك الحملة، وبالتالي كانت منطقة قرطاجة شبه خالية من القوات العسكرية القادرة عن الدفاع والقتال.

لقد كانت معنويات الجيش الاغريقي المتواجد ببلاد المغرب جد منحطة بعد الهزائم التي لحقت به اثناء غياب اغاثوكليس. كما ان قسما كبيرا من الجيش (وهو من المرتزقة) كانت تسوده حالة تذمر نتيجة عدم حصولهم علي رواتبهم: فقد اورد جزيل نقلا عن جوستان بان ارخاغاتوس كان يحدد دفع الرواتب عندما يعود ابوه [40]. ولذلك عندما رجع اغاثوكليس الي بلاد المغرب حاول ان يرفع من معنوياتهم عن طريق تحقيق بعض الانتصارات ليعيد اليهم الثقة وليمكنهم من الحصول علي بعض الغنائم تلهيهم عن الرواتب. فقد اختار المنطقة الساحلية الشرقية من الاراضي القرطاجية، حيث يتواجد جيش من عز رجل (اديربعل) وكان اللقاء حاسما. وبدل الانتصار الذي كان اغاثوكليس يمني به جنوده حلت بهم هزيمة منكرة كانت بمثابة الفصل الاخير لمسيرته في بلاد المغرب [41].

الفصل الرابع

نهاية الحملة ونتائجها

١ ـ نهاية الحملة

بعد الهزيمة الاخيرة ادرك اغاثوكليس ان بقاءه في بلاد المغرب لمن تكون له اية نتيجة تنتظر . ولذلك قرر العودة نهائيا الى صقلية . ورغم اختلاف ديودور وجوستان حول الظروف التي غادر فيها اغاثوكليس الارض القرطاجية فانهما يتفقان على ان كيفية مغادرته كانت اقرب الى الفرار ان لم تكن فرارا حقيقيا . فقد اورد جزيل نقلا عن جوستان ما نصه ((... عندما دخل اغاثوكليس الى المعسكر بعد هزيمته من طرف القرطاجيين ورأى حالة اليأس التي كان عليها جنوده ، فر ليلا مصحوبا بابنه ارخاغاثوس ...)) (1)

اما ديودور فروايته تختلف بعض الشيء عن رواية جوستان (2) ، وقد شبه ش . ا . جوليان فرار اغاثوكليس من بلاد المغرب بفرار نابوليون بونابرت من مصر (3) .

لقد كانت نهاية حملة اغاثوكليس على بلاد المغرب نهاية ماساوية . اذ قام جيشه بعد علمه بفراره بقتل ابنه ارخاغاثوس الذي ضل طريقه اثناء عملية الفرار وصحبة ابيه (4) واختار افراده قائدا من بينهم . ثم اجريت مفاوضات بينهم وبين الحكومة القرطاجية انتهت بشبه معاهدة نصت على مايلي :

1 ـ يعيد الاغريق المدن والمواقع التي تحت سيطرتهم الى قرطاجة مقابل ثلاث مائة (300) تالانت من الفضة (حوالي 7800 كغ) (5)

2 ـ ان الاغريق الذين يرغبون في الالتحاق بالجيش القرطاجي يؤخذون كمرتزقة بنفس المرتبات التي كانوا يحصلون عليها . اما الاخرون فينقلون الى صقلية للاقامة في مدينة سولونت (6) .

ويبدو ان قبول قرطاجة بهذه المعاهدة رغم انها كانت المنتصرة وانها هي التي يمكن ان تفرض شروطها على المنهزمين يرجع الى كونها ترغب في انهاء

Text Stamp

الصراع والحرب حتى ولو كلفنا ذلك دفع تلك المبالغ المالية لانها كانت تدرك انها ستستفيد من السلم وعودة النشاط أكثر من تلك المبالغ المدفوعة اي ان قرطاجة كانت تنظر الى الامور من زاوية اقتصادية أكثر منها سياسية .

ب — نتائج الحملة

ماذا كانت نتائج مغامرة او حملة اغاثوكليس على افريقيا كما اعتاد المؤرخون الغربيون تسميتها .

قبل ان نتطرق الى استخلاص اهم النتائج التي اسفرت عنها هذه الحملة بالنسبة للطرفين المتخاصمين وخاصة بالنسبة للاغريق لابد من التذكير بالاهداف المتوخاة منها .

فالظاهر وهو مايتطابق مع مقتضيات الاحداث والظروف التاريخية والوضع العام في صقلية ، التي كانت منطلق الحملة وكما اشار الى ذلك المؤرخ ستيفان جزيل ، فان حملة اغاثوكليس على بلاد المغرب لم يكن القصد منها الحصول على ممتلكات جديدة وراء البحر ، بقدر ماكان القصد هو تخفيف الضغط الذي كانت تعاني منه القوات الاغريقية المحاصرة في سيراكوز . اي ان اغاثوكليس كان يسعى الى انقاذ نفسه من كارثة محققة . واذن فنقله الحرب الى الاراضي القرطاجية كان يرمي من ورائه الى ((فرض سلم على خصومه تمكنه من التخلص منهم)) (7). واذا كان هذا هو الهدف القريب فلا شك ان هناك هدفا آخر أكثر اهمية وهو محاولة الاستئثار بصقلية . واعرب عنه اغاثوكليس صراحة اثناء تحالفه مع اوفيلاس لتقسيم امبراطورية قرطاجة (8) .

اي أنّ نقل الحرب الى بلاد المغرب سيضطر قرطاجة الى ان تتخلى له عن صقلية . اذ ربما كان يعتقد ان المحاولة ستنتهي بمعاهدة تكون خلاصتها خروج الاغريق من بلاد المغرب مقابل خروج القرطاجيين من صقلية . ويبدو أنّ القرطاجيين كانوا مدركين لاغراض اغاثوكليس ونواياه كما انهم كانوا مدركين جيدا الوضعية التي كان عليها خصمهم .

فهو لا يمكنه الحصول على دعم من صقلية لاسباب عدة سبق ان اشرنا اليها. كما ان انتصاراته في صقلية الا راضي القرطاجية هي انتصارات موقتة و ولذلك فالمدن القرطاجية او القبائل الصحراوية التي تحالفت معه او خضعت له، فستتخلى عنه بمجرد ان تأنس منه الضعف. والواقع ان الاحداث اثبتت صحة هذه النظرة الواقعية. ولذلك فـ ((لا الهزائم ولا الخراب الذي احدثه غزو اغاثوكليس ـ ولا تخلي عدد كبير من الحلفاء، ولا مصاريف الحروب الطويلة ـ ولا حصار قرطاجة نفسها في بعض الاحيان ـ جعلت القرطاجيين يلجأون الى التفاوض)) (9).

ويعزو ستيفان جزيل هذا الموقف القرطاجي الى ان تفاوض القرطاجيين مع اغاثوكليس، قد يستنتج منه ضعفهم ويحط من مكانتهم في نظر شعبهم واتباعهم، وبالتالي يشجع خصومهم في المستقبل على القيام بمثل ما قام به اغاثوكليس (10). وهذا التعليل وان كان مقبولا ومنطقيا الا انه في نظرنا لا تعتبر العامل الوحيد والاساسي. والمرجح لدينا ان تصلب قرطاجة في موقفها ازاء اغاثوكليس، يرجع الى انها كانت تدرك بان فكرة التفاوض قد تتحول الى مساومة وانتهاء بين خروج اغاثوكليس من بلاد المغرب، وخروج القرطاجيين من صقلية او على الاقل تجليهم عن بعض المناطق الشرقية من الجزيرة والتي كانت تحت هيمنتهم. وهذا ما لا يتفق والمصالح القرطاجية، حيث كانت السياسة القرطاجية تنظر الى صقلية على انها تشكل جزءا من "مجالها الحيوي" لقرطاجة. ومن جهة اخرى يبدو أن القرطاجيين وكما اشرنا الى ذلك من قبل، كانوا يدركون جيدا أن اغاثوكليس لا يمكنه الاستمرار طويلا في حرب افريقيا نظرا لانعدام مصادر الدعم له. ويبدو كذلك انهم قابلوا انتصارته بشيء من الاستخفاف، بحيث لم ينظروا اليها على انها تشكل خطرا حقيقيا، وهو ما يتجلى في عدم استقدام قواتهم العاملة في صقلية. وربما العنصر الوحيد الذي لم يكن واردا في توقعات السياسة القرطاجية بشأن حملة اغاثوكليس هو التحالف مع اوفيلا صاحب قورينيا (11). الا ان الخطأ الذي ارتكبه اغاثوكليس، والمتمثل في التخلص من

اوقيلاس، يعتبر عنصرا هاما لصالح السياسة القرطاجية .

فاغاثوكليس وان كان قد استفاد مؤقتا من قوات اوقيلاس، الا انه خسر ثقة حلفاء بعد ان قد ينضمون اليه ويدعمون حملته الافريقية، سواء من بلاد الاغريق او من جنوب ايطاليا (اغريقيا الكبرى) او ربما من بعض خصوم قرطاجة في بلاد المغرب نفسها . وبقي على قرطاجة كي تضمن فشل الحملة، ان تحكم سيطرتها على البحر وذلك لمنع اية امدادات قد تصل الى اغاثوكليس، من جهة وتضمن استمرار تموين مدينة قرطاجة من جهة ثانية . ويمكن ان نشبه عمل قرطاجة هذا بحصار القائد الانجليزي "فرايزر" للحملة الفرنسية في مصر (ما بين 1798 - 1801) .

وان فيمكن الخروج بنتيجة وهي ان الاهداف التي كان يتوخاها اغاثوكليس من حملته الافريقية لم يتحقق الا جزء يسير منها وهو فك الحصار عن مدينة سيراكوز ويعتبر ذلك مردود ضئيل لمجهود كبير استغرق حوالي ثلاث (3) سنوات (310 - 307 ق . م .) وعليه فيمكن النظر الى هذه الحملة على انها مغامرة انتهت على حد قول جزيل بصورة مؤسفة (12) . الا انه اذا نظرنا اليها من زاوية أخرى اي من وجهة نظر السياسة العامة او استراتيجية الحرب ومستقبل الصراع في الحوض الغربي من المتوسط وخاصة بين شبه الجزيرة الايطالية وبلاد المغرب فقد كانت لها نتائج هامة ، وبعيدة الاثر في تاريخ بلاد المغرب على الخصوص .

فبغض النظر عن الاضطراب الاقتصادي الذي احدثته الحملة في الريف القرطاجي ، وتعطيل النشاط الاقتصادي وخاصة الزراعة نتيجة الحرب ، والتي يمكن ان ننظر اليها على انها نتائج ذات اثر مؤقت . وكذلك يمكن القول بان اقتصاد الطبقة الارستقراطية القرطاجية وخاصة التجارية منها لم يتأثر كثيرا بالحرب طالما ان السيطرة على البحر باقية بايدي القرطاجيين . بحيث بقي النشاط التجاري مستمرا ، سواء مع شرق المتوسط او مع شبه الجزيرة الايبيرية والتي كانت هي الاخرى تعتبر من بين مناطق المجال الحيوي القرطاجي ، خاصة من الناحية التجارية والتي ستزداد اهميتها بعد الحرب

Text Stamp

البونية الاولى .

ان النتيجة الهامة التي اسفرت عنها الحملة اغاثوكليس على بلاد المغرب كونها تمثل سابقة خطيرة وهي نقل الحرب الى ارض العدو اي رد الهجوم بهجوم معاكس، بدلا من استراتيجية الدفاع التي كانت متبعة الى ذلك الوقت .
كما ان هذه المحاولة كانت بداية لمحاولات اخرى ستتلوها مثل حملة "ريغولوس" الروماني على بلاد المغرب سنة 256 ق . م . وحملة حنابعل القرطاجي لايطاليا اثناء الحرب البونية الثانية (13) ، واخيرا حملة "سكيبيون (شيبيون) اميليانوس الملقب بالافريقي لافريقيا اثناء الحرب البونية الثالثة بين روما وقرطاجة .

كما تعتبر حملة اغاثوكليس بداية لنقل الصراع وشكل عنيف الى الحوض الغربي من المتوسط بعد ما كان مركزا طيلة الالفين الثالثة والثانية قبل الميلاد في منطقة الحوض الشرقي ، وتغيير مسار الحرب من شرق ـ غرب الى شمال ـ جنوب ، كما انها وضعت وربما لاول في التاريخ افريقيا واوروبا وجها لوجه في حالة صراع .

كذلك اثبتت حملة إغاثوكليس والصراع القرطاجي ـ الاغريقي في مجمله ان قرطاجة ، على الرغم من انها لم تكن قوة عسكرية تقليدية كما هو الحال بالنسبة لمصر او آشور او الفرس استطاعت ان تصمد وان تقاوم المد الاغريقي المتنامي في اتجاه الغرب وتنتصر عليه في النهاية .
وربما ان هزيمتها في نهاية الحرب البونية الاخيرة سنة 146 ق . م . على يد روما ، لا ترجع الى تفوق هذه الاخيرة بقدر ما ترجع الى انهاك قرطاجة منذ ذلك الصراع الذي استمر زهاء اربعة (4) قرون متتالية ، اي من القرن السادس الى القرن الرابع ق . م . والى تخلي بعض حلفائها المغاربة (النوميديون) عنها ، والذين كانوا في غالب الاحيان يمثلون مركز الثقل في الحروب التي خاضتها سواء كحلفاء او جنود ماجورين .

واخيرا يمكن ان ننظر الى حملة اغاثوكليس على انها بداية للحروب البونية التي تعتبر استمرارا للصراع بين الشمال والجنوب كما انها تعتبر في نفس

الوقت اذا ما استثنينا المحاولات التي قام بها كل من "بيروس" و "هيرون" في اواخر القرن الرابع ق.م . وبداية القرن الثالث ق.م . نهاية للصراع القرطاجي الاغريقي في غرب المتوسط والذي دام اكثر من قرنين . ذلك ان روما التي ستقضي على قوة الاغريق في جنوب ايطاليا وشرق صقلية هي التي سترث عنهم صراعهم مع قرطاجة . ولعل العبارة التي قالها بيروس بعد انهزامه امام القوات الرومانية تصلح لان تكون نهاية لهذا الفصل :

((. . . ما اجمل ميدانا للقتال تركناه للرومان والقرطاجيين))(15).

Text Stamp

هوامش الباب الرابع

الفصل الاول

(1) لقد اعتاد المؤرخون الغربيون ان يطلقوا على هذه الحملة اسم "حملة افريقيا" وفضلنا استبدال افريقيا بالمغرب لانها لم تكن تستهدف القارة الافريقية وانما كانت تستهدف جزءا منها فقط وهو بلاد المغرب .

(2) المكتبة التاريخية Bibliotheque Historique وهي في الاصل عبارة عن موسوعة تاريخية تتألف من اربعين (40) كتابا ولم يصلنا منها الا الكتب الخمسة الاولى (من 1 الى 5) وهي تخص تاريخ الاغريق قبل حروب طروادة والكتابان : 19 و 20 ويتناولان الاحداث الواقعة ما بين سنتي : 480 و302 ق م . والكتاب العشرين (20) هو المصدر الاساسي لحملة اغاثوكليس

(3) جوستان — Justin مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني للميلاد وهو ملخص كتاب التاريخ العالمي لتروغ بومبي — Trogue Pompee

(4) S.GSELL, HAAN. T.III;Alger, 1920,P.25

(5) يقول عنها جزيل بانها مستوطنة قرطاجية كان يسكنها عدد كبير من الاغريق (S.GSELL,HAAN. T. III,P.19.)

ويقول البعض بان اغاثوكليس ولد في ثيميرا من احد المنفيين وتزوج من ارملة غنية في سيراكوز انظر : JeanBAYET.;la Sicile grecque,P.43.

(6) S.GSELL,HAAN.T.III, P. 18.

(7) Ibid. P.19.

(8) D'apres S. GSELL, Ibid. P.19

S.GSELL, Ibid. P.19

(9) (10)

(11) (12) Ibid. P.19

(13) Ibid. P.19

(14) اورد جزيل رواية عن جوستان مفادها ان الحكم بالاعدام على املقار كان بسبب

Text Stamp

سعيه للاستحواذ على السلطة في قرطاجة، وان مساعدته لاغاثوكليس
لكي منه حيفا له يقف الى جانبه في الوقت المناسب ، انظر :

(15) S.GSELL,HAAN. T.II, P?.349
(16) S.GSELL,HAAN. T.III, P.30
(17) Ibid. P. 2I
(18) Ibid. P.20
(19) Ibid. P. 22
(20) Ibid. P. 22

الفصل الثاني

(1) S.GSELL;HAAN. T.III, P. 22
(2) Ibid. P. 23
(3) IBID. P. 23
(4) السامنتيون - Samantins - مجموعة من الشعوب الا يطالية التي
كانت الى الشمال الشرقي من منطقة اترويا
(5) (6) S.GSELL,HAAN. T.III, P.23
(7) Ibid. P.24
(8) D'apres S.GSELL, HAAN. T.III, P. 25
(9) Ibid. P. 29
(10) (11) Ibid. P. 29
(12) لقد ترك لنا ديودور وصفا رائعا للرخاء الذي كانت تنعم به المنطقة
اثناء غزوة اغاثوكليس لها انظر : S.GSELL; T.III, P.28
(13) (14) Ibid. P. 29
(15) ستاديوم - Stadiasm - وحدة اغريقية لقياس المسافات تتراوح مابين
147 و 192م ، او 600 قدما .
(16) D'apres S.GSELL,HAAN. T.III, P.30
(17) المسافة الحالية بين تونس وقرطاجة حوالي : 18 كم

(18) S.GSELL, HAAN. T.III, P.3I

(19) Ibid. P.3I

(20) (21) Ibid. P. 34

(22) قدم حوالي 500 طفل من ابناء العائلات الشريفة قرابين، وقد كانت هذه الطبقة في الاحوال العادية تشتري ابناء الفقراء للتقرب بهم، انظر :
S.GSELL, T.III, P. 34

(23) (24) Ibid. P.35

(25) (26) Ibid. P.35

(27) (28) Ibid. P.36

(29) Ibid. P.37

(30) يقول تيسو Tissot بان مايقصده الجغرافيون الاغريق والملاتين بليبيا العليا هو جنوب ليبيا الواقع فوق الساحل بالنسبة للراصد الموجود في صقلية وايطاليا . اما ملتزر Miltzer فيرجح بان المقصود بليبيا العليا هي المنطقة الموجودة في اتجاه الجنوب الغربي انطلاقا من تونس؛ . اما جزيل Gsell فيرى بان مايقصده ديودور بليبيا العليا هي الاماكن المرتفعة (؟) وشمال ووسط تونس وربما شمال شرق الجزائر ايضا
انظر : S.GSELL; T.III, P. 37 هامش رقم : 14 .

(31) S.GSELL; HAAN. T.III; P. 37

(32) (33) Ibid. P.37

(34) Ibid. P." 37

(35) Ibid. PP .38-39

(36) (37) Ibid. P. 4I

(38) Madeleine HOURS-MIEDAN, Carthage, ($ Que Sais-je?)
P.U.F. I964; P. 62

Text Stamp

(1) الظاهـر ان المقصـود هـو بطليمـوس الاول (سـوتيـر الاول) مـؤسـس سلالـة البطالمـة (البطلـالسـة) بمصـر لانـه هـو الـذي تصـادف فتـرة حكمـه الاحـداث التـي نحـن بصـدد دراستها والـذي اصبـح ملـكا علـى مصـر مـابيـن 305 و285 ق.م .

.... (Lrousse classique ; Paris I957, P972,col.2)

(2) (3) S.GSELL, HAAN. T.III, P. 42

(4) E. WILL,le Monde grecque et l'oriênt,T.II ,Paris I975.P363

(5) انظـر ص مـن هـذا البحـث

(6) S.GSELL,HAAN. T.III,P.43

(7) Ibid. P. 44

(8) يرى [illegible] ان الاسكندر الكبير كان لـه مشـروع لغـزو منطقـة الحـوض الغـربي مـن المتـوسـط . انظـر : E. WILL ,T. II; P. 363

(9) S.GSELL,HANN,T.III, P.43

(10) Ibid. P.44

(11) Ibid. P. 45

(12) (13) Ibid. P.45

(14) Ibid. P. 45

(15) تقـول جـزيـل بـان جـوستـان زعـم ان الثـورة قـامت فـي صفـوف القـرطاجييـن بعـد مقتـل اوفيـلاس ثـم يعلـق (جـزيـل) علـى ذلك بـان الثـورة او الانقلاب الـذي تـزعمـه بـوملقـار وقـع قبـل وصـول اوفيـلاس الـى الاراضـي القـرطـاجيـة . انظـر : S. GSELL,HANN. TIII, P.46

(16) S. GSELL,HAAN . T.III,P.47

(17) Ibid?. P. 48

(18) (19) Ibid. P.49

(20) Ibid. P.49

(21) (22) Ibid. P.50

(23) Ibid. P.50

Text Stamp

(24) S.GSELL, HAAN. T.~~III~~, V, P. 86

(25) يرى ..زيل ان مدينة الفيليين اوشجرة الفيليين ربما تقع في شمال تونس ولم يحدد موقعها . انظر : S.GSELL, HAAN. T.III, P. 50

(26) SALLUSTE, la guerre de Jugurtha ...L.XXIX; P. 220

(27) S.GSELL, HAAN. T.I, P. 344

(28) S.GSELL, HAAN. T.III, P. 50

(29) Ibid. P. 51

(30) انظر ص. من هذا البحث

(31) S.GSELL, HAAN . T.III, P.52

(32) Ibid. P. 53

(33) غير حنون صاحب الرحلة المشهورة حول افريقيا

(34)(35) S. GSELL, HAAN . T. III; P. 53

(36) Ibid. P. 53

(37) Ibid. P. 55

(38) لم يذكر ديودور الصقلي التاريخ الذي عاد فيه اغاثوكليس الى بلاد المغرب ، وكذلك مدة اقامته بصقلية بحيث يمكن المرء ان يستنتج تاريخ رجوعه ، الا انه ان عودته كانت في نفس السنة التي غادر فيها بلاد المغرب نهائيا وهي سنة 307 ق . م .

(39) S. GSELL, HAAN. T.III, P. 55

Ibid. P. 56, No : I .

(40) هامش رقم : 1

(41) لقد اورد ديودور عدة مبررات لهزيمة اغاثوكليس منها الموقع الجيد الذي كان يعسكر فيه القرطاجيون نشوب النار في معسكر الاغريق فرار بضعة الاف من المرتزقة من جيش اغاثوكليس نحو القرطاجيين الى غير ذلك ولم يذكر سبب ذلك الفرار انظر : S. GSELL, HAAN. T.III, PP. 57- 58.

الفصل الرابع:

(1) S. GSELL, HAAN. T.III, P. 59

(2) انظر التفاصيل في : S. GSELL, Ibid. P. 58

(3) ش. ا. جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية ج. 1، ص. 93

(4) S. GSELL, Ibid. P. 59

(5) 1 تالانت يساوي حوالي 26 كغ.

(6) S. GSELL; Ibid. PP. 59-60

(7) Ibid. P. 6I

(8) E. WILL, le Monde grecque et l'orient ; T.II, P. 364

(9) S.GSELL; HAAN. T.III; P. 6I

(10) Ibid. P.6I

(11) انظر ص. من هذا البحث

(12) S.GSELL, HAAN. T.III, P. 60

(13) الحرب البونية الثانية وقعت مابين 218 و 201 ق.م.

(14) ثلاث حروب وقعت بين قرطاجة وروما. الاولى: مابين 264-241 ق.م
الثانية: 218-201 ق.م والثالثة: 149-146 ق.م.

(15) Arthur PELLEGRIN, Histoire de la Tunisie depuis les origine jusqu'a nosjours, Tunis I94I, P.34

النتائج المستخلصة من البحث

والنتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث تتمثل في ما يلي :

1 ـ ان الفراغ السياسي والحضاري الذي كانت تعيشه منطقة الحوض الغربي من المتوسط عموما وبلاد المغرب خصوصا في اواخر الالف الثانية ق . م . هو الذي جذب سكان منطقة الحوض الشرقي من فينيقيين واغريق الى المنطقة وساعدهم على الاستيطان بها [1] . فتمركز الاغريق في جنوب ايطاليا وشرق صقلية واقليم برقة بلبيبيا بينما تمركز الفينيقيون في غرب صقلية وبلاد المغرب (شمال افريقيا بالمفهوم السياسي) . وقد ترتب عن هذا الاستيطان المزدوج الكثير من النتائج بعضها كانت ايجابية وبعضها سلبية بالنسبة للمنطقة .

2 ـ ان الاستيطان الفينيقي ببلاد المغرب هو الذي اخرجها من فترة العصور الحجرية وثقافة العصر النيولميتي [2] وادخالها في العصور التاريخية التي كان سكان الحوض الشرقي قد دخلوها منذ وقت طويل خاصة في وادي النيل وبلاد الرافدين ، وهي نفس النتيجة التي ترتبت عن الاستيطان الفينيقي والاغريقي في جنوب ايطاليا وصقلية .

3 ـ ان الاستيطان الفينيقي ببلاد المغرب يعتبر الحلقة الاولى في عملية الربط بين مشرق ومغرب الوطن العربي الحالي ، وتأصيل الحضارة المشرقية السامية بهذه الديار [3] والتي ستزداد تأصلا اثناء الفتح العربي الاسلامي في القرن الاول الهجري ـ القرن السابع للميلاد .

4 ـ ان التواجد الفينيقي ببلاد المغرب هو الذي جعلها تنفتح على عالم البحر الابيض المتوسط سياسيا واقتصاديا وحضاريا . فقبل مجيء الفينيقيين كانت بلاد المغرب تعيش في شبه عزلة سياسيا واقتصاديا وحضاريا . وفي اعتقادي انها ـ أي العزلة ـ هي السبب في اعاقة المنطقة عن التطور الحضاري والفكري من عصور ما قبل التاريخ . الا ان هذه النتائج التي يمكن اعتبارها ايجابية تولدت عنها بعض النتائج السلبية ، وهي ادخال المنطقة في خضم الصراعات الدولية [4] ، تلك الصراعات التي بدأت بالمواجهة بين الاغريق والقرطاجيين ثم بين قرطاجة وروما والتي انتهت بالاحتلال الروماني للمنطقة في نهاية القرن الثاني ~~للميلاد~~ ق . م . الا انني اعتقد ان دخول المنطقة في الصراع الدولي كان نتيجة منطقية للتطورات السياسية والاقتصادية والحضارية بصفة عامة ، التي عرفتها المنطقة والمتمثلة خاصة في الانتقال من المجتمع القبلي الضيق الى المجتمع الدولي المنفتح على العالم الخارجي والذي يتأثر بأحداثه سلبا وايجابا .

---

1) ص :   من هذا البحث .

2) ص :   من هذا البحث .

5 ـ ان انشاء مدينة قرطاجة لم القرى الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط ـ لم يكن حادثا عرضيا كما اعتادت المصادر التقليدية طرحه وانه كان نتيجة حدوث خلاف في القصر الملكي في صور بين الملك بيغماليون وشقيقته "عليسة". انما كان في اعتقادي عملية مقصودة ومخطط لها سبقا (5) والعناية الخاصة التي حظيت بها قرطاجة دليل على ذلك .

6 ـ ان المواجهة بين القرطاجيين والاغريق او بعبارة اصح ان التحدي الاغريقي للتواجد الفينيقي في غرب المتوسط عموما وبلاد المغرب خصوصا هو الذي جعل قرطاجة تتحول من مدينة تجارية مسالمة الى قوة عسكرية (6) وبالتالي فرض عليها ان تغير موقفها ازاء المغاربة وازاء المدن الفينيقية الاخرى في غرب المتوسط وتفرض عليهم وعليها نوعا من الوصاية هي اقرب ما تكون الى الحماية منها الى الهيمنة والتي وصفها الاوربيون زيفا بـ "الاستعمار" كيبرروا ~~استعمارهم~~ استعمارهم للمنطقة قديما وحديثا . وما كان بوسع قرطاجة ان تفعل غير ذلك .

---

(1) انظر ص . 15 . من هذا البحث .
(2) نفس المرجع ص . 18 هامش 30
(3) نفس المرجع ص . ~~40~~ 04 .
(4) نفس المرجع ~~حول~~ الصراع مع الاغريق ثم مع الرومان خاصة الحروب البونية .
(5) نفس المرجع ص . 42 .
(6) نفس المرجع ص . 48 .

DEODORE de SICILE
Siciliotes

ANNEXE N° 2/:

LES INSTITUTIONS DE CARTHAGE. (I)

Quant à l etat carthaginois,ilme semble que ses institutions ont ete, dans leurs caracteristiques essentielles,bien conçu. IL yavait desrois ; le conseil des geron tes; de nature aris -tocratique, disposait de son coté de sertains pouvoirs et le peuples'etait souverain dans les questions qui etaien t de son ressort. Dans l'ensemble,l'agencement des pouvoirs à carthage ressemblait à ce qu'il etait à Rome et Sparte. Mais àl'epoque où commença la guerre d'Hannibal, la con-stitution carthaginoise s'etait degradee et cele des Romains lui etait superieure. L'evolution de toute individu de toute societe politique, de touteentreprise humaine est marqueè par une periode de croissance,une periode de maturit maturite ,une periode de declin, et c'est au moment de la maturiteque le plus haut degre d'efficacite est atteint danstous les domaines .Cest là quese situait la difference, entre lesdeux cites .Les carthaginois avaient connu la pui-ssance et l' epanouissement quelques temps avant les Rom_ ains et ils avaient depasse d'autant le stade de l'apogèe à l'epoque justement où Rpme,pour ce quietait du moins de son son t systeme de gouvernement, sse trouvait en pleineforce. A cath age la voix du peuple etait devenue preponderante dans les delberations, tandis que à Rome, le Senat etait dans la pleinitude de son autorite.Chez les Carthaginois,c'etait l'avis du grand nombre qui prevalait, chez les Romains,celui

de l'elite des ~~et~~ citoyens, en sort que la politique men èe par ces derniers etait la meilleure; ils purent malgrè d'ecrasante defaites; l'emporter finalement grâce à la segesse de leurs decisions .

POLYBE;Histoire ,trad. fran.
Dnis ROUSSEL ; ed. Gallimard I970 ;
p. 5I4.

(I) Le titre n' est pas originel.

ملحـــــــــــــــــق رقـم : 3 .

رحـلـة حنـون القرطـاجـي حـول افـريقيـا

رحلة حنون ملك القرطاجيين في البلاد الليبية الى ما وراء اعمدة هرقل ، والتي سجلت في معبد كرونوس (Kronos) بقرطاجة .

1) قرر القرطاجيون ان يبحر حنون الى ما وراء اعمدة هرقل وان ينشئ مدنا ليبية فينيقية . واذن فقد ركب البحر بستين (60) سفينة من ذوات الخمسين مجدافا ، تحمل ثلاثة الاف من الرجال والنساء والمواد الغذائية وما يحتاجون اليه من ضروريات .

2) بعد تجاوز الاعمدة والابحار لمدة يومين انشانا اول مدينة واعطيناها اسم "تيمياتيريوس" (Temiaterius) وهي تشرف على سهل فسيح .

3) ثم اتجهنا بعدها نحو الغرب حتى صولويس (Soloeis) وهو احد الرؤوس الليبية مغطى بالاشجار .

4) انشانا هناك معبدا للاله "بوزايدون" ثم ابحرنا نحو الشرق لمدة نصف يوم فوصلنا الى بحيرة قريبة من البحر مغطاة بالقصب تعمرها الفيلة وكثير من الحيوانات المتوحشة .

5) وبعد تجاوزنا هذه البحيرة وبعد الابحار لمدة يوم انشانا على الساحل مدنا تسمى : كريكون (Kricon) تيخوس (Tichos) جيتي (Gitti) اركا (Arca) ميليتا (Melita) و ارامبيس (Arambis).

6) غادرنا المكان ووصلنا الى النهر الكبير "ليكسوس" (Lixus) الذي ياتي من ليبيا وعلى ضفافه بدو يسمون "الليكسيون" (Lixicains) يرعون قطعانهم فبقينا معهم بعض الوقت وصرنا اصدقاء .

7) في المناطق الداخلية يعيش الاثيوبيون العدوانيون على ارض مملوءة بالحيوانات المفترسة تتخللها جبال كبيرة ويقولون بان نهر ليكسوس ينبع منها ، وفي هذه الجبال يسكن "التروجلوديون" (Trogolodites) ولهم هيئات غريبة وحسب الليكسيين فانه يعدو ورهم العدو اسرع من الخيل .

8) اخذنا مترجمين من الليكسيين واتجهنا نحو الجنوب بمحاذاة الصحراء لمدة يومين ثم نحو الشرق لمدة يوم فوجدنا جزيرة يقدر قطرها بحوالي خمس (5) ستادات (Stades) في خلفية خليج فتركنا بها عددا من المعمرين وسميناها "قيرني" او (Cernè) وقدرنا حسب مدة السفر بانها تقع في مكان يناظر قرطاجة (بالنسبة لاعمدة هرقل)؟

.../...

لأن مدة السفر من قرطاجة الى الاعمدة و من الاعمدة الى قيرنى متساوية بالتقريـــب .

9) ـ و من هناك و مرورا نهر كبير يسمى كريتيس Chrétès وصلنا بحيرة توجد بها ثلاثة جزر أكبـر من قيرني، و قضينا يوما كاملا للوصول الى الجهة الاخرى من البحيرة ، و التي تشرف عليها جبال كبيرة مملوءة بالمتوحشين الذين يلبسون جلود الحيوانات و الذين رمونا بالحجارة ومنعونا من النزول .

10) ـ غادرنا هذه الاماكن و وصلنا الى نهر آخر كبير و عريض مملوء بالتماسيح و افراس البحر، و من هنا قفلنا راجعين الى قيرني .

11) ـ تركنا قيرني و ابحرنا نحو الجنوب لمدة اثنا عشرة يوما بمحاذاة الشاطئ المسكون بالاثيوبييـــن، و الذين كانوا يفرون من امامنا ، لغتهم كانت مجهولة حتى من طرف الليكسيين .

12) ـ في اليوم الاخير ارسينا في سفح جبل مغطى بالاشجار ذات خشب معطر و الوان مختلفة .

13) ـ و بعد الدوران بهذا الجبل لمدة يومين وصلنا الى خليج كبير يوجد في جهته الاخرى سهـل ، حيث شاهدنا اثناء الليل في كل جهاته مشاعل صغيرة و كبيرة من النار تفصل بينها مسافات متساوية .

14) ـ و بعد ان تزودنا بالماء واصلنا الابحار على طول الشاطئ لمدة خمسة أيام الى ان وصلنا الى خليج كبير قال مترجمونا انه يسمى قرن الغرب Corne de l'occident و في هذا الخليج توجد جزيرة كبيـــرة ، في وسطها بحيرة و جزيرة ارسينا عليها و في النهار لم نرى شيئا غير غابة، لكن اثناء الليل ظهرت لنا نيران كثيـــرة و سمعنا اصوات المزامير و الدفوف مصحوبة بصراخات صوتية ، فاخذنا خوف كبير، و نصحنا المنجمون بمغـــادرة الجزيـــرة .

15) ـ انصرفنا بسرعة و سرنا بمحاذاة شاطئ مشتعل تنتشر منه رائحة اللوبان، و سيول كبيرة من النار تنزل الى البحر، و لم تسمح لنا الحرارة (المرتفعـــة) بالاقتراب من الشاطـــئ .

16) ـ و (نتيجة) للخوف انصرفنا بسرعة ، و بعد أربعة أيام من الابحار رأينا في الليل الارض المملوءة بالمشاكل و في الوسط مشعل كبير يبدو و كأنه يصل الى النجوم، و في النهار تبين لنا بأنه جبل عال يسمى " " عربة الالهة " " .

17) ـ بعد ثلاثة ايام من الابحار بمحاذاة السيول الملتهبة ، وصلنا الى خليج يدعى قرن الجنـــوب .

18) ـ في خليقة هذا الخليج توجد جزيرة تشبه الجزيرة السابقة بها بحيرة و داخلها جزيرة أخـــرى مملوءة بالمتوحشين، و كانت بها نساء كثيـرات ، و كانت اجسامهن مغطاة بالشعر، و سماهم المترجمون " "الفوريلات" "

.../...

Text Stamp

واثناء مطاردتهم لم نتمكن من الامساك بأي واحدة من الذكور لأنهم متعودون القفز فوق الحواجز فكانوا يفرون ويدافعون عن انفسهم برمي الحجارة ، الا اننا امسكنا بثلاث اناث وكن يخدشن ويعضضن الذين امسكوا بهن اذ لم يردن المجيء معهم . فقتلناهن وحملنا جلودهن الى قرطاجة . وبما أن الزاد كاد أن ينتهي فلم يكن بوسعنا مواصلة السفر ابعد من ذلك .

Sabatino Moscati, l'epopée des Pheniciens. P 2VSel Suiv.

ثبت بالاعلام الاجنبية الواردة في البحث

أ ـ الاشخاص ومن في حكمهم :

AGATHOCLES	اغاثوكليس
ALCIA	السيا
ANAXANDRIDAS	اناكزاندريداس
ANAXILAS	اناكزيلاس
ANNA	انّا
ANTANDROS	انتاندروس
ANTIOCHOS	انطيوخوس
APION	ابيون
APOLLO	ابوللو
APPIEN	ابيان
ARCESILAS	ارسيزيلاس
ARGONAUTE	ارجونوت
ARISTEE	اريستي
ARISTOT	ارسطو
BATTOS	باتوس
BUCHNER	بوكنير
CATON	كاتون
CECERON	شيشرون
CROIOS	كرويسوس
DEMONAX	ديموناكس
DENYS	دونيس

DIDON	ديدون
DIGNITAIRE	حاكم او ناظر
DORYEUS	دوريوس
ELYMAS	ايليماس
EUMACHOS	اوماخوس
EUPHIMOS	اوفيموس
FERTIME	فيرتيم
FUSTEL de COULANGES	فوستال دي كولانج
GISCON	جيسكون
HANNIBAL	حنابعل
HANNON	حنون
HECATEE	هيكاتي
HECETAS	هيكيتاس
HERACLIDES	هيراقليدس
HIARBAS	حيرباس
HIERON	هيرون
HIPPON	هيبون
IAPON	ايابون
IOPA	ايوبا
IOPAS	ايوبصاس
JASON	جازون
JUBA	يوبا
JUSTIN	يوستان (جوستان)
KYRE	كيري
KYRENE	كيريني

LAARCHOS	لارخوس
LYCESCOS	ليكيسكوس
MAGISTRAT	.... ناظر او حاكم
MAGON	ماغون
MALCHOS	مالخوس
MAMERCOS	ماميركوس
MENANDRE (d'ephfs e)	ميناندر (الافيزي)
miltzer	ميلتزر
OPHELAS	اوفيلاس
ORTHON	اورتون
PANTALOS	بانتالوس
PHERIKYDES (de Syros)	فيريكيدس (السيروسي)
PINDARE	بيندار
PSEMTEK (I)	بساتيك الاول
REGULUS	ريغولوس
ROMULUS	رومولوس
SCHOFFETH (Suffites)	الشفطان او القاضيان
SCIBION (l 'Africain)	سكيبيون او شيبيون (الافريقي)
SERVIUS	شيرفيوس
SOLIN	صولان
STADIASM	ستاديازم
STRABON	سترابون
TARQUINUS	تاركوينوس
TERILLOS	تيريلوس

THERON	تيرون
THUCYDEDES	تيوكيديد س
TIMEE (Temaeus)	تيمي (تيمايوس)
TITUS LIVIUS (Tite Live)	تيتسو س لفيسو س
TROGUE POMPEE	تيرو غ بومبي
VIRGILE	فيرجيل

============000000===========

II — المجموعات :

ACHEENS	الاتيو ن
ASBYSTES	الاسبيست
ASPHODELODES	الاسفو ديل
BATTIADES	البادايو ن
CNIDIENS	الكنيديو ن
CONSEIL des ANCIENS (Senat)	مجلس القدامى (الشيو خ)
CORINTHEENS	الكورنثيو ن
CYCLOPES	السيكلو ب (عمالقة)
DORIENS	الدوريو ن
ELYMES	الاليميو ن
ETRUSQUES	الا تروسك
IOLIENS	الايوليو ن
IONIENS	الايونيون
KYLLYRIOI (Kyllikyrioi)	....
LACEDEMONIENS	اللاسيديمونيو ن (و الاسبرطيو ن)
LYSTRYGONE	الاستريغو ن
MAGONIDES	الماغونيون
PAENUS	البـاينو س
PHOCEENS	الفوسيو ن (ربما الفوكيو ن)

~~IN~~ PHOENIX	الفينيقيون
SAMANTINS	السامنتيون
SAMIENS	الصاميين
SICANES	السيكان
SICULES (Sikoloi)	السيكول (الصقليون)
THEREENS	التيريون
THESSALIENS	التساليون

=============000000==============

III — ~~المجموعة~~ الامـاكـن :

ABRATONON	ابراتونون
ACRA_HIPPO	اكرا هيبو (الراس الابيض)
AGRIGENTE (ACRAGAS)	اجريجانت (اكرجاس)
AGYRIUM (Agyra)	اجيريوم (ابيرة)
ALALIA	الاليا
ALBA6 LONGA	البا لونا
ALBAN	البان
ALERIA	اليريا
ALANTIUM (San-Marro)	الانتيون (سان مارو)
ANCONE	انكون
ARLES	آرل
AUTEL (des philenes)	نصب الفيليين
BARKE	برقة
BRINDISIUM (Brindise)	برانديزيوم
CAMPANIE	كامبانيا
CANALE	كنال
CASSITERIDES	كاسيتيريد (جزر القصدير)
CATANE	كاتان

Text Stamp

CENTURIBOE (Centrobi)	ساتيريبوي (سانتروبي م)
CHALCEDOINE	خاليقدونيا
CNYPYS	كنيبيس
CRIMIOS	كريميوس
CUMAE (Cume)	كوملي (كوم)
CYRENE	قورينة
CYRENAIQUE	قورينيا
DREPANON	دريبانون
ELBA	البا
ENTILLA	انتيلا
EOLE	ايول
EUHESPERIDES (Hfsperides)	اويسبيريدس (بنغازي)
EUPHRA NTES	اوفرانتاس
EUXENE	اوكزان
FERMO	فيرمو
FONOM	فونوم
GRAPHARA	جرافارة (جفرة م)
HALLSTATT (Hallstatt)	هال شتات (هال شتادت)
HALYKOS	هاليكوس
HIMERE	هيميرا
HYLBA-MINOR (Palermo)	هيلبا مينور (بتيرمو)
ISCHIA	ايسخيا
JANCHINA	يانشينا
KITION	كيتيون
KYME	كيمي
KYRNOS	كيرنوس
LATIUM	اللاتيوم
LEONTINOI	ليونتينوا

Text Stamp

LIGUEIR	ليغـــوريـا
LIPARI	ليبـــا ري
MA RU	مـــبـارو
MAS SILIA (Marseille)	مـاسيلـيـا
MEGALOPOLIS	ميغـالـــو بوليس
MEGARA (Megare)	ميغـــا رة
ME SCHELA	ميشيــــلا
ME SSINE	ميسيـــنــا
MILTINE	ميلتيـــــن
MINOE(MINO)	مينـــوي
MOTYE	مــــتيـــا
MYCENNE	ميكيـــــني
MYRINA	ميـرينـــا
NAUCRATIS	نـــوك راتيـس
NAXOS	نـــاكسـوس
OEA	اويـــا (طـرابـلس)
OMBRIE	اومبــــريـا
ORVIETO	اوفييــتـــو
Ap PANORAMOS (Palermo)	بـــانـو رامـوس
PECENUM	بيكيـــنـــوم
PELOPONNESE	بيلــوبـونــز
PHLA	فـــــلا
PHILAENON (Bomboi)	فيـــلاينـون (بـومبــو)
PHOUN (Poun; Poun t)	فـــــون (بـون ، بـونت)
PLA TIA	بـــلاتيـــا
POPOLONIA	بـوبـولـونيـا
RHEGION	ريجيـ ـــــون

RHODANOS	رودانـوس
RHODANOUSIA	رود انوسيـا
RHODES	رودس
SALAMINE	سـا لا ميـس
SALERNE	سـاليـرن
SEGESTE	سيجيسـت
SELENONTE	سيلمينونت
SIRIS	سيـريـس
SMYRNA	سميـرنـا
SOLOEIS	صـو لويـس
SOLONTE	صولونـت
SYBARIS	سيبـاريـس
SYRACUSE	سيـركـوز
TARSHISH (Tartessos)	طـارشيـش(تـارتيصـو ص)
THAPSUS	تـابسـو س
THERA	تيـرا
THESTES	ثيستيـس
TRIRONIS	تـريتونيـس
TYNES	تينيـس
UTIQUE	ا وتيـكا (عـوتيقـة)
VILLANOVIA	فيـلا نـوفيـا
ZANCLE	زانـكلي

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

I - المراجع العربية أو المعربة :

1 - سيسر الكن جاردنر مصر الفارا عنة ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم عبد المنعم ابو بكر القاهرة 1973.

2 - شارل اندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة : محمد امزالي ، البشير بن سلامة ، ج . 1 ، تونس 1969 .

3 - غانم محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط ، م . و . ك . الجزائر ، الجزائر ، 1979 .

4 - فليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج . بيروت 1958 .

5 - محمد رفعت ، تاريخ حوض البحر الابيض المتوسط وتياراته السياسية ، القاهرة ، 1958 .

6 - هشام الصفدي ، تاريخ الرومان الجزء الاول ، دمشق ، 1967 .

7 - ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ج . 1 المجلد 3 . القاهرة 1964 .

II - الدوريات العربية :

1 - مجلة الاصالة الجزائرية عدد 8 سنة 1972.

2 - مجلة اللسان العربي ، المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، الرباط ، عدد 3 ، سنة 1965 .

Text Stamp

-III-

I)Andre PARROT, H. CHEHAB, S.MOSCATI; les pheniciens, l'expansion phenicienne ; Gallimard; 1975.

2) Andre PIGANIOL, laconque^te romaine ;5° ed. Paris I957

3) A. PIGANIOL, histoire de Rome;3° ed. Paris I949.

4) Arthur PELLEGRIN ,histoire de la tunisie des origines jusqu'a nos jours; Paris-Tunis I94I

5)Charles Ande JULIEN, histoirede l'afrique du nord,T.I; Paris I95I.

6)CH. A. JULIEN;histoire de l'afrique blanche,(Que sais-je?) P.U?.F. I966.

7)Colette PICARD, Carthage ,Paris I95I.

8) Diodore de Sicile,Bibliotheque historiqye ,trad.fran. by Ferd HOEFER,T. 3,Aaris(S?.D)

9)EdouardWILL, à monde grec et l'orient,T.I;Paris I972; T. II;Paris I975

I0)Erniste MERCIER,histoire de l'afrique septentrionale T.I;Paris I888.

II)Eugene ALBERTINI et Autres;l'afrique du nord française dans l'histoire ; Paris I956.

I2) François DECRET,Carthage ou l'empir de la mer;Paris I977.

I3)Georges CONTENENU la civilisation phenicienne ,Paris I958.

I4)Gilbert CH.PICARD,Carthage ,sa naissance sa grandeur PariS .

I5) Gilbert PICARD, le monde de carthage, Paris I958.

I6)Gustave FOUGERES; les premieres civilisations ,Paris I928?

Text Stamp

I7)Gustave GLOTZ,histoire grecque ; Paris I9

I8) G. G .LAPEYRE,A.PELLEGRIN,carthage punique ;ParisI942.

I9)Hedi SLIM,histoiredela tunisie des origines à la conquête romaine S.T.D. Tunis

20)HERODOTE,histoire d'Herodote,trad. fran. A.F.MILOT,T.II; Liv.IV; Paris I822.

2I)Jacques HEURGON,Rome et la Mediterranee occidentale;Paris I9 Paris I969.

22) Jean BAYET, la sicile grecque ,Paris I930?.

23)Jean HURE,histoire de lasicile(Quesais-je?)Paris I957.

24)Leon HOMO,l'Italie primitive et les debuts de l'imeperialisme romaine Paris I925.

25)Louis DELAPORTES;lespeuples de l'orient Mediterraneen; T.I; le proche orient asiatique,Paris I938.

26)Madeleine HOURS6Miedan; Carthage (Quesais-je?)Paris I964

27)Paul PETIT,precis d'histoirean cienne,3°ed.Paris I967.

28)Pierre CINTAS; Manuel d'archeologie puniqueParis I970.

29)POLYBE;histoire,trad.fran.Denis ROUSSEL;Paris I970.

30) Robert COHEN,la grece et l'hellenisation du monde antique ,Paris I948.

3I)R.VanCOMPERNOLLE,etude dechronologie et d'historiogrphie siciliotes;Bruxelle-Rome I960.

32)Sabatino MOSCATI,l'epopee desphenicienss ,Paris I960

33) SALLUSTE,Catalina& guerre de Jugurtha,trad.fran. Alfred ERNOUT 5° Ed.ParisI962.

34) Stephane GSELL,histoire ancienne de l'afrique du nord, T.I;II;III;V; Alger-Paris I9I3-I928.

35)Theodore MOMMSEN,uistoire romaine, T. I;3; Paris I963.

36)Tite LIVE,histoire romaine ;trad? fran.Victor VERGER ParisI Paris I852.

37) UNESCO;histoire del'humanite ;T.II , Paris I967.

38) Z.TOUTAIN; l'economie antique I° ed. Paris I927.

IV- PERIODIQUES/:

-- Revue Africaine,N° I94,Annee,I889, TOME 3.

V--ENCYCLOPEDIES,DICTIONNAIRES/:

I) lagrande encyclopedie (française) T.II (onze), 29:ParIS (S. Paris (S.D)

2)Grande larousse encyclopedique ; Paris I9

3) Larousse classique ; Paris I957.

Text Stamp

الفهرس